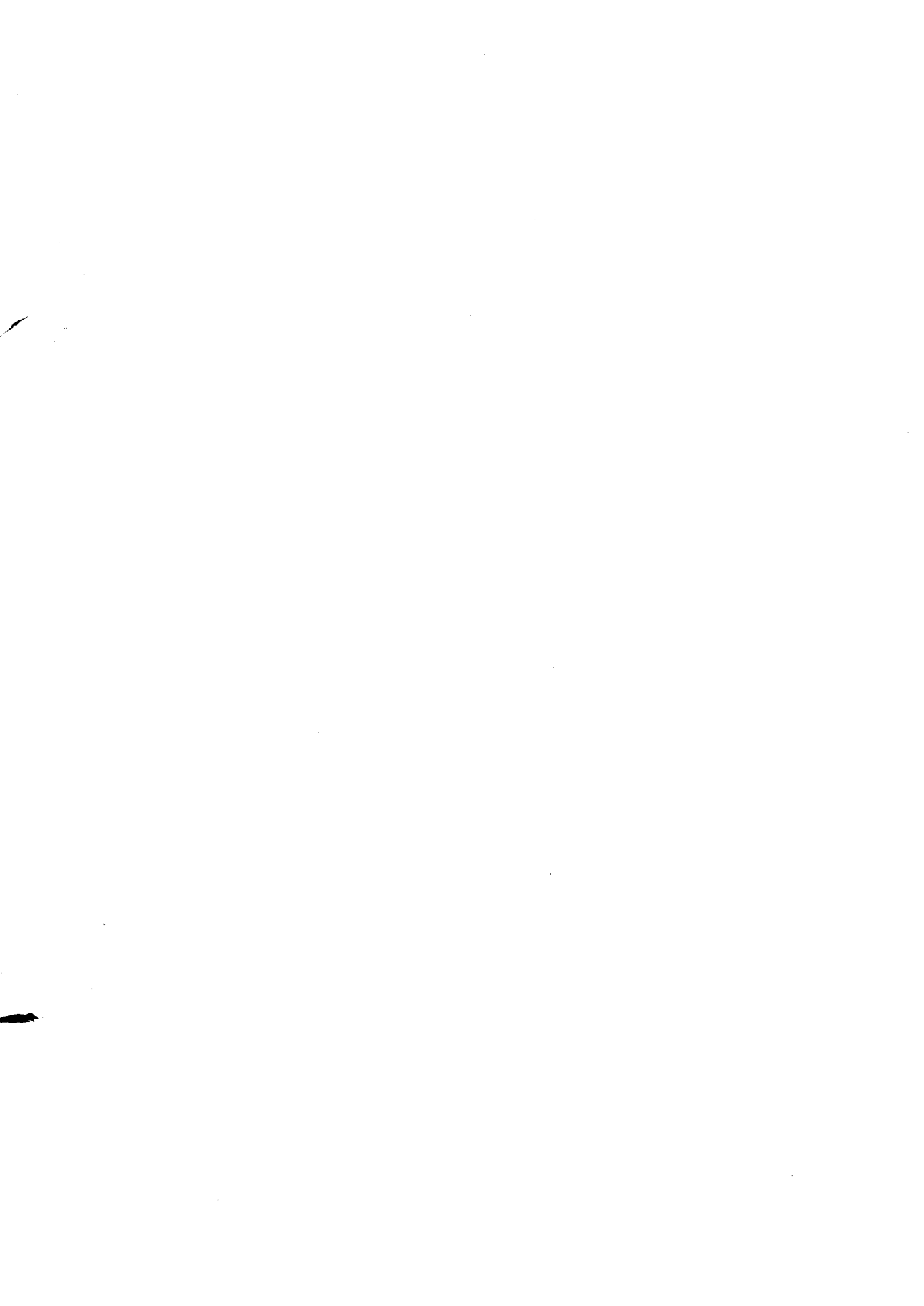


السنة
١٦

العدد
٦١

المحرر - صفير - ربيع الأول ١٤٠٤ هـ
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

رئيس التحرير

الأعضاء

د. أحمد بن عطية الغاندي

د. محمد بن علي الشولي

د. صلاح بن محمد البعوي

مدير التحرير

د. علي سلطان الشامي

د. محمد بن علي الدجواني

د. بزوف بن هياك الزفوني

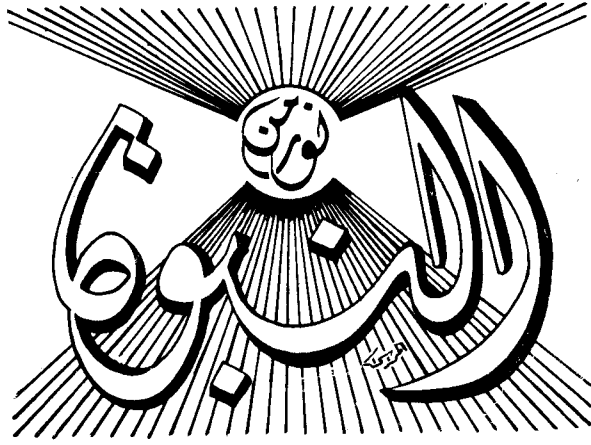
الرسالة: ترسل باسم مدير التحرير - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

قَبَسٌ
مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا
حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٦﴾

من سورة آل عمران



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ

كَالْبُنْيَانِ

يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

رَوَاهُ مَسْنَم

حكمة العبد

قَالَ تَعَالَى: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ
وَقَدْ شَبَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَعْضَاءِ
الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْكُفْرِ
بِاللَّهِ مِنَ الْأَخْتِلَافِ وَالنَّنَازِعِ وَلَوْ فِي الْأُمُورِ الْعَادِيَّةِ
وَلَمَّا كَانَ الْأَخْتِلَافُ فِي الْفَهْمِ وَالرَّأْيِ مِنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ
وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ
خَلَقَهُمْ^(١) - حُصَّ الْأَخْتِلَافُ لِهَذَا مَوْجُودٌ فِي الْإِسْلَامِ بِمَا كَانَ
عَنْ تَفَرُّقِ أَوْسَبَابِ التَّفَرُّقِ، وَجَرَى عَلَى ذَلِكَ السَّافِلُ الصَّالِحُ
فَحَظَرَ وَافْتَحَ بَابَ الْأَرَاءِ فِي الْعُقَائِدِ وَأَصُولِ الدِّينِ وَحَتَمُوا
الْإِعْتِصَامَ فِيهَا بِالْمَأْثُورِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ، وَخَصُّوا الْاجْتِهَادَ
بِالْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ، وَلَا يَسِيمُ الْمَعَامَلَاتِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَعْذَرُ
كُلَّ مَنْ خَالَفَ فِي الْمَسَائِلِ لِاجْتِهَادِيَّةِ وَلَا يَكْفِيهِ مُوَافَقَتُهُ فِي فَرْهَمِهِ.

١- الآية ٩٢ سورة الأنبياء - ٢- الآيات ١١٨، ١١٩ سورة لقود "عن كتاب الوجوه الاسلاميه لمحمد شبرهنا"

افترنا حتمنا العبد

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَالْوَاقِعَ الْمَعَاصِرَ

الشيخ محمد بن عبد الله الصالح العبيد
رئيس جامعة الأرسطية بالمدنية المنورة

الحمد لله العزيز القائل ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير محمد النبي الأمين خير من دعا إلى الله وآمن به وعمل لشعره فكان القدوة المثلى والأسوة الحسنة ورضى الله عن أصحابه واتباعه إلى يوم الدين . وبعد :

فإنه لشرف للجامعة الإسلامية أن تحتضن المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة الذي ينعقد تحت موضوع « سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين » وفي نطاق الاستعداد لهذا المؤتمر يشرفها كذلك أن تصدر هذا العدد الخاص من « مجلة الجامعة الإسلامية » الذي يضم بعض المقالات والبحوث والدراسات عن الدعوة من خلال اهتمامات المؤتمر .

وبين يدي هذه المناسبة أطرح هذه الأسطر التي تتعلق بمنهج الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ومتطلباتها إذ لعل في مناقشتها ما يلقي بعض الضوء في طريق الوصول إلى الحكمة المنشودة في هذا السبيل .

أهمية الدعوة :

تكتسب الدعوة إلى الله أهميتها من أنها رسالة الله إلى الخلق وأمر الله الذي أراد من عباده أن يهجموه ، ومن هذه الأهمية يتسابق محبوا الخير ، وفي السباق يكون التنافس ومعروف أنه إذا لم يحكم التنافس منهج وضوابط فإنه يورث الحقد والكراهية والحسد . والضوابط التي يضعها الله سبحانه هي القول الحسن في الدعوة ، والعمل الصالح في سبيلها ، والانتفاء الصادق لجماعة المسلمين ، حيث يقول سبحانه ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ وهي مع هذه الالتزامات لا تقف على وسيلة معينة ولا على جماعة مخصصة أو بلاد محددة ، إنها رسالة المسلم حيث وجد على ظهر

الأرض أياً كان عمله وأينما كان مركزه وكيفما كان موقعه ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ ، وللحكمة أبعادها وآفاقها وللموعظة حكمها. وأساليبها وللمجادلة أسبابها وآدابها والأمر مع كل ذلك لا يعني أن العمل في مجال الدعوة مطلق للفرد على عواهنه فالفرد يخسر بمفرده لكن للنجاة من الخسار عليه أن يعمل مع الآخرين لهدايتهم ومع الآخرين للاستعانة بهم يقول عز وجل ﴿ والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

ومع هذه المسئولية الكبيرة والرسالة العظيمة يصبح من نافلة القول الاطالة في الحديث عن أهمية العلم والمعرفة للإنسان ولجماعة المسلمين قبل الدخول في مجالات العمل ، ذلك أن المعرفة في دين الله وفي أصول الدعوة إذا لم تقم وتبنى على العلم الشرعي فسوف تقام وتبنى على غيره وأمر الله لا يقوم إلا على شرعه ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ ومن المسلم به عقلاً وشرعاً ألا يعبد الله إلا بما شرع . فالعلم بشرع الله أولاً ثم الالتزام بالدعوة إليه ثانياً . من خلال المسئولية الفردية والتعاون الجماعي وعلى الأصل المشار إليه يتشكل منهج الدعوة إلى الله سبحانه ثم إن الدعوة بهذا تعتبر حركة مستمرة لا تنتظر مؤتمرات تعقد ولا اجتماعات ترتب إلا أن الاجتماع على الخير أمر مطلوب وتدارس أحوال الدعوة والدعاة إلى الله أمر مرغوب « ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

واقع الدعوة :

ويعيش المسلمون هذه الفترة من حياتهم على الكثير من الخلافات والصراعات القائمة بينهم وبين أعدائهم من جهة وبينهم وبين أنفسهم من جهة أخرى . ويصعب في الوقت الحاضر التفريق بين الواجهتين الداخلية والخارجية ذلك أن الأعداء نقلوا المعركة من المواجهة العسكرية المكشوفة بعد فشلهم فيها وتحرر بعض البلدان الإسلامية من ربطة الاستعمار ، نقلوها في كثير من المواقع إلى مواجهات بين المسلمين أنفسهم من خلال زرع بذور الفتنة والخلافات العنصرية والعصبية والقبلية وأن يتسمى بالمسلمين من ليس منهم فيؤسسون الجمعيات ويقيمون الجماعات كيما يضرب المسلمون رقاب بعض ويستعين بعضهم بأعداء الله لقتال البعض بل لقتال المستقيمين منهم على أمر الله . لقد كان من المقبول في السابق أن تعيش القبيلة على تعدد فصائلها والدولة على شتات أقاليمها واختلاف تضاريسها وخلفياتها أيام الاستعمار . أما الآن فأصبح ذلك من سمات التخلف

وصفات الماضي التي يجب أن لا تعود وأضحى من اللازم أن تتفرع القبيلة وتشتت الأسرة الكبيرة وتتوزع الدولة إلى دويلات كيما تكون دواعي الاقتراق أقوى من دواعي الالتقاء وعوامل الاختلاف أكبر من عوامل الائتلاف وليس بخاف على كل مسلم مدرك ما يعايشه المسلمون اليوم من جراء ذلك ولكن بفضل الله ومنتته - تولدت بين المسلمين عودة إلى دين الله واستعادة لمنهج الله فبقدر ما لقوا من العناء وما كابدوا من الشقاء عملوا بقوة واندفاع لاستعادة المكانة وإعادة البناء ، وفي ظل هذه الظروف وملاساتها كانت الصحوة الإسلامية المعاصرة التي بدأت بيئية واقليمية بحكم المعيشة للظروف المحلية ثم انتقلت إلى صيغة الشمول والعالمية بحكم ما جد في العلاقات والاتصالات والمصالح والروابط الدولية ، لقد حققت الدعوة الإسلامية في العصر الحديث جانبا هاما في سبيل التضامن الإسلامي وتحقيق وحدة المسلمين ، ولكن ما يخشى هو ألا تستمر الجماعات والجمعيات الإسلامية في أداء هذا الدور بل إن ما يخشى منه أكثر أن تكون بعض تلك الجماعات والجمعيات نقطة ضعف في تضامن المسلمين وتحقيق وحدتهم ولذا فلا بد من مواجهة الواقع من قبل العاملين في مجال الدعوة الإسلامية ومن قبل القادة والمسؤولين في مجال تلك الجماعات والجمعيات بدراسة الوضع ومعالجته . وليست هذه العجالة مكانا لتشخيص الداء ولا لوصف الدواء ، ولكن بقدر ما تقدم من لمحة عن أهداف الدعوة إلى الله وما يستعرض من أسباب أدت إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة بما فيها من سلبيات وإيجابيات ما يمكن أن ينظر على ضوءه - وما يمكن أن يضاف عليه - في منهج للتفكير في مواجهة التحديات الجديدة والصراعات القائمة .

من أسباب وظواهر الصحوة الإسلامية :

إن من أهم الأسباب التي أدت إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة وما اكتنف تلك الأسباب من سلبيات ما يلي :

أولا : إن المسلمين قد تجاوزوا مرحلة من مراحل الجهل التي ضربت أطنابها على بقاعهم فانتشر التعليم وتوسعت دوائر المعرفة وتعددت وسائل الإعلام والنشر وأصبحت وسائل التعريف بالدعوة بين المسلمين في وضع أفضل مما كانت عليه في الفترة الممتثلة لعصر التخلف والانحطاط . ومع أن المناهج والبرامج التعليمية والإعلامية لم توجه التوجيه الديني الكافي إلا أن التوجيه الديني كان قويا حتى بين صفوف المشتغلين بالعلوم التطبيقية والذين حصيلتهم الدينية من خلال المناهج التربوية بسيطة وعمامة . إلا أن الوسائل والمؤسسات

العاملة في مجالي التعليم والإعلام لم تسلم من التأثيرات الخارجية وضعف التجربة الذاتية .
كما أن الكتاب الإسلامي لم يسلم من سبل الارتزاق والمتاجرة .

ثانيا : قيام بعض الحركات الاصلاحية في الجزيرة العربية والهند ومصر والسودان وتونس وغيرها من بلاد المسلمين مثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمهدية والسنوسية وأهل الحديث وأنصار السنة والجماعات الإسلامية والإخوان المسلمون وما تولد عن تلك الحركات من نشاطات وما صاحب ذلك من توضيحات بالأموال والأنفس والثمرات وما نتج عن ذلك كله من تمدد وانكماش وما رافق العنف الذي حوربت به تلك الحركات والنشاطات من تعاطف مع التوجيه الديني فالملاحظ أن الضربات التي واجهت تلك الحركات قد أضعفت الحركة نفسها لكنها ضاعفت من النشاط الإسلامي من المتعاطفين مع العمل الإسلامي حتى أصبحنا نرى ما بين فينة وأخرى ميلاد جماعات جديدة وأصبحت العواطف وردود الفعل هي الموجه حتى كان حرب القلم واللسان التي مر بها العالم الإسلامي في مرحلة ما تعود اليوم وقد حملت مع القلم واللسان السيف والسنان .

ثالثا : الاتجاه الرسمي الجديد من قبل بعض القيادات السياسية في العالم الإسلامي إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مثل ما حصل في باكستان والسودان مما يدل على فشل النظم والمبادئ المستوردة ، وإن الممارسات المبنية على تلك النظم والمبادئ لم تحقق آمال وتطلعات المسلمين في تحكيم شريعة الله في الأرض . لقد أعطى هذا الاتجاه التوجه لمراجعة حصيلة المسلمين من العلوم والمعارف الشرعية واجراء المزيد من الدراسة والبحث في تلك العلوم والمعارف من أجل التطبيق على أرض الواقع كما بعث روح التفكير في طبيعة الحياة الإسلامية المتكاملة لدى المسلمين وغيرهم وما يمكن أن تقدمه التجربة الإسلامية في مثل تلك البلدان بعد أن مرت بالعديد من التجارب ذلك أن النظام العام لا يمس كل فرد في الدولة فقط بل يتعداه إلى من هم خارج الدولة بحكم العلاقات المتبادلة ووسائل الاتصال المترابطة وعلى كل فليس ما تم أو أعلن عن التوجه إليه في تطبيق أحكام الشريعة هو نهاية المطاف إذ أن ذلك انما يمثل جانبا من جوانب تحقيق حكم الله سبحانه وتعالى في الأرض . ذلك أن الأمر يتطلب إعادة النظر في البناء الاقتصادي والسياسي والتربوي في تلك البلدان

رابعاً : اهتمام الطبقة المثقفة والمتعلمة من غير المسلمين بدراسة الإسلام والتعرف عليه واعلان العديد منهم اعتناق الإسلام وكان من أشهر من أسلم منهم من رجال الدين

خليل إبراهيم ومن الأدباء ميشيل سركيوسكي ومن الباحثين فنان منتيل ومن المؤرخين بنواميشان ومن الفلاسفة روجي جارودي .

قد دفع إسلام هؤلاء وما يقومون به من أبحاث ودراسات ، دفع من يختلط بهم من المسلمين بحكم التعامل إلى العودة لتاريخهم وتراثهم كما وفر الكثير من القناعة لدى الشباب المسلم الذي انبهر بحضارة الغرب بضرورة العودة إلى دينه الأصيل والنهل من منابعه الصافية التي لم تكدرها التحزبات والطوائف والتجمعات المنحرفة .

خامسا : دعم بعض الدول الإسلامية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية - التي قامت على أساس تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية - والمؤسسات والهيئات والأفراد في تلك الدول للنشاط الإسلامي مادياً ومعنوياً مما ساعد الهيئات والمنظمات والجماعات الإسلامية على تخطي بعض الصعاب وتجاوز بعض العقبات . إلا أن تلك المساعدات قد لا تنفق في وجهها المشروع مما جعل الثقة في بعض المشاريع الإسلامية تضعف وتهتز .

سادسا : قيام بعض المنظمات والروابط الدولية وشبه الدولية بين بلدان العالم الإسلامي مثل رابطة العالم الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية والدعوة للتضامن الإسلامي التي تولاهها جلالة الملك فيصل رحمه الله وما أسفرت عنه من عقد مؤتمر القمة الإسلامي وما انبثق عنه من منظمات ومقررات ومواقف . وقد كان لهذه الجوانب تأثيراً إيجابياً في سبيل تحقيق الشعور بالذات بين المسلمين وتقوية وتنمية الروابط فيما بينهم كأمة واحدة دولا وأقليات ولاجئين إلا أن هذه المنظمات والروابط تحتاج إلى المزيد من الشعور بالأهمية والالتزام بالمسئولية من جانب جميع الدول الإسلامية من أجل تنفيذ القرارات وتحقيق الأهداف الإسلامية في كافة المجالات .

الحاجة لمراجعة واقع الصحوة :

وعند الرغبة في التفصيل فإن هذه العناصر تحتاج إلى المزيد من التفسير والتفريع ، إلا أن الحاجة القائمة تدعو إلى تجاوز ذلك إلى النظر في توجيه هذه الصحوة من حيث الدوافع والمقاصد والنتائج .

إن هذه الصحوة في معظم دوافعها ومقاصدها قد ارتبطت بمواجهة التخلف من جهة ومقاومة الاستعمار من جهة أخرى ولذا فقد اتسمت بالاندفاع الشديد المرتبط بالقوة العسكرية من جانب والاندفاع الفكري والجدلي من جانب آخر وهي أمور فرضتها الظروف

وقد حققت تلك الأمور الكثير مما نتج عنه هذه الصحوة الإسلامية التي تعم ليس فقط أرجاء العالم الإسلامي بل العالم أجمع . وإذا كان ذلك أمر تطلبه وضع الدفاع فإن الأمر يحتاج اليوم إلى إعادة النظر في الأمور من أجل ترميم المواقع وترتيب الصفوف والاستعداد للمرحلة القادمة .

لقد كان من نتائج هذه الصحوة عودة الأذان إلى منابر الأندلس في الغرب وإلى منائر الصين في الشرق وإلى مواقعه القديمة في عمق العالم الإسلامي التي اسكت فيها فترة من الزمن كما امتد الأذان إلى مآذن جديدة في مواقع جديدة في أوروبا وأمريكا وأستراليا وأفريقيا وآسيا ولكن السؤال المطروح هو هل متطلبات ودوافع العمل الإسلامي في المستقبل هي نفس متطلبات ودوافع ذلك العمل في الماضي ؟

ولن تكون الإجابة على هذا السؤال متطابقة نتيجة للظروف التي يعايشها المسلمون وهي ظروف متعددة ومتغيرة ، ومع أن هذا التعدد والتغاير يكون في كثير من الأحيان مجالا للخلاف في الرأي والتباين في وجهات النظر إلا أنه ينبغي ألا يخرج إلى حد نقل المعركة من المسلمين وأعدائهم إلى ما بين المسلمين أنفسهم .

لقد بات من الملاحظ وجود فراغات في بنية العمل الإسلامي وأخطاء في الممارسات القائمة في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فالدعوة تعاني من تشتت الجهود بل تعارضها وتصادمها في كثير من الأحيان حتى انشغلت بعض الجماعات الإسلامية في محاربة بعضها بدلاً من توجيه السهام إلى العدو المشترك ، كما تعاني من الشقاق داخل الجماعة الواحدة حتى أصبح منها اليمين واليسار والحائم والصقور واندست في صفوف الدعوة جيوش النفاق التي كانت عاملاً من عوامل ذلك الشقاق وتشتت الجهود . كما كان من اهتمام بعض الجماعات الإسلامية بتكثير السواد وتجميع الاتباع أن يتحدث عن الإسلام من لا يعرفه ويدعو إليه من لا يلتزم به .

متطلبات الدعوة :

وأمام هذا الجانب من الصورة وهو الجانب السلبي نحتاج إلى وقفة وفي هذه الوقفة نستعرض شيئاً مما يدعو إليه ديننا الحنيف وما يأمر به من توجيهه في مجال أدب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ ويقول سبحانه ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين ﴾ ويقول سبحانه ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ويقول سبحانه ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ ويقول سبحانه ﴿ إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم ﴾ ذلكم هو منهج كتاب الله ووصف الله للمؤمنين العاملين والدعاة الصادقين . أما رسول الهدى ونبي التقى فيقول « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ويقول « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ويقول عليه الصلاة والسلام « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » وذلكم هو منهج رسول الله وخلق رسول الله ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ .

وعلى ضوء هذه الأوامر والتوجيهات يمكن التركيز على أن المتطلبات والمقاييس الثابتة للدعوة هي :

أولاً : الانطلاق من وحدة الفكر والهدف من خلال التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى مهما كانت الظروف المكانية والمصالح الزمنية والتحديات الحضارية .

ثانياً : العلم بشرع الله والفهم الصحيح له على هدى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ .

ثالثاً : العمل على أساس الصدق والاخلاص والتضحية والتجرد والتحلي بالحكمة والبصيرة في التلقي والتلقين لدعوة الله .

بين الواقع والمستقبل :

وعلى ضوء هذه المتطلبات والمقاييس يجب وضع الضوابط الخاصة بطبيعة العمل وطريقة التحرك لمواجهة الظروف المكانية والمصالح الزمنية والتحديات الحضارية المعاصرة وهي أمور بلاشك تختلف في عدة جوانب عن الظروف والمصالح والتحديات التي دعت إلى نشأة بعض الحركات الإسلامية وحددت منهج العمل فيها . لقد انتقل التحدي الاستعماري من العمل العسكري إلى العمل الفكري ، كما انتقلت مواجهة من الشخصية الأجنبية إلى الشخصية الوطنية وذلك في معظم المواقع . لقد ارتحل الاستعمار بعساكره من بعض البلدان

لكن قوافل الصليب ومناجل الحاد قد تكالبت على نشر الفساد في البلاد والكافرين العباد ، ومن جهة أخرى فإن الاستقرار الذي تم في بعض البلاد الإسلامية وتطلعها إلى تحكيم شرع الله يتطلب توفير الأسس والتطورات والأساليب والاجراءات الخاصة بتطبيق تحكيم الشريعة في تلك البلدان في كافة الشؤون الاقتصادية والسياسية والتربوية والفكرية ويجب ألا يكون العاملون في مجال الدعوة إلى الله في غيبة عن هذه المواقع لأنها المحك العملي والممارسة الفعلية لتطبيق الشريعة الإسلامية في بلاد المسلمين .

أمل ورجاء :

ومن هذا التصور اتطلع إلى أن يلتقي العاملون في مجال الدعوة إلى الله وأن تكون هذه المقاييس والمتطلبات ضابطاً للجميع فيما يقولون ويعملون وأن تكون عونهم فيما يواجهون .

وما مناسبة انعقاد المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة في رحاب الجامعة الإسلامية إلا إحدى الظروف المناسبة لمناقشة مثل هذه الأمور ودراستها والتفكير فيما يمكن أن يعمل من أجلها وأسأل الله سبحانه على الا يقتصر هذا الاجتماع على اضافة اضبارة إلى خزانة الأوراق أو كسب ورقة في مجال الدعاية والاستهلاك والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن ينسردينه وأن يعلي كلمته وأن يوفق عباده إلى الخير والسداد والهدى والرشاد انه ولي ذلك والقادر عليه .



آيَةُ الْعَدَدِ

لِلشيخ أبي بكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ . الآية : « ١٠٢ » وبعض الآية : « ١٠٣ » من سورة آل عمران .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، وآله وصحابه أجمعين .

وبعد فهذه آية العدد نقدم شرحها لأبنائنا طلبة العلم على طريقتنا في التفسير التحليلي فنبدأ بذكر مناسبة الآية لما قبلها من الآيات ، ثم نذكر الغرض الذي سبقت له الآية ثم نشرح مفرداتها ، ثم نذكر معنى الآية المراد فهمه منها ثم نختم الشرح للآية بذكر ما فيها من هداية قرآنية راجين أن يهتدى بها الطالب إلى ما يزكى نفسه ، ويكمل أخلاقه ومعارفه ، وبسم الله نبدأ ، ومنه نستمد العون والتوفيق فنقول :

مناسبة الآية لما قبلها :

لقد جاء في السياق قبل هذه الآية قول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ . وهو إخبار منه تعالى لعباده المؤمنين بأنهم إن أطاعوا بعض أفراد اليهود أو النصارى بأن سمعوا منهم واستجابوا لما يقولون لهم أدّى بهم ذلك إلى الردّة والعياذ بالله تعالى ، وهو إخبار بمعنى الإنشاء ؛ إذ مراد الله تعالى من هذا الخبر نهيّه عز وجل المؤمنين عن طاعة أهل الكتاب لما قد تفضى بهم تلك الطاعة إلى الكفر والعياذ بالله . ومن هنا ناسب أن يأمرهم بما يكون عصمة لهم من الوقوع في الردّة والكفر بعد الإيمان والإسلام فقال عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ . فهذا وجه المناسبة بين الآيتين وهو ظاهر والحمد لله .

الغرض الذى سيقت له الآية :

إنَّ الغرض الذى سيقت له هذه الآية هو الأمر بتقوى الله عز وجل وذلك بفعل مأمور الله عز وجل وهو الإيمان والعمل الصالح، وترك منهيه تعالى وهو الشرك والمعاصى بترك واجب أو فعل منهى وبذل الجهد فى تحقيق هذه التقوى، والصبر عليها مع الاعتصام بدين الله وعدم التفرّق فيه، حتى الموت على الإسلام .

مباحث الالفاظ :

من مباحث الفاظ هذه الآية ما يلى :

التقاة : اتقى يتقى اتقاءً وتقاءً، وهى بمعنى التقوى التى هى الاسم من اتقى .

حق تقاته : هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ إذ الأصل اتقوا الله التقاة الحقة .

ولا تفرقوا : تفرّقوا أصلها: تفرّقوا فحذفت إحدى التائين تخفيفاً .

إلا وأنتم مسلمون : الجملة حالية، والاستثناء فيها مفرّغ من أعم الأحوال إذ

المعنى : ولا تموتن على أيّ حال من الأحوال إلا على حال أنتم مسلمون .

شرح الكلمات :

آمنوا : اذعنت قلوبهم للتصديق بوجود الله تعالى ربّاً لكلّ شىء والهاً لكل العالمين . موصوفاً بكل كمال، منزّها عن كل نقصان، وللتصديق بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً للعالمين، وبكل ما جاء به من الدين، وأخبر عنه من أمور القدر والغيب، وللتصديق بالبعث والجزاء فى الدار الآخرة بالنعيم المقيم، أو العذاب المهين .

اتقوا : أمر بالتقوى، والتقوى الاسم من فعلٍ، اتقى، ومعناه: اتخذوا الإيمان والاعتصام بالطاعة وقاية تقيكم وتحفظكم مما تخافون من العذاب المترتب على الكفر والمعاصى .

الله : اسم الجلالة الأعظم : وهو علّم على ذاتِ الربّ المعبود بحق، واشتقاقه من اله ياله إلهة وتألهاً . إذا عبد فاذعن وأطاع حبا وتعظيماً . فمعنى الله : المعبود الذى تتحير الافكار فى حقائق صفاته، وتطمئن القلوب إلى ذكره، وتفرح النفوس بمعرفته، وتولع الخليقة بدعائه والتضرع إليه، ولا تفرع عند الشدائد إلا إليه سبحانه لا يدرك كنه ذاته، ولا تعلم حقائق صفاته .

حق : يقال حَقَّ الشيء يحق إذا ثبت ووجب .

التقاة : مصدر بمعنى التقوى، ومعنى المتضايفين ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ : اتقوا الله التقاة الحقة الواجبة لله تعالى الثابتة له بهاله من قوة لا تحدد، وقدرة لا تعجز، وسلطان لا يقهر .

ولا تموتن : الواو^(١) عاطفة للجملة على سابقتها وهي : اتقوا الله حق تقاته . ولا : أداة نهى وجزم وتموتن : مضارع مات يموت ؛ إذا فارقت الحياة، وهو مسند إلى واو الجماعة دخل عليه الجازم فحذف نون الرفع، فصار ولا تموتوا، فأكد بنون التوكيد فالتقى ساكنان فحذفت الواو لوجود ما يدل عليها وهي الضمة فصارت الكلمة ولا تموتن .

إلا وأنتم مسلمون : إلا أداة استثناء وهو هنا مفرغ من أعم الأحوال، والواو للحال وجملة «أنتم مسلمون» خبرية مؤلفة من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال . ومعنى الجملة : لا تموتن أيها المؤمنون على أى حال من الأحوال إلا على الحال التي أنتم فيها مسلمون، والجملة متضمنة النهى عن الردة بعد الإسلام، فلا يحل للمؤمن أن يكفر بعد إسلامه . كما يريد ذلك كفار أهل الكتاب .

واعتصموا : الاعتصام : التمسك بالشيء بشدة حتى لا يسقط منه، مأخوذ من معصم اليد، إذ قوة التمسك بالشيء تابعة لقوة معصم الإنسان وساعده .

حبيل الله : الحبيل لغة السبب، وما يتوصّل به إلى الشيء أو ما يتمسك به طلبا للنجاة والمراد به هنا : القرآن الكريم، والدّين، وجماعة المسلمين ؛ إذ التمسك بهذه يُنجي من السقوط والهبوط في الدنيا والآخرة .

جميعا : حال من ضمير واعتصموا، والمعنى تمسكوا بكتاب الله ودينه وجماعة المسلمين حال كونكم مجتمعين لا يتخلف منكم أحد أبداً .

ولا تفرقوا : الواو عاطفة، ولا ناهية جازمة . وتفرقوا مضارع مجزوم بحذف النون، والواو فاعل . والتفرق لا يكون إلا بعد الاجتماع، وعليه فالجملة مؤكدة لسابقها ؛ إذ الأولى

(١) إن قيل : لم شرح هذه الجزئيات، والتعرض للإعراب؟ قلنا : إن المجلة مجلة طلبة العلم وهم ينتفعون بمثل هذا التحليل اللفظي والمعنوي .

فيها أمر الله تعالى للمؤمنين بالتمسك بدينهم ، وفي هذه نهيه تعالى عباده المؤمنين عن التفرق المفضى بعدم التمسك بالمأمور به .

معنى الآية الكريمة :

ينادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بوصف الإيمان : يا أيها الذين آمنوا؛ إذ بالإيمان حياتهم فهم بإيمانهم أحياء غير أموات يقدرّون على فهم الخطاب ، وعلى القول والعمل ، يناديهم ليأمرهم بما فيه سلامتهم من كل مرهوب ، وظفرهم بكل مرغوب محبوب من سعادة الدارين ألا وهو تقوى الله الحقة الواجبة له على عباده ، والمتمثلة في امتلاء القلب بخشيته ومحبته ، وانقياد الجوارح كل الجوارح لطاعته ، حتى يطاع فلا يُعصى ، ويذكر فلا يُنسى ويشكر فلا يكفر . ولينهاهم عن الكفر بعد الإيمان ، والردة بعد الإسلام «ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» . فليثبتوا على إيمانهم ، وليستمرّوا على إسلامهم لربهم مطيعة قلوبهم وجوارحهم لا يفارقون الطاعة حتى تفارقهم الحياة ، ابقاء على نور قلوبهم ، وزكاة أنفسهم ، وطهارة أرواحهم ؛ ليكونوا أهلاً لمواكبة الرفيق الأعلى والنزول في منازل الأبرار ، والفوز بالنعيم المقيم في جوارح الربّ الرحيم .

وناداهم ليأمرهم بالاعتصام بكتابه ودينه ، وعهده الذي أخذه عليهم لما شهدوا له بالوحدانية ، ولنبيّه بالرسالة ، والاعتصام بكتابه يعنى العمل بما فيه فيعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويحلّون حلاله ويحرمون حرامه ، ويلتزمون بأدابه ، ويتحلّون بأخلاقه . والاعتصام بدينه يعنى التمسك بعقائده ، واداء فرائضه ، واقامة حدوده ، والتأدب بأدابه ، والتجمل بأخلاقه ، مع ملازمة أهله القائمين به والداعين إليه . والاعتصام بعهده يعنى الوفاء لله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وذلك في المنشط والمكروه ، والعسر واليسر ، وفاءً دائماً ، لا يُخلّون به حتى تفارق الحياة أبدانهم ، وتباينهم أرواحهم ، وناداهم أيضاً لينهاهم عن التفرق بعد التجمع ، وعن الاختلاف بعد الائتلاف ؛ لما في تفرقهم من فشلهم وذهاب ريحهم ، ولما في اختلافهم من سوء أحوالهم وفساد بالهم ، والقعود بهم عن مواكبة الصالحين في الدارين .

هداية الآية :

إن من بين الهدايات القرآنية التي تضمّنتها هذه الآية الكريمة الهدايات التالية :

١ - تقوى الله عز وجل ، وذلك لأن الله تعالى بيده ملكوت السموات والأرض يحيى ويميت ويعطى ويمنع ويضر وينفع ، يُغنى ويفقر ، يُعزّ ويذل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ،

قدرته لا تُحدّ، وسلطانه لا يقهر، فهو لذلك يجب أن يتقى، ولكن لا بالحصون والأسوار العالية، ولا بالقوات الضاربة، من رجال وسلاح، على اختلافه وتطوره حتى لو كان سلاح الذرّة والهدروجين، وإنما يتقى الله جل جلاله وعزّ سلطانه، وهو الذى ذلّت له رقاب الجبابرة، وانحنت أمام جبروته هامات القياصرة والاكاسرة، يتقى بشيء واحد ألا وهو العبودية الحقّة المتمثلة فى إسلام القلوب والجوارح له، فالقلوب تؤلّه رهبةً ورغبةً، ومحبةً وتعظيمًا. والجوارح انقياداً لأمره، ولنهيته تركاً. بهذا فقط يتقى الله ذو الجبروت والمملك والملكوت، فمن طلب النجاة من العار والنار، وأحب الفوز بالجنة دار الأبرار فليتق الله الواحد القهار، فإن ذلك له، ومردّه إليه، وتقواه عز وجل هى مفتاح بابه، وسلم الوصول والارتقاء إليه، وهامى آيات كتابه تنبىء عما قلناه، وترجم للقارىء معناه، قال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ [الطلاق: ٤].

﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا، ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم﴾

[الأنفال: ٢٩].

﴿تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ [مريم: ٦٣].

﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ [القلم: ٣٤].

﴿إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب أتراباً وكأساً دهاقاً﴾ [النبأ: ٣١، ٣٤].

كل هذا الخير، وغيره كثيرٌ إكسير ملكه تقوى الله بطاعته والانقياد إليه.

هذه هداية وأخرى :

٢ - الموت على الإسلام :

إن مما تهدى إليه هذه الآية: الموت على الإسلام، والموت على الإسلام هو الغاية التى ما وراءها غاية، والأمل الذى دونه كل أمل ولنشهد هذه الحقيقة من خلال القصة التالية: جلس على عرش مصر نبي الله ورسوله الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم - عليه السلام - ورفع أبويه فوق عرشه فأجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وجلس اخوته الأحد عشر ائماً بين يديه وقد تم له الملك بحذافيره، وجاءته الدنيا طائفة، وحفل الكون به من حوله. هنا ابتهل يوسف إلى ربّه قائلاً: ﴿ربّ قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض، أنت وليّى فى الدنيا والآخرة، توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين﴾ .

إن هذه القصة تقول : ان المال والملك والسلطان واجتماع الشمل بالأهل والأخوان ليس بالغاية المطلوبة ولا بالأمل المرجوع عند الأبرار الأطهار الأخيار، وإنما الغاية المرغوبة والأمل المنشود: الوفاة على الإسلام، واللحاق بمواكب الصالحين .
وإن قيل : وهل الإنسان يملك أن يموت على الإسلام، أو على غيره من الأديان؟ .

قيل له : نعم؛ إذ عدم الردة عن الإسلام هي الموت عن الإسلام، ومن شبَّ على شيء شاب عليه، ومن لازم شيئاً في حياته وأثره على غيره مات عليه، يضاف إلى هذا ان التكليف بملازمة الإسلام وعدم الارتداد عنه ليس تكليفاً بما لا يطاق، لاسيما وأن الإسلام دين الفطرة فلا يوجد في النفس البشرية من نوازع تدافع الإسلام وتأباه، والردة المحذر منها قد تأتي من خارج النفس لا من داخلها، تأتي من طريق الاستجابة للشيطان وإخوان الشيطان : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ .

هذه هداية وثالثة :

٣ - الاعتصام بحبل الله تعالى :

إن مما تهدي إليه هذه الآية من أسباب الكمال والسعادة الأمر بالاعتصام بحبل الله تعالى الذي هو كتابه الكريم، ودينه القويم، وجماعة عباده الصالحين .

والاعتصام بكتاب الله تعالى يكون باعتقاد الحق الذي جاء به من التوحيد والنبوة، والبعث والجزاء، وتحليل حلاله وتحريم حرامه من المقول والمفعول : كالصدق وقول الحق والمعروف، والمطاعم والمشارب والمناكح والمكاسب، كما يكون بإقامة حدوده والتزام آدابه ومحاسن أخلاقه بعد دراسته وفهمه وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار .

والاعتصام بدينه يكون بإقامة فرائضه والمحافظة على سنته، وتطبيق شرائعه والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه بعد معرفة أحكامه وحفظ قواعده، كما يكون بالدعوة إليه، والموالاتة فيه، والمعاداة عليه .

والاعتصام بجماعة عباده الصالحين يكون بموالاتهم، وتحريم معاداتهم، وبحبهم، والحب لهم وصدقهم وتصديقهم، والصلاة معهم وعليهم، والجهاد مع إمامهم وحرمة الخروج عليه وعليهم ما أقيمت الصلاة فيهم .

هذه هداية ورابعة :

٤ - حرمة الفرقة والاختلاف :

إن هداية هذه الآية تقول : إن الفرقة والاختلاف محرمان ممقوتان ، وكونها بعد الاجتماع والائتلاف اشدّ حرمة وأكبر مقتاً ، إن من هداية هذه الآية تحريم الفرقة والاختلاف في الكتاب والدين والجماعة ، أما الاختلاف في الكتاب فإنه لا يكون في الفاظه وكلماته ؛ إذ قد تولى الله منزله سبحانه وتعالى حفظه من الزيادة والنقصان ، والتبديل والتغيير ، حيث جمع أمة الإسلام عليه منذ نزوله فلم تختلف فيه ولن تختلف بإذن الله تعالى فيه . وإنما الاختلاف في الكتاب يكون في معانيه وما يدل عليه ، والعصمة من ذلك في الأخذ بالسنة والتمسك بها ؛ إذ هي الشارحة لألفاظه ومعانيه ، والمبيّنة لمجمله ، والمخصّصة لعمومه ، والمقيّدة لمطلقه . وذلك بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله وأحكامه وأقضيته ، وسياساته ، وفي سيرة أصحابه من بعده حصن حصين ، وسياج منيع من الفرقة والاختلاف في كتاب الله أيضاً . ولهذا فالأمة المرحومة وهي أهل السنة والجماعة لم تختلف في كتاب الله ، وإنما اختلف فيه من رد سنة رسول الله التي وردت من غير طريق من فتن بهم ، وكفر أصحاب رسول الله ، وغض من شرفهم وأهدر كرامتهم ، ولعنهم وأبغضهم . والعياذ بالله تعالى من ضلال الطوائف والفرق المنتسبة إلى الإسلام باطلاً وزوراً . وكذباً وميناً .

وأما الاختلاف في الدين فإنه ذو خطورة كبيرة على أمة الإسلام ، ولذا كان من هداية هذه الآية التصريح بتحريمه والتحذير من آثاره المدمرة ، وفي الكتاب الكريم الأمر بإقامة الدين وعدم التفرق فيه ، والتوصية بذلك قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .

ولكى تُتجنب الفرقة في الدين يلزم اتباع ما يأتي :

(١) اعتقاد ان الدين هو ما شرع الله ورسوله ، ورفض كل تشريع يخالفهما ، أولاً ينبع

منهما .

(٢) تقديم الكتاب في الاستدلال ثم السنة ، ثم الاجماع ، ثم القياس ، ولا يجوز

العمل بقياس لا يشهد له كتاب ولا سنة ولا إجماع بصحة ولا اعتبار .

(٣) اعتبار المذاهب الأربعة الحنفى والمالكي والشافعي والحنبلى مذاهب حق ، وذلك

لاتفاقها في أصول الدين وشرائعه، وعدم تعمد أصحابها الخروج عن الكتاب والسنة بأي حال من الأحوال. وعدم وجود خروج فيها عن الكتاب والسنة وإن قل .

(٤) اعتبار هذه المذاهب الأربعة مذهباً واحداً موسعاً يستعان بها على فهم الكتاب والسنة والعمل بهما، ولذا على هيئة الافتاء في البلد الإسلامي أن تنظر فيها مجتمعة ثم تصدر فتواها نابعة عنها مؤثرة في ذلك الدليل من الكتاب والسنة وشواهد الاجماع والقياس الصحيح .

(٥) تأليف كتب فقهية على غرار «بداية المجتهد» و«منهاج المسلم» تعرض للمذاهب الأربعة وتؤيد ما يؤيده الدليل من الكتاب والسنة والاجماع والقياس وتشر تلك الكتب الفقهية الجامعة الموحدة وتعممها على سائر المسلمين .

(٦) ترويض الأفكار الخاصة والعامة على انتهاج هذا المنهج الذي يجمع أمة الإسلام ولا يفرقها، ويوحدها ولا يخالف بينها، عملاً بقول الله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه﴾ . وأخذاً بهداية هذه الآية في الاعتصام بالدين وعدم التفرق فيه: ﴿وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ .

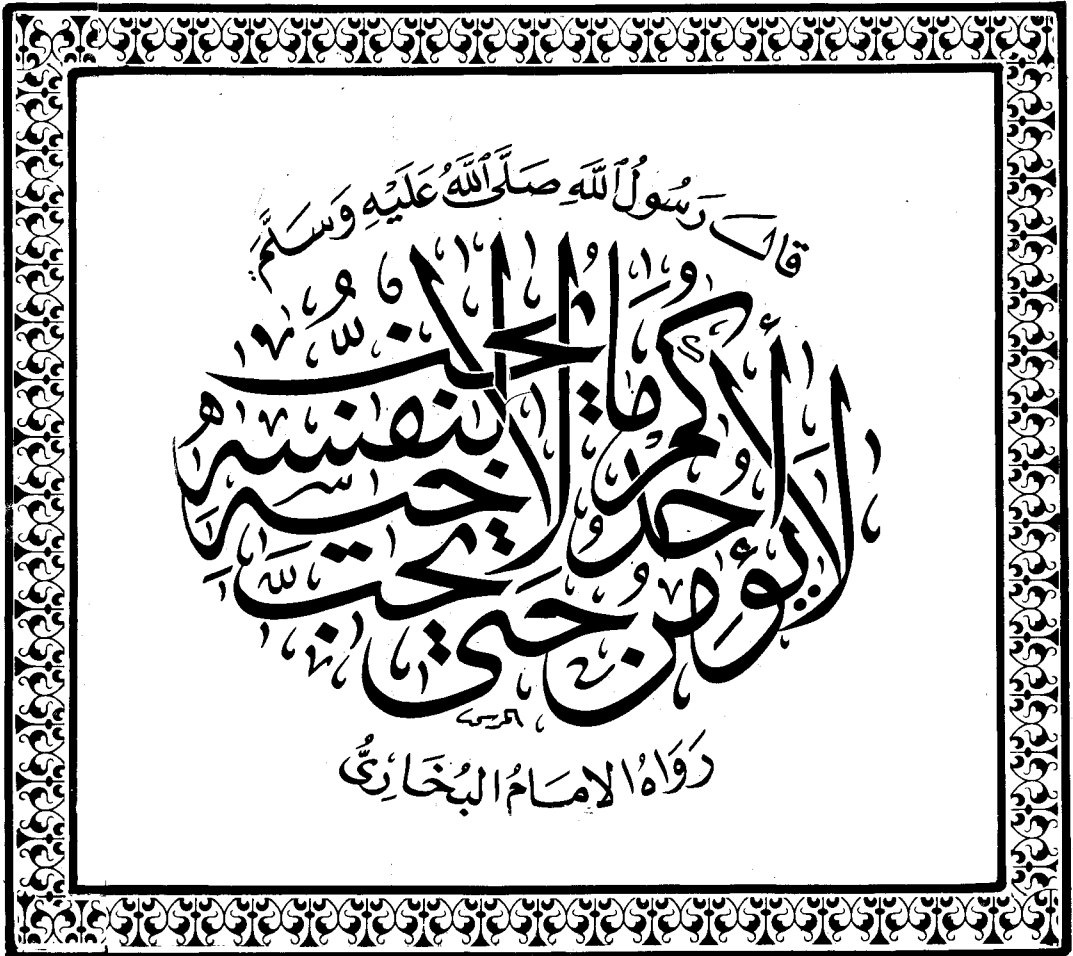
وترويض الأفكار يكون بإلقاء الدروس والمحاضرات في المعاهد والمساجد في كل ديار المسلمين بأن الله تعالى لم يتعبدنا إلا بما شرع لنا في كتابه وعلى لسان رسوله، وأن التعصب لما في مذهب معين ولو خالف الحق لا يجوز أبداً لما يلزم عنه من ردّ الكتاب والسنة وردهما ردة أو شبهها، والعياذ بالله تعالى . وأن العلماء مجتمعون على أن لا معصوم في هذه الأمة إلا رسولها محمد ﷺ .

وبذلك يتقارب أهل الحق من هذه الأمة، وتتم وحدتهم، وتنتهي الفرقة بينهم ويسيرون صفاً واحداً يحيون ميّت الإسلام ويجددون بناء ما انهدم منه بعامل الفرقة والخلاف قروناً طويلة .

وأما الاختلاف في الجماعة فإنه وإن كان أقل خطراً من الاختلاف في الدين فإنه معوق لأمة الإسلام عن النهوض والتقدم، ومعرض لها أيضاً لأوخم العواقب، واسوأ الأحوال، ودليل ذلك أنها ما وقعت في براثن الاستعمار الغربي ردحا من الزمن غير قليل يسومها الخسف ويصب عليها سياط العذاب والإهانة إلا بعد ان تفرقت جماعتها، وقاتل بعضها بعضاً، وإنها - والله - اليوم لعرضة لمحنة قاسية أشد من محنة الاستعمار السابقة وذلك لما تعيش عليه من الفرقة والاختلاف في كل شيء فلذا وجب على المصلحين ان يسارعوا إلى تلافي

الموقف بجمع الأمة المحمدية تحت لواء واحد وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله فلا يعبد في ديارها إلا الله، ولا يتابع إلا رسول الله ﷺ .

وأحسب أن ما تقدم في الأرقام الستة السابقة كاف في بيان الطريق الذي يتم به وحدة المسلمين وجمعهم على منهج الله ليكملوا ويسعدوا عليه دنيا وأخرى . . . والله المستعان، وعليه وحدة التكلان . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . . .



الْجَمَاعَةُ

فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

للدكتور محمد الغزويني بحمد الله المحمدي
عميلة الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وبعد . . . فهذا بحث يتناول موضوعاً يهم المسلمين جميعاً إذ تتوقف على تحقيقه
سعادتهم في الدنيا والآخرة . كما تتوقف عليه سعادة البشر جميعاً لأن الإسلام دين عالمي وقد
جاءت الأوامر الالهية فيه بضرورة تكوين الجماعة الإسلامية التي تنتظم المؤمنين بهذا الدين
من جميع البشر .

تمهيد :

الإسلام دين الجماعة لأن الله جلّ وعلا شرع هذا الدين ليجمع البشر جميعاً على
منهج واحد للوصول إلى هدف واحد .
والجماعة من لوازم قيام هذا الدين لأنه لا يمكن تطبيقه تطبيقاً كاملاً إلا بوجود
الجماعة، ولذلك جاءت بعض تشريعات الإسلام على اعتبار وجود الجماعة المؤمنة سواء في
مجال العبادات أو المعاملات، كما جاءت التوجيهات الإسلامية في الحث على لزوم الجماعة
والتحذيرات الشديدة من مفارقة الجماعة .

وسيتبين لنا من هذا العرض الموجز لبعض ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله
(ﷺ) من الاهتمام بالجماعة كيف أن الله جل وعلا بهذا الدين العظيم كان يريد قيام الجماعة
الإسلامية القوية المتماسكة التي هي على مستوى البشر جميعاً، وحماها جل وعلا بتشريعات
محكمة حتى أصبحت من القوة والرسوخ بحيث تندق دون الوصول إلى تفكيكها معاول
المخربين والمفسدين في الأرض .

وقد كان عنوان البحث المقترح ضمن الخطة التي وضعها منظموا هذا المؤتمر (الوحدة
الإسلامية في القرآن والسنة) ولكن اللفظ الذي تكرر في الكتاب والسنة كثيراً هو لفظ الجماعة
ولذلك آثرت أن يكون عنوان هذا البحث (الجماعة في ضوء الكتاب والسنة) .

الجماعة هي الأصل والفرقة أمر حادث :

كان الناس في أصل وجودهم على هذه الأرض أمة واحدة تنحدر من نسب واحد، وكانوا على الإسلام دين أبيهم آدم - عليه السلام - فاختلّفوا على هذا الدين وتفرّقوا فبعث الله النبيين عليهم السلام لبيّنوا للناس الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله تعالى مبشرين من اتبعه بالسعادة ومنذرين من حاد عنه بالشقاء، قال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾. (البقرة: ٢١٣).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما : كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلّفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: هي في قراءة عبد الله: «كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا»^(١).

فالله سبحانه أراد للبشر أن يكونوا أمة واحدة كلهم على الهدى ولكنهم اختلفوا فتفرّقوا .

ولو تذكر الناس دائماً أن أباهم واحد وأمهم واحدة لكان ذلك دافعاً لهم إلى الاجتماع والتآلف، ولذلك ذكرهم الله تعالى بهذا حيث يقول: ﴿يا أيها الناس إنّنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير﴾. (الحجرات: ١٣).

فالله جل وعلا قسمهم إلى شعوب وقبائل ليعرف بعضهم بعضاً فيتواصلوا لما بينهم من الرحم لا ليفتخروا بأنسابهم ويختلفوا، ولذلك قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

عوامل تكوين الجماعة الإسلامية :

لقد شرع الله جل وعلا أسباباً لتكوين الجماعة الإسلامية ثم لتقويتها فمن ذلك :

١ - الإيمان بالإسلام عن وعى وبصيرة :

إن أول ما يشعر الإنسان بانتائه لجماعة المسلمين هو دخوله في الإسلام عن وعى وفهم وبصيرة، ذلك أن مجرد فهمه للهدف الذي يسعى إلى تحقيقه هو والمسلمون جميعاً وهو عمارة الأرض بطاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته يجعله يشعر بالرابطة التي يجتمع المسلمون جميعاً

(١) تفسير ابن كثير : (١/٢٥٩).

عليها لبلوغ هذا الهدف، وشعوره بهذه الرابطة هو أول عنصر من عناصر تكوين الجماعة الإسلامية .

فالمسلم حينما يرسخ الإيمان في قلبه يبحث فوراً عن المؤمنين الذين يشاركونه في السعي لبلوغ هذا الهدف، والذي أمره الله جل وعلا أن يصبر نفسه معهم على عبادة الله وابتغاء مرضاته، ثم هو يبحث دائماً عن تكاليف هذا الدين التي نظمت علاقاته مع إخوانه في الإيمان، التي تهدف في النهاية إلى إيجاد المجتمع المسلم .

٢ - الأمر بلزوم الجماعة :

علمنا أن الإيمان بهذا الدين يقتضى ضرورة الانتماء إلى جماعة المسلمين، ومع ذلك جاءت الأوامر الشرعية مؤكدة ضرورة لزوم هذه الجماعة، وذلك :

أولاً : لأن النفوس تغفل كثيراً عن فهم واجباتها، كما أنها تتكاسل أحياناً عن أداء الواجب .

وثانياً : لأن التفلت من الجماعة وعدم الاهتمام بأمور المسلمين له خطره العظيم على حياة هذه الأمة في الدنيا والآخرة .

ولذلك لما أمرنا الله جل وعلا بالالتزام بهذا الدين العظيم الذي هو حبل الله المتين كان أمره بأن نلتزم به جميعاً ونهانا عن التفرق حيث يقول تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ . (آل عمران : ١٠٣) .

قال أبو جعفر بن جرير في تفسير هذه الآية : يعنى بذلك جل ثناؤه : وتعلقوا بأسباب الله جميعاً، يريد بذلك تعالى ذكره : وتمسكوا بدينه الذى أمركم به وعهده إليكم فى كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله، ثم استدل على ذلك بما أخرجه عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - من طريقين أنه قال فى هذه الآية : حبل الله الجماعة .

وفى هذه الآية دليل على أن لزوم جماعة المسلمين من ضرورات هذا الدين، ومما يوضح ضرورة لزوم جماعة المسلمين مع التمسك بأصول الدين ما أخرجه الإمام مالك وأحمد من حديث أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال، وكثرة السؤال»^(١) .

(١) مسند أحمد : (٣٧٧/٢)، موطأ مالك، كتاب الكلاء : (ص ٩٩٠)

وهذا صريح في أن المسلمين لن يجوزوا رضا الله جل وعلا عنهم إذا رضوا بالتفرق والانقسام ولم ينصحوا لولاة أمورهم بما ينجيهم واياهم من المسئولية أمام الله تعالى وإن كانوا قد عبدوا الله وحده ولم يشركوا به شيئاً لأن ذلك من تحقيق توحيده .

وقد جاء الأمر صريحاً من رسول الله (ﷺ) بلزوم الجماعة كما جاء في حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال : خطبنا عمر بالجابية . فقال : يا أيها الناس انى قمت فيكم كما قام رسول الله (ﷺ) فقال أوصيكم بأصحابي . . . إلى أن قال : عليكم بالجماعة واياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من اراد بحبوة الجنة (١) . فليلزم الجماعة ، من سرتة حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن . رواه الإمام أحمد والترمذى وعبد الرزاق الصنعاني (٢) .

ولزوم الجماعة من أسباب التحلى بالأمانة والبراءة من الخيانة كما جاء في قوله (ﷺ) : «ثلاث لا يُغفل عليهن قلب أمرىء مسلم : اخلاص العمل لله ، والنصيحة لكل مسلم ، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعاءهم محيط من ورائهم» . (اخرجه الإمام الدارمى) (٣) .

وقوله : «يغل» بضم الياء وكسر الغين من الاغلال وهو الخيانة ، ويروى بفتح الياء وكسر الغين من الغل وهو الحقد - ذكره ابن الاثير فى النهاية - ولعل قوله : من الاغلال بمعنى الخيانة اقرب إلى معنى الحديث لأن المعنى أن هذه الخصال الثلاث لا يتصور أن تقع الخيانة فيهن من مؤمن صادق فى إيمانه إذ أن الخيانة فى خصلة من هذه الخصال تتنافى مع الإيمان .

وقد شدد رسول الله (ﷺ) النكير على من فارق الجماعة فاعتبره مخالفاً لهدى الإسلام وطريقه القويم ، فقد اخرج الإمام أحمد من حديث أبى هريرة -رضى الله عنه - عن النبى (ﷺ) قال : الصلاة إلى الصلاة التى قبلها كفارة والجمعة إلى الجمعة التى قبلها كفارة والشهر إلى الشهر الذى قبله كفارة إلا من ثلاث قال : فعرفنا أنه من أمر حدث : إلا من الشرك بالله ونكث الصفقة وترك السنة قال : قلنا يا رسول الله هذا الشرك بالله قد عرفناه فما نكث الصفقة وترك السنة؟ قال : أما نكث الصفقة فان تعطى رجلاً بيعتك ثم تقاتله بسيفك ، وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة (٤) .

(١) بحبوة الجنة يعنى وسطها ، يقال تبحيح إذا تمكن وتوسط المنزل - النهاية .

(٢) مسند أحمد : (٢٦/١) . سنن الترمذى : كتاب الفتن باب رقم (٧) ، المصنف رقم : (٢٠٧١٠) .

(٣) سنن الدارمى : (ص ٧٦) .

(٤) مسند الإمام أحمد : (/ ٥٠٦) .

٣ - الالتزام بالاخوة الإيمانية :

أمر الله جل وعلا المسلمين جميعاً بالتأخي وشرع التعامل بينهم على أساس الاخوة في الله فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ ﴾ . (الحجرات : ١٠) ، فجعل الله تعالى الأمر بالاصلاح بين المؤمنين مرتباً على ما بينهم من الأخوة في الله ، ذلك لأن شعور المسلم بانه يتعامل مع أخيه يزيل ما في نفسه من الاخلاق السيئة كالحسد والاثرة وسوء الظن ، كما أن شعوره بأنه أخوه يمنعه من الاعتداء عليه ويوجب عليه نصرته ، وفي هذا المعنى يقول رسول الله (ﷺ) : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرؤ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » . اخرجه الإمام مسلم (١) .

وإذا وجدت الأخوة الإسلامية فإن المسلمين سيجمعون على هدف واحد ومنهج واحد وهذه هي الجماعة التي أمر الله جل وعلا بلزومها .

ومن ابرز ما يقوى الأخوة الإسلامية التعارف بين المسلمين وقد جعل الله سبحانه التعارف حكمة لتقسيم الناس إلى شعوب وقبائل ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ . (الحجرات : ١٣) . يعني ليتم التعارف بينكم فترتب عليه الصلة والمحبة لا التفاخر بالنسب والتباغض .

وقد شرع الله جل وعلا للمسلمين ما يقرب بعضهم من بعض ويكون وسيلة للتعارف بينهم فمن ذلك :

(أ) تبادل التحية :

فقد أمرنا رسول الله (ﷺ) بإفشاء السلام واعتبره دافعاً إلى المحبة التي هي شرط الإيمان حيث يقول : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا ادلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ . افشوا السلام بينكم » . اخرجه الإمام مسلم (٢) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر رقم : (٣٢) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث رقم : (٩٣) .

والسلام ليس على من نعرف فقط بل هو أول السبل إلى التعارف ولذلك لما سئل رسول الله (ﷺ) أى الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». أخرجه الإمام البخارى ومسلم^(١).

فالسلم على من نعرف لتوثيق المحبة والأخوة، والسلم على من لا نعرف لايجاد التعارف الذى هو مدخل الاخوة الإسلامية .

ومن أجل ان تتوثق الصلة بين المؤمنين وتتقوى روابط الجماعة بينهم أمرنا الله عزوجل برد التحية بأحسن منها فقال تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾. (النساء: ٨٦)، لأن الذى بدأ بالتحية قد تقدم بالفضل فينبغى لمن يرد عليه أن يبادلـه الفضل بالمبالغة فى التحية .

(ب) التزاور بين المؤمنين :

لقد ارشدنا رسول الله (ﷺ) إلى تبادل الزيارات لأن ذلك يقوى الصلة، ويثبت الأخوة فقد بين (ﷺ) الجزء الأعظم للمتزاورين فى الله حيث يقول: «إذا عاد الرجل أخاه أو زاره قال الله له: طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلاً فى الجنة». أخرجه الإمام البخارى فى الأدب المفرد^(٢).

وكما فى قوله (ﷺ): «قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتزاورين فى والمتبازلين فى». أخرجه الإمام مالك فى الموطأ^(٣).

ففى هذه الأحاديث وغيرها حث المسلمين على مبادلة الزيارات بينهم حتى تتقوى الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع الإسلامى .

وربما يكون الإخوان المتحابون فى الله متفرقين فى البلاد فيصيبهم الكسل وتقعدهم بهم العوائق الدنيوية عن السفر من أجل زيارة إخوانهم فقد جاءت التوجيهات النبوية تبشرهم بما أعدده الله لمن تحمل مشقة السفر لا لغرض من اغراض الدنيا بل لزيارة أخ له فى الإسلام حيث أخرج الإمام مسلم من حديث أبى هريرة -رضى الله عنه- عن النبى (ﷺ): «أن

(١) صحيح البخارى، كتاب الإيمان حديث رقم: (٢٨) .

صحيح مسلم، كتاب الإيمان حديث رقم (٦٣) .

(٢) الأدب المفرد ص (٩٦) رقم: (٣٥١٠) .

(٣) الموطأ، كتاب الشعر رقم: (١٦) .

رجلا زار أحواله في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ . قال : أريد أحوالي في هذه القرية، قال : هل لك عليه من نعمة تريها؟ . قال : لا غير أنى أحبته في الله عز وجل ، قال : فانى رسول الله إليك : بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه»^(١) .

وفى هذا رفع اللهم المريضة المتعاسة عن المزيد من توثيق عرى الروابط الاجتماعية بين المتعارفين بتوثيق المحبة المتبادلة التى يثبتها ويرسخها فى النفوس كثرة الزيارات فإنها من العوامل المهمة لبناء صرح الاخوة الإسلامية وحمائتها من التصدع والانهيال .

٤ - عمارة المساجد بطاعة الله تعالى :

فالمسجد هو مركز اجتماع أهل الحى بواسطته يتعارفون ، وبتجدد اللقاء يتآلفون ، وهو وسيلة من وسائل جمع شمل الأمة وتوثق رابطة الأخوة الإسلامية ثم هو بالتالى من دعائم تكوين الجماعة الإسلامية التى هى ضرورة من ضرورات هذا الدين .

وبواسطة المسجد يعرف المسلمون أحوال جيرانهم ، فيتعرفون على أخبارهم ، فمن مرض منهم عادوه وقدموا له ما يحتاج من المساعدة ، ومن غاب منهم تفقدوا أحوال أسرته وقاموا بما كان يقوم به إذا حضر ، ومن عليه دين فاعسر أو نزلت به نائبة واسوه باموالهم حتى يزول عنه عسره .

وبهذا يصبح الجيران فى الحى الواحد كأنهم أسرة واحدة وبغير المسجد لا يستطيع الجيران أن يتعارفوا ولا أن يتآلفوا وبالتالى تسود فى المجتمع الانانية والفردية فلا يجد الفقير والمريض من يمد إليه يد المساعدة ولا يأمن الإنسان على أهله إذا غاب عنهم لأنه ليس بينه وبين جيرانه ألفة ومودة .

وعلى هذا النحو تفسر المجتمعات البعيدة عن الإسلام لأنها لا تملك المبادئ السامية التى توجد الاخاء والتكامل الاجتماعى .

وقد يضم الحى الواحد طبقات متفاوتة فى الغنى والجاه . . . وبالتالى تتفاوت درجاتها فى مظاهر الحياة من مسكن ومركب وملبس ، وهذه المظاهر تزيد من الفجوة بين الطبقات لأن من يسكن فى القصور الشاهقة ويركب فى المراكب الفخمة قد يتكبر على من بجواره من اصحاب المساكن المتواضعة والمعيشة البسيطة ، وهؤلاء فى نفس الوقت لا يحاولون التعرف

(١) صحيح مسلم : كتاب البر رقم : (٣٨) .

على الكبراء لأنهم يرون أنهم طبقة أعلى منهم وبالتالي تنفصم الروابط الاجتماعية وتحصل الفجوة بين أفراد هذه الطبقات حيث تضعف الأخوة الإسلامية وتتضاءل دوافع التكامل الاجتماعى وبالتالي يختل الأمن فى المجتمع وتكثر حوادث الاعتداء وتبقى بعض طبقات المجتمع فى حالة شديدة من البؤس والشقاء .

ولكن بوجود المسجد تزول هذه الفوارق لأن الجميع يصفون صفاً واحداً خلف إمام واحد وليس لاحد أفضلية على أحد، وفى صلاة الجماعة فى المسجد فرصة كبيرة للكبراء كى يتذكروا بأنه ليس باستطاعتهم فى كل وقت أن يتعالوا على الضعفاء، وبالتالي يتضاءل ما فى نفوسهم من التكبر عن الاجتماع مع من هم دونهم منزلة فى الحياة الدنيا، كما أن فى ذلك فرصة للفقراء كى يسموا بأنفسهم ويعلموا بأن الفقر لا يحول بينهم وبين الوقوف جنباً إلى جنب مع الأغنياء .

ولذلك كانت صلاة الجماعة فى المسجد تفضل صلاة الرجل بسبع وعشرين درجة كما أخرج الإمام البخارى من حديث ابن عمر -رضى الله عنهما- أن رسول الله (ﷺ) قال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة». وفى رواية أخرى للبخارى: «صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمساً وعشرين ضعفاً»، وفى هذه الرواية دليل على أن صلاة الجماعة لا يعتبر لها هذا الثواب إلا إذا كانت فى المسجد^(١).

ومسجد الحى هو بداية التعارف والتآلف لأن مداومة اللقاء فى جو المسجد الروحى والصلاة جماعة فيه من أقوى الروابط التى تربط بين جماعة المسلمين اضافة إلى ما يقوم به إمام المسجد من تذكير الجماعة بواجبهم فى التآلف والتآخى وإصلاح ذات البين .

وهذا التعارف والتآخى مرحلة لتعارف أكبر وتآلف اشمل حيث يجتمع المسلمون فى القرية الواحدة أو أهل جزء من المدينة يوم الجمعة فى مسجد واحد، ومهمة خطيب الجمعة فى هذا المجال أن يكمل ما بدأه المسلمون من التآخى فى أحياء مختلفة ومساجد متعددة وذلك بالتركيز على معانى الأخوة الإيمانية ولزوم الجماعة الإسلامية . . . حتى يخرج المسلمون من المسجد وهم يشعرون بأن لهم أخوة فى الله كثير ون يكفى أنهم يرون منهم يوم الجمعة هذا الحشد الكبير .

(١) صحيح البخارى : كتاب الصلاة حديث رقم : (٦٤٥-٦٤٧)

إن المسلم يوم الجمعة ليس بإمكانه أن يتعرف على من في المسجد من الأمة ولكن يكفى شعوره بأن جميع من صلوا معه أخوة له في الإيمان وان يشعر بأن هؤلاء ليسوا إلا نموذجاً واحداً لمجموعات كبيرة من اخوته في الله في سائر بقاع المعمورة .

إن موضوع التذكير بواجبات الأخوة الإسلامية والتركيز على لزوم الجماعة من أهم الموضوعات التي يجب على خطيب الجمعة أن يهتم بها لأنها تجسم الحكمة التي من أجلها شرعت صلاة الجمعة والجماعة .

ونظراً لما لصلاة الجمعة من الأهمية البالغة في الإسلام فقد جاء التخليط الشديد في وعيد تاركها كما أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة وابن عمر - رضی الله عنهما - أنها سمعاً رسول الله (ﷺ) يقول على أعواد منبره: «ليتتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» .

وهل أعظم غفلة ممن حرم نفسه من استماع الموعظة الأسبوعية الوحيدة التي فرض عليه سماعها واداء الصلاة جماعة مع العدد الكبير من إخوانه المسلمين .

ثم تتجلى رابطة الجماعة الإسلامية بشكل آخر حيث يخرج المسلمون في صلاة العيد مرتين في العام خارج البلد .

ثم هناك الاجتماع السنوي الكبير حينما يفد الحجاج إلى بيت الله الحرام فإن فيه مجالاً كبيراً لتعارف المسلمين وتآلفهم وكم من تعارف وإخاء كان مبدؤه اللقاء في الحج ثم ينمو ويبقى بعد ذلك بالاتصال المتكرر .

وليت المسلمين الذين يحجون هذا البيت الحرام يدركون هذا المعنى السامى فيخططون للاستفادة الكاملة من الحج في هذا المجال فإنه من حكم الحج وأسراره .

وهذه الاجتماعات المتكررة التي أمر الله بها جل وعلا عن طريق العبادات التي شرعت لتزكية النفوس وجمع شمل المسلمين تتكون الجماعة الإسلامية على مستوى الحى فالقرية فالأمة من جميع اقطار الإسلام ، وبملازمة هذه العبادات والادراك السليم لحكمة تشريعها تنمو جامعة الإسلام وتقوى ثم تؤتى ثمارها المطلوبة في حماية الإسلام والمسلمين ونشر الإسلام في ربوع هذه الأرض .

أثر الجماعة في قوة الأمة

حينما تكون الأمة مجتمعة على هدف واحد وتسير صفاً واحداً فإن دولتها تكون قوية مهيبة الجانب ولا يطمع الأعداء في اقتطاع جزء منها، وحينما تتفرق إلى دويلات وتتعدد أهدافها يسهل على الأعداء أضعاف قوتها والاستيلاء على ما يريدون منها، هذا على مستوى الأمة، وكذلك على مستوى الأفراد، فالجماعة وإن كان فيهم بعض الضعفاء لهم من القوة والهيبة ما ليس للأفراد وإن كانوا اقوياء، وفي هذا المعنى يقول رسول الله (ﷺ): «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً - وشبك بين أصابعه - أخرج الشيخان^(١) فالبناء مكون من مجموعة من المواد المتناثرة التي يسهل على اللصوص اختطاف شيء منها ولكن حينما تجتمع هذه المواد وتدخلها يد الفن والتعمير تصبح قصراً شاهقاً يصعب اقتطاع جزء منه ويصبح له كيان يدهش الناظر ويعجب المتأمل .

وحينما كانت الأمة الإسلامية دولة واحدة لم يكن الأعداء يقدمون على الاستيلاء على أراضيها بالرغم من ضعف دولة الإسلام آنذاك وحينما استطاع الأعداء أن يقضوا على الخلافة الإسلامية هان عليهم الاستيلاء على أجزاء كثيرة من بلاد الإسلام .

ولقد وقف الأعداء حائرين زمناً طويلاً أمام وحدة هذه الأمة فلم يستطيعوا أن يقتطعوا منها شيئاً لأن هيبة الدولة الإسلامية واجتماع الكلمة كانت تقف سداً منيعاً أمام كل محاولاتهم بالرغم مما كان يعترى وحدة الأمة الإسلامية من التصدع والضعف، ولكن اجتماع الكلمة مهما كانت نسبته من القوة والتماسك خير من الفرقة والخلاف .

أثر لزوم الجماعة في النصر على الأعداء

إن الجماعة المؤمنة حينما تكون صفاً متماسكاً وتواجه أعدائها وهي كتلة واحدة جديرة أن تظفر بنصر الله جل وعلا وأن تحول بين أعدائها ومحاوله تفتيت شملها واضعاف قوتها . ذلك أنه مهما قل عددها وقلت عدتها فانها قوية بتماسكها واجتماع كلمتها أمام أعدائها الذين مهما بلغ عددهم وقويت عدتهم فانهم ضعفاء بتفرق كلمتهم واختلاف مقاصدهم، إذ أنه لا يمكن لجماعة على وجه الأرض ان يتآلف أمرها وتجتمع كلمتها بالمستوى الذي تكون عليه الجماعة الإسلامية ولا بمستوى يقرب منه، ذلك أن الذي ألف بين الجماعة

(١) صحيح البخارى : كتاب الصلاة رقم : (٤٨١)، صحيح مسلم : كتاب البر رقم : (٦٥) .

الإسلامية هو الله جل وعلا والذي يؤلف بين الجماعات الأخرى هم البشر أنفسهم ، ولا يمكن بحال أن يوضع تشريع الله جل وعلا في المقارنة مع تشريع البشر، بل إن مجرد التفكير في ذلك يعتبر انحطاطاً في التفكير وانقلاباً في المفاهيم حتى رسول الله (ﷺ) الذي هو أفضل البشر وأقدرهم على جمع الكلمة ما كان باستطاعته لولا وحى الله الذي يتنزل عليه أن يؤلف بين قلوب البشر: ﴿وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ . (الأنفال : ٦٣) .

أضف إلى ذلك أن الهدف الذي من أجله جمع الله المؤمنين وشرع لهم الجهاد وهو ابتغاء رضا الله جل وعلا والسعادة في الدار الآخرة يدفع المؤمنين إلى التضحية بالأموال والأنفس لأن هذه التضحية هي الطريق الصحيح لبلوغ هذا الهدف، وكلما بالغ المؤمن في بذل ماله ونفسه في سبيل الله كان أسرع إلى بلوغ هذا الهدف السامى .

أما الجماعات الأخرى فان مقاصدها قريبة وأهدافها مقصورة على الحياة الدنيا والسبيل الأمثل للوصول إلى هذه الأهداف هو استبقاء الحياة لا طول فترة ممكنة حتى يتمتع الإنسان بثمرات انتصاره وبالتالي يقع الفشل والتراجع أمام اقدام الجماعة الإسلامية على بذل الأموال والأنفس في سبيل الله .

وبينما نجد الجماعات الدنيوية تتنافس على الوصول إلى هذه الأهداف التي تفرض عليها الاحجام والتردد وتفرق الكلمة فإننا نجد أن الجماعة الإسلامية تتنافس في الوصول إلى هدف يفرض عليها الاقدام والتضحية واجتماع الكلمة .

ومن هنا نعلم أن أعداء المؤمنين مهما كثروا وقويت عدتهم فهم ضعفاء لدناءة مقاصدهم وتفرق كلمتهم . وان أظهروا الاجتماع على حرب المسلمين: ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ . (الحشر: ١٤) . والمسلمون مهما قلوا وضعف استعدادهم فهم أقوى باتحاد هدفهم وسمو مقصدهم واجتماع كلمتهم ماداموا مؤمنين حقا بالإسلام .

وفي هذه الآية الكريمة أقوى رادع للمؤمنين عن التفرق واختلاف الكلمة لأنهم حينما يتفرقون لا يظفرون بحب الله جل وعلا والمحروم من الخير من حرم من محبة الله سبحانه وتعالى .

ولقد أثبت الله جل وعلا محبته للمؤمنين الذين يقاتلون أعداءهم صفا متماسكا: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ . (الصف : ٤) .

وحينما يتفرقون تكثر الفجوات التي ينفذ منها الأعداء إلى جسم الأمة الإسلامية فيسهل عليهم القضاء عليها خصوصاً إذا بلغ المسلمون من ضعف الإيمان إلى الحد الذي يخل فيه بعضهم بعضاً ويتيحون الفرصة للأعداء كي يقضوا عليهم .

عوامل تفريق الجماعة

وبعد أن عرفنا عوامل تقوية الجماعة الإسلامية فإن هناك أسباباً تضعف الجماعة أو تفرق شملها فمن هذه الأسباب :

١ - الدعوة إلى العvisية :

علمنا مما مضى أن سر اجتماع المسلمين جميعاً في جماعة واحدة على مختلف أجناسهم ولغاتهم والوانهم هو كونهم جميعاً ينشدون الوصول إلى هدف واحد هو طلب رضوان الله عز وجل ، ومعلوم أن الوصول إلى تحقيق هذا الهدف يفرض عليهم الاجتماع والتآخي والتآلف ، فإذا ما أوجدوا لأنفسهم مقاصد مخالفة وأهدافاً متضاربة فإنهم تبعاً لذلك يختلفون ويتناحرون وتنحل جماعتهم وبالتالي تضعف قوتهم وتذهب ريحهم .

ولقد أدرك أعداء الإسلام فعالية هذا السلاح المدمر فحاولوا اشعال نار الفتنة بين المسلمين منذ بزوغ شمس هذا الدين وقيام الجماعة الإسلامية ، وأول من حاول تفريق جماعة المسلمين هم اليهود وذلك عند تكوين أول جماعة إسلامية في المدينة المنورة حيث كانوا يذكروهم بحروبهم الجاهلية وعصبيتهم الممقوتة فمن ذلك ما حدث من أحد كبار اليهود حيث أمر شاباً منهم أن يعمد إلى مجلس الأنصار فيذكرهم بيوم بعث آخر أيام حروبهم في الجاهلية وأن ينشدهم ما قيل فيه من الأشعار، فثارت بينهم حمية الجاهلية وتواعدوا للقتال في الحرة خارج المدينة ولما خرجوا للقتال علم رسول الله (ﷺ) فخرج إليهم مع بعض الصحابة فأدركهم قبل أن يقتتلوا فقال : «يا معشر المسلمين ، الله الله ابدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم من الكفر وألف بين قلوبكم» . فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله (ﷺ) سامعين مطيعين . وقد ذكر ابن إسحاق هذه الرواية مطولة (١) .

(١) سيرة ابن هشام : (٣٩٦/٢) ، تفسير الطبري : (٥٦/٧) .

وهكذا أدركهم النبي (ﷺ) قبل أن يتفرقوا وكان لهم من إيمانهم القوى ما غطى علي نزعة الجاهلية، ولكن المسلمين بعد عصر الصحابة - رضى الله عنهم - قد استجابوا اما قليلا وإما كثيراً لنداء العصبية الجاهلية فقامت بينهم بسبب ذلك الحروب الطاحنة التي اضعفتهم على مدى العصور وكان آخر ذلك الدعوة للقوميات التي شتت شمل الأمة حتى استطاع الأعداء بسبب ذلك أن يقضوا على الخلافة الإسلامية وأن يقسموا بلاد الإسلام إلى دويلات صغيرة .

٢ - انتشار الأخلاق السيئة في المعاملات :

وذلك فيما يتعلق بأفراد المجتمع في تعاملهم فيما بينهم ، فمن الأخلاق السيئة التي تدمر جماعة الأمة الكذب والغيبة والنميمة وسوء الظن ، فالكذب خلق ذميم يدل انتشاره في المجتمع على انحطاطه وانهايار تحصيناته الواقية من الرذائل .

فالتحرز من الكذب يقى المجتمع من الأخبار المختلفة التي يقصد من وراء اختلاقها وترويجها افساد الأمة واطعاف معنويتها وقد تؤدى إلى التناحر والشقاق بين الأمة الواحدة .

والتحرز من الكذب ينتج معاملات سليمة لا غش فيها ولا خداع ولا تزوير، والتعامل النزيه كما أنه يقى المجتمع من التفكك الذى يحدثه التباغض والاثرة فإنه يعطى الأمة سمعة جيدة تجعل الأمم الأخرى تحترمها وتحاول تقليدها .

ولهذا فإن النبي (ﷺ) نفى الإيمان عن الكذابين كما أخرج الإمام مالك عن صفوان ابن مسلم قال : قيل لرسول الله (ﷺ) : أياكون المؤمن جباناً؟ فقال : نعم ، فقيل له : أياكون المؤمن بخيلاً؟ فقال : نعم ، فقيل له : أياكون المؤمن كذاباً؟ فقال : لا (١) .

والإسلام كما حرم الكذب فقد حرم عيب المؤمنين في حال غيبتهم وإن لم يشتمل ذلك على الكذب لأن كلام المغتاب حينما يبلغ من وقع عليه يؤثر على ما بينهما من رابطة الأخوة فيبدأ التفكك من داخل المجتمع ، وأشد من ذلك ضرراً وأبلغ أثراً في تقطيع أوصال الأمة نقل كلام المسلمين في إخوانهم على وجه الافساد بينهم .

ولذلك كثرت في الكتاب والسنة التحذيرات المنفرة من الغيبة والنميمة قال تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً يجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ . فاعتبر جل

(١) الموطأ : كتاب الكلام رقم : (١٩) .

وعلا الغيبة قتلاً للأمة فالذى ينتهك أعراض المسلمين إنما يقطع جسم الأمة ، فليتصور أمتة وهى أشلاء ممزقة فإنه فى تمزيقها سهم وافر .

كما جعل الله جل وعلا الغيبة والنميمة من أخلاق أعتى الكفار وأعنفهم حيث قال تعالى : ﴿ هَازِمٌ مِّثْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ .

أما سوء الظن فهو الشرارة الأولى فى إحراق جبل الأخوة الإسلامية لأن الإنسان قد يسمع من أخيه كلاماً فيه احتمال الخير والشر فإذا خلا الإنسان إلى تفكيره بعد ذلك وسوس إليه الشيطان فقلل فى فكره جانب الخير وضخم جانب الشر حتى يوقع بين المؤمنين ثم قد يبنى على سوء الظن هذا تصرفات أخرى حيث ينظر إليها من زاوية الشر فتقع بعد ذلك القطيعة بين أفراد المجتمع ، والمجتمع مكون من الأفراد فإذا كثر التقاطع بينهم أثر ذلك على تماسك الجماعة وقوتها ، ولذلك حذرنا الله جل وعلا من سوء الظن فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ . (الحجرات : ١٢) . وقال رسول الله (ﷺ) : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » . أخرجه الإمام مسلم^(١) .

مظاهر الانتماء للجماعة :

إن الانتماء إلى جماعة الإسلام له مظاهر تبين صدق هذا الانتماء ومقدار قوته من ضعفه ومدى فعاليته فى المجتمع فمن ذاك :

١ - طاعة الإمام المسلم فى الحدود التى أوجبها الله تعالى وذلك لأن المجتمع لا ينتظم أبداً بغير طاعة ولى الأمر ومن يوليهم نوابا عنه .

٢ - الالتزام بأنظمة المجتمع التى تنبثق من الإسلام أو التى يرى علماء الدين أنها توافق الإسلام ولا تتنافى مع تشريعاته الحكيمة ، إذ أن التمرد على هذه الأنظمة أو استغلال غفلة الرقباء على تنفيذها يحدث خللاً فى المجتمع فيضعف الشعور بالمسئولية ويسود الرعاع من الناس الذين لا يحاولون فهم هذه الأنظمة ولا يراعون حرمتها ، وبذلك تسود الفوضى ويعم الفساد فى الأرض .

(١) صحيح مسلم : كتاب البر رقم : (٢٨) .

٣ - الاهتمام بأمور المسلمين فلا يكون المسلم ملتزماً بالجماعة حتى يهتم بأحوال اخوانه المسلمين في جميع بقاع الأرض ويشعر بمشاعرهم فيفرح لفرحتهم ويغتم إذا حل بهم مكروه ويشاركهم في مصائبهم فيبذل لهم من نفسه وماله ويكثر من الدعاء الخالص لهم حتى يزول كربهم وتصلح أحوالهم .

فالذين يعيشون حياتهم وليس لهم صلة باخوانهم المسلمين في بقاع الأرض فلا يسألون عن أخبارهم ولا يهتمون بها إذا سمعوا عنها ولا يفرحون لانتصار المسلمين ولا يغتمون لهزيمتهم ولا يحاولون المشاركة في نجاتهم بما استطاعوا . . . هؤلاء مقصرون في لزوم جماعة المسلمين وأن كانوا ملتزمين بالإسلام في بعض تشريعاته .

وبعد :

فهذه لمحات موجزة أردت فيها أن أسلط الأضواء على هذا الموضوع الهام من باب التذكير بالواجب علينا جميعاً من أجل أن نخرج من هذا الاجتماع وقد علمنا تكليفاً كلفنا به الله تعالى ورسوله (ﷺ) نحولزوم جماعة المسلمين ولم أرد أن يكون بحثاً علمياً وإفياً نحو هذا الموضوع فليس هذا المجال مما يسمح بمثل هذا البحث والله وحده المستعان فهو جل وعلا حسبنا ونعم الوكيل . . .

صلاة الجماعة

٢- - للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

الرخصة في إعادة الجماعة لمن صلاها منفردا:

١ - حديث أبي ذر الغفاري :

قال : قال لي رسول الله ﷺ : «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميّتون الصلاة، أو قال : يؤخرون الصلاة عن وقتها. قلت : ما تأمرني؟ قال : صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة» (١).

وفي رواية مسلم : عن أبي العالية البراء قال : أخرجني الصلاة، فأتاني عبد الله بن الصامت، فألقيت له كرسيًا فجلس عليه، فذكرت له صنع زياد فعرض علي شفّتيه، وضرب علي فخذي، وقال : إني سألت أبا ذر كما سألتني ففخذي كما ضربت فخذك، وقال : إني سألت رسول الله ﷺ كما سألتني ففخذي كما ضربت فخذك. فقال رسول الله ﷺ : «صل الصلاة لوقتها فإن أدركت معهم فصل، ولا تقل إني قد صليت فلا أصلي» .

قال النووي : وفيه دليل على أن الإمام إذا أخرج الصلاة عن أول وقتها، يستحب للمأموم أن يصلّيها في أول الوقت منفرداً، ثم يصلّيها مع الإمام. فيجمع فضيلتي أول الوقت والجماعة .

٢ - حديث ميمون الأودي :

قال : قدم علينا معاذ بن جبل اليمن رسول رسول الله ﷺ إلينا، قال : فسمعت تكبيره مع الفجر، رجل أجش الصوت قال : فألقيت عليه محبتي فما فارقت حتى دفنته بالشام ميتاً. ثم نظرت إلى أفضه الناس بعده، فأتيت ابن مسعود فلزمته حتى مات. قال : قال لي رسول الله ﷺ : كيف بكم إذا أتت عليكم أمراء يصلون الصلاة لغير ميقاتها؟ قلت : فما

(١) رواه مسلم : (١٤٧/٥) مع النووي) وأبو داود (٢٤٨/١) مع المنذري) والترمذي (٥٢٤/١) مع التحفة) والنسائي (٧٥/٢) وابن ماجه (٣٩٨/١) كلهم عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر - رضي الله عنه .

تأمرني ان أدركني ذلك يارسول الله؟ قال: صل الصلاة لميقاتها، واجعل صلاتك معهم سبحة^(١). . . سبحة: أى نافلة. أجش الصوت: أى غليظ الصوت بغنة .

وقد روى مثل هذا الأسود، وعلقمة، عن ابن مسعود في سياق أطول من هذا وهو الآتى .

وعمر بن ميمون الأودى أبو عبد الله، ويقال أبو يحيى، مخضرم مشهور وثقه ابن معين، والنسائي .

وهذا الحديث لم أجد من أخرجه غير أبى داود .

٣ - حديث ابن مسعود :

قال : قال لى رسول الله ﷺ : «لعلكم ستدركون اقواما يصلون الصلاة لغير وقتها، فان أدركتموه فصلوا الصلاة لوقتها وصلوا معهم ، واجعلوها سبحة» .

رواه النسائي وابن ماجه^(٢) من حديث أبى بكر بن عياش عن عاصم ، عن زر، عن ابن مسعود . ورواه مسلم^(٣) من حديث إبراهيم عن الأسود، وعلقمة قالاً : أتينا عبد الله بن مسعود في داره في سياق أطول من الحديث المذكور أعلاه .

وأما قول المنذرى : أخرج البخارى ومسلم والترمذى من حديث أبى عمرو، سعد ابن اياس الشيبانى عن ابن مسعود فهو في سياق آخر .

٤ - حديث محجن :

قال : أنه كان في مجلس مع النبى ﷺ فأذن بالصلاة، فقام رسول الله ﷺ فصلى ورجع ، ومحجن في مجلسه، فقال له رسول الله ﷺ : «ما منعك أن تصلى مع الناس ، ألسنت برجل مسلم؟» . قال : بلى يارسول الله ، ولكنى قد صليت في أهلى ، فقال له رسول الله ﷺ : «إذا جئت المسجد وكنت قد صليت ، فأقيمت الصلاة ، فصل مع الناس وان كنت قد صليت» .

(١) رواه أبو داود : (٢٤٨/١) قال المنذرى : حسن .

(٢) النسائي : (٧٥/٢) وابن ماجه : (٣٩٨/١) .

(٣) مسلم : (١٦-١٥/٥) .

رواه مالك في الموطأ، والنسائي، وأحمد في مسنده، والحاكم في المستدرک، (١) بطرق عن زيد بن أسلم، عن بسر بن محجن، عن أبيه .
 قوله : بسر : بضم الموحدة، وسكون المهملة، كذا قال مالك في روايته عن زيد بن أسلم . وقال الثوري عن زيد بن أسلم عن بشر- بكسر الموحدة، وبالشين المعجمة . والصواب ما قاله مالك . نص على ذلك أبو نعيم، وابن عبد البر، وابن حبان، وغيرهم . وهكذا رواه أحمد في مسنده عنه أيضا .

وبسر هذا تابعي مشهور، جزم بذلك البخاري والجمهور، وذكره البغوي وغيره في الصحابة . وأخرجوا من طريق ابن إسحاق، عن عمران بن أبي أنس، عن حنظلة بن علي، عن بسر بن محجن، قال : صليت الظهر في منزلي ثم خرجت بإبل لي لأضربها فمررت برسول الله ﷺ وهو يصلي في مسجده . . . الخ . ذكره الحافظ في الإصابة (٢) ، في القسم الرابع وهو خاص بمن ذكر في الصحابة على سبيل الوهم والغلط . ولذا عقب بعد ذكر الاسناد بقوله : وقد سقط من الاسناد قوله عن أبيه .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح . وقال الذهبي : تفرد عن محجن ابنه . ولكن عرفت ان ابن محجن وهو بسر من التابعين الثقات . فلا يضر تفرده .

٥ - حديث يزيد بن الأسود :

قال : شهدت مع رسول الله ﷺ حجته، فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف، فلما قضى صلاته انحرف، فإذا هو برجلين في آخر القوم لم يصليا معه، فجيء بهما ترعد فرائضهما، فقال : ما منعكما ان تصليا معنا؟ . فقالا : يارسول الله انا كنا قد صلينا في رحالنا . قال : فلا تفعلنا، إذا صليتما في رحالكما، ثم أتيتما مسجد الجماعة فصليا معهم فإيتا لكما نافلة .

رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأبو داود الطيالسي، وأحمد، وابن أبي شيبة، والحاكم (٣) بطرق عن يعلى بن عطاء عن جابر بن يزيد بن الاسود عن أبيه . قال الترمذي حسن صحيح .

(١) مالك : (٤٠٥/١) مع الزرقاني) والنسائي (١١٢/٢) وأحمد (٣٤/٤) والحاكم (٢٤٤/١) .

(٢) الإصابة : (١٨١/١) .

(٣) أبو داود (٢٩٩/١) والترمذي (٣/٢) والنسائي (١١٢/٢) وأبو داود الطيالسي (١٢٤٧) وأحمد (١٦٠/٤) وابن أبي شيبة

(٢٧٤/٢) والحاكم (٢٤٤/١) .

ونسب الحافظ في التلخيص^(١)، لابن حبان والدارقطني أيضا، ونقل تصحيحه عن ابن السكن ثم قال: قال الشافعي في القديم: إسناده مجهول. قال البيهقي: لأن يزيد بن الأسود ليس له راو غير ابنه، وهو جابر، ولا لابنه جابر راو غير يعلى. إلا أن الحافظ استبعد هذا الطعن. فقال: يعلى بن عطاء من رجال مسلم، وجابروثقه النسائي وغيره، وقد وجدنا لجابر بن يزيد راويا غير يعلى، أخرجه ابن مندة في المعرفة من طريق بقية، عن إبراهيم بن ذى حمية، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر. انتهى.

أقول: بقية وهو ابن الوليد والمعروف أنه مدلس، إلا أنه صرح بالسماع في رواية الدارقطني^(٢). عن إبراهيم.

ثم تواتر هذا الحديث عن يعلى بن عطاء. قال الحاكم^(٣) روى عنه شعبة، وهشام بن حسان، وغيلان بن جامع، وأبو خالد الدالاني، وأبو عوانة، وعبد الملك بن عمير، ومبارك ابن فضالة، وشريك بن عبد الله، وغيرهم، وقد احتج مسلم بيعلى بن عطاء. انتهى. ووافق على ذلك الذهبي. ويبدو من هذا أن عبد الملك بن عمير روى مرة عن جابر مباشرة، ومرة عن يعلى بن عطاء عن جابر.

وعبد الملك هذا رمى بالاختلاط لكبر سنه لأنه عاش مائة وثلاث سنين. وأخرج له الشيخان من رواية القدماء عنه في الاحتجاج، ومن رواية بعض المتأخرين عنه في المتابعات.

٦ - حديث يزيد بن عامر:

قال: جئت والنبي ﷺ في الصلاة فجلست، ولم أدخل معهم في الصلاة، فانصرف علينا رسول الله ﷺ فرأى يزيداً جالساً فقال: ألم تسلم يا يزيد. قال: بلى يا رسول الله قد أسلمت. قال: فما منعك أن تدخل مع الناس في صلاتهم. قال: إني كنت قد صليت في منزلي، وأنا أحسب أن قد صليتكم. فقال: إذا جئت إلى الصلاة فوجدت الناس فصل معهم، وإن كنت قد صليت تكن لك نافلة، وهذه مكتوبة، رواه أبو داود^(٤).

(١) التلخيص: (٢٩/٢).

(٢) الدارقطني: (٤١٢/١).

(٣) المستدرک: (٢٤٥/١).

(٤) (٣٠١-٣٠٠/١).

قال النووي في الخلاصة : اسناده ضعيف ، نقل عنه الحافظ الزيلعي في نصب
الراية^(١)، ولم يبين موضع الضعف . وبين ذلك الحافظ في التهذيب، فقال : فيه نوح بن
صعصعة حجازي جعله الدارقطني مجهولا، لأنه لم يروى عنه سوى سعيد بن السائب
الطائفي ولم يوثق . وقال في التقريب : هو مستور .

وقد ذهب البعض إلى أن يزيد بن الأسود، ويزيد بن عامر رجل واحد .

ومنهم من قال : قصة محجن شبيهة بقصة يزيد بن عامر ليتسنى له تضعيف قصة
محجن، لأن في قصة يزيد : نوح بن صعصعة ضعيف .

٧ - حديث أبي أيوب الأنصاري :

سأل رجل من بني أسد بن خزيمة أبا أيوب الأنصاري، فقال : يصلى أحدنا في منزله
الصلاة، ثم يأتي المسجد، وتقام الصلاة، فأصلى معهم، فأجد في نفسي من ذلك شيئا .
فقال أبو أيوب : سألنا عن ذلك النبي ﷺ فقال : فذلك له سهم جمع . رواه أبو داود مرفوعا،
ومالك موقوفا، والبيهقي بوجهين^(٢)، قال المنذرى : فيه رجل مجهول .

وهو الصواب فإنني لم أجد من سمي هذا الرجل من بني أسد بن خزيمة . قوله : سهم
جمع : أى يضعف له الأجر فيكون له سهمان منه قاله ابن وهب وقال غيره : جمع هنا أى
الجيش كقوله تعالى : ﴿ سيهزم الجمع ﴾ . قال ابن عبد البر : أى له أجر الغازي في سبيل
الله . والأول أشبه واصوب . وقد أوصى المنذرى الزبير لفلان كذا، ولفلان كذا، ولفلان
سهم جمع، فسئل عن ذلك فقال : نصيب رجلين .

هذه الأحاديث تدل على جواز إعادة الصلاة بالجماعة لمن صلاها في منزله منفردا . وهو
أمر متفق لدى جمهور العلماء على سبيل الاختيار والإيثار لإدراك فضيلة الجماعة .

وقد خالفه في ذلك بعض من لا يعتد بقولهم . وكانت حجتهم حديث ابن عمر مرفوعا
« لا تصلوا صلاة في يوم مرتين » .

رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، والدارقطني، وابن حبان، وابن أبي شيبة^(٣) .
كلهم بطرق عن عمرو بن شعيب، عن سليمان بن يسار مولى ميمونة . وسياق الحديث :

(١) (١٥٠/٢) .

(٢) أبو داود مع المنذرى، الطبعة الباكستانية . (٣٠١/١) ومالك (٤٠٧/١) والبيهقي (٣٠٠/٢) .

(٣) أبو داود (٣٠١/١) والنسائي (٢١٤/٢) وأحمد (١٩/٢، ٤١) والدارقطني (٤١٥/١)، وابن حبان (موارد الظمان ١٢١)

وابن أبي شيبة (٢٧٦/٢) .

يقول سليمان، أتيت على ابن عمر وهو بالبلاط، والقوم يصلون في المسجد، قلت ما يمنعك ان تصلى مع الناس، أو القوم؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تصلوا صلاة في يوم مرتين» .

قال المنذرى: وفي اسناده عمرو بن شعيب، وقد تقدم الكلام عليه، وهو محمول على صلاة الاختيار، دون ماله سبب، كالرجل يصلى ثم يدرك جماعة فيصلى معهم. وقد كان صلى ليدرك فضيلة الجماعة، جمعا بين الأحاديث .

أقول: إن النقاد اتفقوا على أن عمرو بن شعيب إذا حدث عن سعيد بن المسيب، أو سليمان بن يسار مولى ميمونة، أو عروة، فهو ثقة عن هؤلاء. نص على ذلك اسحاق بن منصور، ويحيى بن معين وغيرهما .

وقال ابن حبان: عمرو بن شعيب في نفسه ثقة يحتج بخبره إذا روى عن غير أبيه^(١). وقد صحح النووى اسناد هذا الحديث وذكروا عدة تأويلات، منها:

(١) المنع من أداء الصلاة مرتين اختيارا من غير سبب .

(٢) المنع لمن صلى الفرض مرتين بنية الفرض . وهو تأويل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، فانهما قالا: ان يصلى الرجل صلاة مكتوبة عليه، ثم يقوم بعد الفراغ منها فيعيد لها على جهة الفرض، وأما من صلى الثانية مع الجماعة على أنها نافلة اقتداء بالنبي ﷺ في أمره بذلك فليس ذلك من إعادة الصلاة في يوم مرتين، لأن الأولى فريضة، والثانية نافلة فلا إعادة حينئذ. كذا نقل الشيخ عبيد الله المباركفوري^(٢).

(٣) يحمل حديث ابن عمر على من صلى بالجماعة في المرة الأولى، والأحاديث الأخرى على من صلى منفردا. والحمل على هذا واجب لما روى مالك في الموطأ^(٣) عن نافع عن ابن عمر أن رجلا سأله فقال: إني أصلى في بيتي ثم ادرك الصلاة مع الإمام فأصلى معه؟ قال: نعم. قال: فأيهما أجعل صلاتي؟ قال ابن عمر: ليس ذلك إليك إنما ذلك إلى الله .

(١) أنظر تهذيب التهذيب (٤٩/٨) ونصب الراية (١٤٨/٢) .

(٢) أنظر المرعاة: (١٤٠/٢) .

(٣) الموطأ: (٤٠٦/١) .

قال البيهقي : فهذا يدل على أن ما رواه عنه سليمان محمول على ما إذا صليت في جماعة^(١)، وقال السيوطي : وإلى هذا التأويل أشار المصنف (أى النسائي) في الترجمة (وهي سقوط الصلاة عن صلي مع الإمام في المسجد جماعة) وبوب أبو داود بلفظ : إذا صلي جماعة، ثم أدرك جماعة هل يعيد الصلاة ؟

فكأن ابن عمر خص النهي الوارد في حديثه لمن صلي الأولى بالجماعة فلا يعيد، وأما من صلي الأولى منفردا فلا حرج في إعادتها بالجماعة .

مذاهب العلماء في الصلوات التي تجوز إعادتها :

الأول : تجوز إعادة الصلوات الخمس :

وبه قال الشافعي وأحمد، واستدلوا في ذلك بعموم الأحاديث الواردة في الباب، ولأن النبي ﷺ قال : إذا صلي أحدكم في رحله، ثم أدرك الإمام فليصل معه . فلم يستثن صلاة دون صلاة . وكذلك الصلوات التي لها سبب لا يدخل فيها الكراهة .

قال النووي في شرح مسلم^(٢) معلقا على حديث أبي ذر «وفي هذا الحديث أنه لا بأس بإعادة الصبح والعصر والمغرب كباقي الصلوات، لأن النبي ﷺ أطلق الأمر بإعادة الصلاة، ولم يفرق بين صلاة، وصلاة . وهذا هو الصحيح في مذهبنا . ثم قال : ولنا وجه أنه لا يعيد الصبح والعصر لأن الثانية نفل، ولا تنفل بعدهما، ووجه أنه لا يعيد المغرب لثلاثين شفعاً وهو ضعيف» .

وقال في شرح المذهب^(٣) وفي وجه شاذ يعيد الظهر والعشاء فقط «ثم قال : « والمذهب استحباب الإعادة مطلقا . ومن صرح بتصحيحه الشيخ أبو حامد، ونقل انه ظاهر نضه في الجديد، والقديم، وصححه أيضا القاضي أبو الطيب، والبندنجي، والماوردي، والمحاملي، وابن الصباغ، والبغوي، وخلائق كثير ون لا يحصون، ونقله الرافي عن الجمهور: هذا هو المذهب الصحيح عند الشافعي وينبغي ذكر هذا الرأي عند الاطلاق . وأما أحمد فقد قال ابن قدامة عنه في المغني^(٤) : ان من صلي فرضه ثم أدرك تلك الصلاة في

(١) أنظر التلخيص للحافظ (٢/٢٩)، وزهر الربيع للسيوطي (٢/١١٤) مع سنن النسائي .

(٢) شرح النووي : (٥/١٤٨) .

(٣) شرح المذهب : (٤/١٢١) .

(٤) المغني : (٢/٩٢) .

جماعة استحَب له إعادتها، أى صلاة كانت بشرط أن تقام وهو في المسجد، أو يدخل المسجد وهم يصلون وهذا قول الحسن والشافعي وأبي ثور .

وسئل الإمام أحمد عن إعادة المغرب : فقال : نعم إلا أنه يشفع . ونقل ابن قدامة عن الشافعي مثله ودليله في ذلك ما رواه صلة، عن حذيفة أنه لما أعاد المغرب قال : ذهبت أقوم في الثالثة فأجلسني . «وهذا يحتمل أنه أمره بالاعتصار على ركعتين لتكون شفعا، ويحتمل أنه أمره بالصلاة مثل صلاة الإمام» .

ثم قال ابن قدامة : «إن هذه الصلاة نافلة، ولا يشرع التنفل بوتر، فكان زيادة ركعة أولى من نقصانها لثلاثا يفارق إمامه قبل إتمام صلاته» انتهى .

أقول : هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف^(١) وابن أبي شيبة^(٢) عن الثوري عن جابر، عن سعيد بن عبيد، عن صلة بن زفر العبسي . وجابر هذا هو ابن يزيد بن الحارث الجعفي . وقال الحافظ : ضعيف، وصلة بن زفر من الثقات .

وروى ابن أبي شيبة أيضا عن علي أنه قال : يشفع بركعة يعني إذا أعاد المغرب^(٣) . وفيه : الحارث الأعور وهو كذاب . وذكر بعض الآثار الأخرى من التابعين وأتباعهم .

الثاني : يكره المغرب فقط وهو قول الإمام مالك :

واستدل في ذلك بأثر ابن عمر، رواه عن نافع عنه قال : من صلى المغرب، أو الصبح، ثم أدركها مع الإمام فلا يعد لها^(٤) ورواه^(٥) عن ابن جريح عن نافع . ثم قال مالك في الموطأ أيضا : «ولا أرى بأسا أن يصلى مع الإمام من كان يصلى في بيته إلا صلاة المغرب فإنه إذا أعادها كانت شفعا» انتهى .

(١) مصنف عبد الرزاق : (٢/٤٢١) .

(٢) ابن أبي شيبة : (٢/٢٧٦) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الموطأ : (١/٤٠٨) .

(٥) مصنف عبد الرزاق : (٢/٤٢٢) .

وقد علل محمد بن الحسن عدم إعادة المغرب بان الإعادة نافلة، ولا تكون النافلة وترا .

قال ابن عبد البر : هذه العلة أحسن من تعليل مالك .

وكان أبو قلابة أيضا يكره إعادة المغرب . ذكره عبد الرزاق في المصنف . وأما ابن قدامة فنقل عن مالك إعادة المغرب إن صلى وحده، وعدم الإعادة إذا صلاها بالجماعة .

وهذا يخالف ما رواه الأئمة المالكية . ففي المدونة (١) « إذا دخل الرجل المسجد، وقد صلى وحده في بيته فليصل مع الناس إلا المغرب فإنه إن كان قد صلاها ثم دخل المسجد فأقام المؤذن صلاة المغرب فليخرج » ومثله في حاشية الدسوقي (٢) وفي شرح الزرقاني على الموطأ (٣) .

الثالث : لا يعيد من الصلوات إلا الظهر والعشاء :

وهو رأى الإمام أبو حنيفة وصاحبيه . والضابط في ذلك ما ذكره الإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤) « كل صلاة يجوز التطوع بعدها فلا بأس من إعادتها على أنها نافلة له، غير المغرب، لأنها إن أعيدت كانت تطوعا، والتطوع لا يكون وترا، إنما يكون شفعا » . ثم قال : واحتجوا في ذلك بما تواترت به الروايات عن رسول الله ﷺ في نهيهِ عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس . ثم قال : وهذه ناسخة (لأحاديث الباب) .

واستدل الشيخ ابن الهمام في شرح فتح القدير (٥) بحديث رواه الدارقطني عن ابن عمر وهو أن النبي ﷺ قال : « إذا صليت في أهلك، ثم أدركت الصلاة فصلها إلا الفجر والمغرب » .

قال عبد الحق : تفرد برفعه سهل بن صالح الانطاكي وكان ثقة . وإذا كان كذلك فلا يضر وقف من وقفه لأن زيادة الثقة مقبولة . وإذا ثبت هذا فلا يخفى وجه تعليل أخراجه الفجر، بما يلحق به العصر . انتهى كلامه .

(١) المدونة : (٨٧/١) .

(٢) حاشية الدسوقي : (٢٩٦/١) .

(٣) شرح الزرقاني : (٤٠٨/١) .

(٤) شرح معاني الآثار : (٣٦٤/١) .

(٥) شرح فتح القدير : (٣٣٧/١) .

ولم أجد هذا الحديث في سنن الدارقطني في مظانه، وكذلك لم أقف على من رفعه في الكتب، وقد سبق ذكره موقوفاً على ابن عمر عند مالك .

ثم ظفرت بكلام الشيخ عبيد الله المباركفوري في المرعاة (١) أنه نسب الوهم إلى الملا على القارى في المرقاة لأنه أيضاً من نسب هذا الحديث إلى الدارقطني مرفوعاً ونص المباركفوري: «لم أجد هذا الحديث في سنن الدارقطني لا مرفوعاً، ولا موقوفاً، والظاهر أنه من وهم القارى» .

وأما سهل بن صالح الانطاكى هذا فهو أبو سعيد البزار قال فيه أبو حاتم: ثقة، وقال النسائي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما اخطأ .

وأما صلاة المغرب: ففي الهداية «في ظاهر الرواية التنفل بالثلاث مكروه، وفي جعلها أربعاً مخالفاً لإمامه» قال الشيخ ابن همام «احتراز عما روى عن أبي يوسف أنه يدخل معه ويتمها أربعاً» .

وحديث يزيد بن الأسود متأخر عن أحاديث النهي عن الصلوات في الاوقات المكروهة بالتأكيد، لوقوعه في حجة الوداع، ثم فيه نص صريح بصلاة الصبح .

قال الخطابي: «وظاهر الحديث حجة على جماعة من منع عن شىء من الصلوات كلها، ألا تراه يقول: إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الإمام فليصل معه» . ولم يستثن صلاة دون صلاة . ثم قال: فأما نهيه ﷺ بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب، فقد تأولوه على وجهين :

أحدهما : ان ذلك على معنى انشاء الصلاة ابتداء من غير مناسب، فأما إذا كان لها سبب مثل ان يصادف قوما يصلون جماعة، فانه يعيدها معهم ليحرز الفضيلة .

والوجه الآخر : أنه منسوخ، وذلك ان حديث يزيد بن الأسود متأخر لأن في قصته أنه شهد مع رسول الله ﷺ حجة الوداع . وفي قوله ﷺ «أنها نافلة» دليل على صلاة التطوع جائزة بعد الفجر قبل طلوع الشمس إذا كان لها سبب . انتهى (٢) .

(١) المرعاة : (١٢٠/٢) .

(٢) معالم السنن مع مختصر المنذرى : (٣٠٠/١) من الطبعة الباكستانية .

وقال السندي معلقا على حديث جابر بن يزيد بن الأسود في حاشية النسائي (١) «هذا تصريح في عموم الحكم في أوقات الكراهة أيضا، ومانع عن تخصيص الحكم بغير أوقات الكراهة لاتفاقهم على أنه لا يصح استثناء المورد من العموم، والمورد صلاة الفجر». وقال: «ولا يمكن ان يتوهم نسخ هذا الحكم لكون ذلك في حجة الوداع» .

وقد زعم بعض العلماء أن في حديث يزيد بن الأسود اضطرابا لا يصلح ان يكون حجة في الباب وملخص قوله: أنه ورد في كتابي الآثار لمحمد وأبي يوسف، وفي كتابي البدائع والمبسوط وغيرها ان تلك الحادثة كانت في صلاة الظهر.

ولكن الذي يبدو من دراسة هذه الأحاديث ان القصة التي وقعت في صلاة الظهر هي قصة بسر بن محجن الدثلي كما في بعض الروايات . فقد روى الإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢) بطريق ابن أبي داود قال: ثنا يحيى بن صالح الوحاطي قال: ثنا سليمان بن بلال قال ثنى زيد بن أسلم، عن بسر بن محجن الدثلي عن أبيه قال: صليت في بيتي الظهر والعصر. الخ .

وروى أحمد في مسنده (٣) بسياق آخر قال ثنا يعقوب، ثنا أبي، عن ابن إسحاق، قال حدثني عمران بن أبي أنس، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن رجل من بني الدليل قال: صليت الظهر في بيتي، ثم خرجت بأباعرلى لأصدرها، إلى الراعي، فمررت برسول الله ﷺ وهو يصلي بالناس الظهر، فمضيت فلم أصل معه، فلما أصدرت أباعري، ورجعت ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لي: ما منعك يا فلان أن تصلي معنا حين مررت بنا. قال: فقلت يارسول الله اني كنت قد صليت في بيتي . قال: وإن .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه أحمد ورجاله موثقون (٤) .
وأما من اعتذر عن إعادة صلاة المغرب بحجة أنها تطوع، والتطوع لا يكون وترا . فيجاء ان صلاة الوتر من باب التطوع وهو نظير في الموضوع . والشارع لم يخصص شيئا من عموم قوله فتخصيص شيء بالقياس بدون حاجة لا يجوز والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) النسائي : (١١٣/٢) .

(٢) شرح معاني الآثار : (٣٦٣/١) .

(٣) أحمد : (٢١٥/٤) .

(٤) مجمع الزوائد : (٤٤/٢) .

المسألة الثانية : أى الصلاتين تكون مكتوبة؟ .

القول الأول : ان الأولى هى المكتوبة . وبه قال الجمهور من الفقهاء وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد ، وأظهر القولين عند الشافعى كما نص على ذلك الإمام النووى فى روضة الطالبين (١) وشرح المهذب (٢) وشرح مسلم (٣) وذكر أقوال العلماء الشافعية فى هذه المسألة عند شرحه لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم (٤) فبلغت أربعة وهى : ان الفرض هى الأولى للحديث ولأن الخطاب سقط بها ، والثانى : ان الفرض أكملها ، والثالث كلاهما فرض ، والرابع الفرض أحدهما على الايهام ، يحتسب الله تعالى بأيهما شاء وأما الحنفية فلا خلاف عندهم فى فرضية الأولى ولذا وقع الخلاف فى إعادة صلاتى العصر والفجر لأجل النهى عن التطوع بعدهما .

واستدل هؤلاء بالأحاديث التى مر ذكرها وهى حديث أبى ذر ، وأبى مسعود ، ويزيد ابن الأسود ، ومحسن الدئلى وغيرها . لأنه وقع التصريح فى هذه الأحاديث بأن الثانية تكون نافلة .

قال ابن قدامة : ولان الأولى وقعت فريضة ، واسقطت الفرض ، بدليل انها لا تجب ثانيا ، وإذا برئت الذمة بالأولى ، استحال كون الثانية فريضة ، وجعل الأولى نافلة . قال حماد ، وقال إبراهيم : إذا نوى الرجل صلاة ، وكتبها الملائكة فمن يستطيع أن يحولها فما صلى بعدها فهو تطوع (٥) .

القول الثانى : الثانية هى مكتوبة ، إذا صلى الأولى فرادى . وهو قول الشافعى فى القديم . واستدل له بحديث يزيد بن عامر الذى وقع فيه التصريح بأن الثانية مكتوبة .

يجاب عن هذا بان حديث يزيد بن عامر ضعيف وسبق بيان ذلك والشيخ الألبانى صحح هذا الحديث فى حاشية المشكاة (٦) مع وجود رجل مستور فيه ، وهو نوح بن صعصعة . وحديث يزيد بن الأسود أولى منه وأثبت .

(١) روضة الطالبين : (٣٤٤/١) .

(٢) شرح المهذب : (١٢٣/٤) .

(٣) شرح مسلم : (١٦/٤) .

(٤) شرح مسلم : (١٤٨/٥) .

(٥) أنظر المغنى : (٩٤/٢) .

(٦) المشكاة : (٣٦٤/١) .

وحاول الشيخ الشوكاني الجمع بين الحديثين فقال في نيل الأوطار^(١) : «وعلى فرض صلاحية حديث يزيد بن عامر للاحتجاج به ، فالجمع بينه وبين حديث الباب ممكن ، بحمل حديث الباب على من صلى الصلاة الأولى في جماعة ، وحمل هذا على من صلى منفرداً كما هو الظاهر من سياق الحديثين» .

إلا أنه جمع يعيد فإن من صلى الأولى منفرداً بنية الفرض كيف تنقلب إلى النافلة وقد انتهى منها .

ثم يجب ان ينتهى هذا الخلاف فان الحديث ضعيف والقول الراجح عند الشافعى هو أن الأولى هى المكتوبة .

الثالث : التفويض إلى الله سبحانه وتعالى فى قبول ما شاء من الصلاتين . وهو المشهور من مذهب المالكية . واستدل هؤلاء بأثر ابن عمر -رضى الله عنه - رواه مالك فى الموطأ^(٢) عن نافع ، ان رجلاً سأل عبد الله بن عمر : فقال : انى أصلى فى بيتى ، ثم أدرك الصلاة مع الإمام فأصلى معه ؟ . فقال عبد الله بن عمر : نعم ، فقال الرجل : أيهما أجعل صلاتى ؟ . فقال له ابن عمر : أو ذاك إليك ؟ . إنما ذلك إلى الله يجعل أيهما شاء .

وذكر الزرقانى : روى ابن أبى ذئب ، عن نافع ، ان ابن عمر قال : ان صلاته هى الأولى . وقوله هذا مخالف لرواية مالك . فكأن ابن عمر شك فى أول الأمر ، ثم بان له أن الأولى هى الفرض فرجع من شكه إلى اليقين ، ولا يقال عكس هذا . فمن المحال ان يرجع إنسان من اليقين إلى الشك . إلا أن المذهب المختار عندهم هو هذا . قال ابن عبد البر : حسب النظر الفقهي الدينوى الفريضة هى الصلاة الأولى ، وأما باعتبار الأخرى فالأمر مفوض إلى الله تعالى - ولهذا لا يجوز لمن صلى فى بيته ثم أتى المسجد ، فاقامت الصلاة أن يتقدمهم لأنه لا يدرى أيتها صلاته .

وهذا هو مذهب المدونة وعليه العلماء المالكية راجع التفاصيل فى حاشية الدسوقى^(٣)

(١) نيل الأوطار : (١١٤/٣) .

(٢) الموطأ : (٤٠٦/١) .

(٣) حاشية الدسوقى : (٢/٢٩٧-٢٩٨) .

وبعد هذه الدراسة المستفيضة لا يشك أحد في أن الفرض هو الأولى وتقع الثانية نافلة . والله تعالى أعلم بالصواب .

الخامس : حضور النساء في الجماعة :

لا خلاف بين العلماء بأن حضور النساء وشهودهن الجماعة ليس فرضا لما صح من الآثار بأن نساء النبي ﷺ كن في حجرهن ولا يخرجن إلى المسجد .
واختلفوا في أي الأمرين يكون أفضل لهن أصلاتهن في بيوتهن ، أم في المساجد في الجماعات ؟ .

القول الأول : ان الأفضل حضورهن في الجماعات في المساجد بناء على عموم قول النبي ﷺ : « ان صلاة الجماعة تفضل صلاة المفرد بسبع وعشرين درجة » . وهو مذهب أهل الظاهر . قال الإمام ابن حزم : وهذا عموم لا يجوز ان يخص منه النساء من غيرهن (١) .

وقد قال قبل هذا : فان استأذن الحرائر ، أو الإماء ، بعولتهن أو ساداتهن في حضور الصلاة في المسجد ففرض عليهم الأذن لهن ، ولا يخرجن إلا تفلات غير متطيبات ولا متزينات فان تطيبن أو تزينن لذلك ، فلا صلاة لهن ، ومنعهن حيثن فرض (٢) .

القول الثاني : ان صلاتهن في البيت أفضل وهو مذهب الجمهور من الفقهاء . وقد وردت في ذلك عدة أحاديث منها :

(١) إذا استأذن نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن . (رواه الجماعة إلا ابن ماجه عن ابن عمر ، وفي لفظ عند أحمد وأبي داود : لا تمنعوا النساء ان يخرجن إلى المسجد وبيوتهن خير لهن) هذه الزيادة أخرجها أيضا ابن خزيمة في صحيحه .

(٢) عن أم سلمة ان رسول الله ﷺ قال : خير مساجد النساء قعر بيوتهن . رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير وفيه : ابن لهيعة وفيه كلام (٣) .

(٣) عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إنني أحب الصلاة معك . قال : قد علمت انك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير

(١) المحلى : (٢٧٧/٤) .

(٢) المحلى : (٢٦٥/٤) .

(٣) انظر مجمع الزوائد : (٣٣/٢) .

من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك
-خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في
مسجدي . قالت : فأمرت فبنى لها مسجد في أقصى بيتها وأظلمه فكانت تصلى فيه حتى
لبثت الله عزوجل . رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سويد الأنصاري وثقه
ابن حبان .

(٤) حديث ابن مسعود : قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة المرأة في بيتها أفضل من
صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها . رواه أبو داود ، وسكت
عليه المنذرى . قال النووي اسناده على شرط مسلم (١) . المخدع : البيت الصغير داخل
البيت الكبير .

هذه هي بعض الأحاديث التي رويت في هذا الموضوع وقد ذكر الهيثمي في مجمع
الزوائد الأحاديث الأخرى والآثار من الصحابة .

استدل جمهور الفقهاء بهذه الأحاديث بان صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في
المسجد إلا أنه لم يكره أحد العلماء حضورهن الصلوات بالجماعات لما ثبت عن النبي ﷺ انه
أذن للنساء في الحضور في صلاة الجماعة . وكانت النساء في عهد النبي ﷺ يحضرن الجماعة .

وقد استدل الإمام البخاري بحديث عائشة : اعتم رسول الله ﷺ في العشاء حتى
ناداه عمر : قد نام النساء والصبيان . . . كانوا حضورا في المسجد وبوب على هذا الحديث
بنولته : باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس .

وقال العلماء انهن إذا طلبن الأذن من أزواجهن للخروج إلى المسجد فعلى الأزواج
أن لا يمنعهن ، وقد شدد البعض فقال يجب عليهن اذنهن للخروج وهو مخالف للنص وإلا
لا معنى للأذن إذا . الا أنهم شرطوا أن لا يخرجن متطيبات فعلى الرجال أن يمنعوا النساء
إذا خرجن متطيبات .

وقد قال رسول الله ﷺ : ايما امرأة أصابت بخورا فلا تشهدن معنا العشاء الآخرة .
رواه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد (٢) .

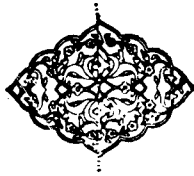
(١) أنظر شرح المهذب : (٨٣/٤) .

(٢) مسلم : طبعة فواد (٣٢٨/١) وأبو داود (٤٠٢/٤) والنسائي (١٥٤/٨) وأحمد (٣٠٤/٢) .

وقد أحدثت النساء في زمن عائشة -رضى الله عنها- ما أزعجته، فقالت: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدثت النساء لمنعهن كما منعت نساء بنى اسرائيل. رواه الشيخان. قال الحافظ ابن حجر: وتمسك بعضهم بقول عائشة في منع النساء مطلقا وفيه نظر. إذ لا يترتب على ذلك تغير الحكم إنها علقته على شرط لم يوجد بناء على ظن ظنته فقالت: لو رأى لمنع فيقال عليه: لم ير، ولم يمنع، وان كلامها يشعر بأنها كانت ترى المنع. وقال: وأيضا فالأحداث إنما وقع من بعض النساء لا من جميعهن، فان تعين المنع فليكن لمن أحدثت(١).

قال الشوكاني: وقد حصل من الأحاديث المذكورة في هذا الباب أن الاذن للنساء من الرجال إلى المساجد إذا لم يكن في خروجهن ما يدعو إلى الفتنة من طيب أو حلى أو أى زينة واجب على الرجال، وانه لا يجب مع ما يدعو إلى ذلك ولا يجوز، ويحرم عليهن الخروج لقوله: «فلا تشهدن» وصلاتهن على كل حال في بيوتهن أفضل من صلاتهن في المساجد(٢).

وقوله: واجب على كل الرجال فيه نظرا لأن قول النبي ﷺ: «لا تمنعوا اماء الله مساجد الله». نهى تنزيهه لأن حق الزوج في ملازمة المسكن واجب فلا تتركه للأفضلية. قال به النووى (٣). والحمد لله رب العالمين.



-
- (١) أنظر فتح البارى : (٢/٣٥٠).
 - (٢) أنظر نيل الأوطار : (٣/١٦٢).
 - (٣) أنظر شرح المهذب : (٤/٨٣).

مِنْ مَزَايَا التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ

بِحَمْدِ بْنِ نَوَازِلِ السَّحَابِيِّ

عَمِيدِ الْقَبُولِ وَالتَّحْقِيقِ بِالْجَامِعَةِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليما وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن هذا الدين لازال يتعرض للهجمات من قبل أعدائه من اليهود والشيوعيين والنصارى والمنافقين وغيرهم من المبطلين، وتتفاوت هذه الهجمات من حرب ساخنة إلى حرب باردة. من تقتيل أتباع هذا الدين من المسلمين وطردهم وتشريدهم، ومن سخرية بالله سبحانه وبرسوله عليهم أفضل الصلاة والسلام خاصة الرسول الخاتم محمد ﷺ، إلى استنقاص الشريعة الإسلامية في أصولها وفروعها في معتقداتها وأحكامها .

وكل هذا يعتبر مصداقا لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ . (سورة البقرة: ٢١٧) .

وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، ولكن الهدف يظل ثابتا، أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتصوا سلاحا غيره، وكلما كلت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها . . . (١) .

ومساهمة رمزية في صد بعض هذه الهجمات في مجال النقد الذي يوجهه الأعداء إلى الشريعة الإسلامية . وما يحاولونه من التناول على أحكامها باستنقاصها وإخفاء مزاياها وتحاسنها، لإيقاع السذج والأغرار من المسلمين . . . فقد رأيت من باب المساهمة الرمزية وجهد المقل أن أكتب هذه المقالة عن مزايا التشريع الإسلامي، ثم أتبعها إن شاء الله - بمقالة أخرى عن العقوبات الإسلامية والدفاع عنها، لأنها أكثر الأحكام الإسلامية تعرضا

(١) في ظلال القرآن : (ج ١ ص ٢٢٨) .

للقصد والاستنفاص . والله أسأل أن يحسن مقاصدنا وغايتنا وأن يوفق الجهود، ويسدد الخطأ إنه سميع مجيب .

المقصود بالتشريع الإسلامى :

قبل أن نتحدث عن مزايا التشريع الإسلامى ينبغى أن نحدد ما هو المقصود بهذا التشريع ، فنقول مستعينين بالله سبحانه .

لفظ الشريعة فى أصل الاستعمال اللغوى الماء الذى يردده الشاربون ، ثم نقل هذا اللفظ إلى معنى الطريقة المستقيمة ، التى يفيد منها المتمسكون بها هداية وتوفيقا . . . ويختص هذا اللفظ فى عرف الفقهاء بالأوامر والنواهى والإرشادات التى وجهها الله تعالى إلى عباده ليكونوا مؤمنين عاملين صالحين ، سواء أكانت متعلقة بالأفعال أم بالعقائد أم بالأخلاق . . . الخ (١) .

ويقول الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - فى تعريفها : والشريعة هى النظم التى شرعها الله أو شرع أصولها ، لياخذ الإنسان بها نفسه فى علاقته بربه وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون والحياة (٢) .

ومن هذا نستطيع أن نقول إنه يقصد بالتشريع الإسلامى كل ما شرعه الله سبحانه فى القرآن الكريم من أمر ونهى أو شرعه رسوله ﷺ ، وما سنه الخلفاء الراشدون ، وكذلك ما أجمع عليه علماء المسلمين ومجتهدوهم ، وما توصلوا إليه بالاجتهاد ، يقول جل ذكره مخاطبا الرسول ﷺ وأُمَّته تبع له فى ذلك : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ . (سورة الجاثية : ١٨) . ويقول جل ذكره : ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ . (سورة النساء : ٥٩) ، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ . (سورة آل عمران : ٣١) . ويقول سبحانه : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ . (سورة الحشر : ٧) . والآيات فى هذا كثيرة جدا . وفى الحديث : «إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم» (٣) . وفى الحديث الآخر . «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى» (٤) .

(١) مدخل الفقه الإسلامى : الدكتور محمد سلام مذكور .

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت : (ص ٢٢) .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه أبو داود والترمذى .

فالحاصل أن التشريع الإسلامي يقصد به كل ما شرعه الله من أصول الدين وفروعه في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الحدود أو القصاص أو غير ذلك مما يحتاجه الناس في حياتهم (فتشمل الشريعة أحكام الله لكل من أعمالنا من حل وحرمة وندب وإباحة . وذلك ما نعرفه اليوم باسم الفقه) (١) .

ولعل أجمع كلمة تحدد المقصود من التشريع ما قاله سماحة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في رسالته منهج التشريع الإسلامي وحكمته حيث قال : والتشريع هو وضع الشرع ، والشرع هنا هو النظام الذي وضعه خالق السموات والأرض على لسان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ، ليسير عليه خلقه فيحقق لهم به سعادة الدارين على أكمل الوجوه وأحسنها (٢) .

إن هذا التشريع الذي يحقق السعادة في الدارين لمن آمن به وعمل بمقتضاه يمتاز بمزايا عديدة وخصائص فريدة . ولعل أبرز خصائصه ومميزاته أنه من عند الله سبحانه ، وما كان من عند الله فلا بد أن يتصف بكل صفات الكمال ولا بد أن يبرأ من كل صفات النقص ، ينزل جل ذكره في معرض حديثه عن القرآن الكريم الذي يعتبر أحد المصدرين الأساسيين لتشريع الإسلامى : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ . (النساء : ٨١) . ويقول سبحانه : ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ . (هود : ١) .

ويقول عز ذكره : ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ . (الاسراء : ٩) . ومن هنا نستطيع أن نشير إلى بعض المميزات ، فمنها :-

الأولى : شمول التشريع الإسلامي لجميع شؤون الحياة وإحاطته بها :
لقد أنزل الله سبحانه هذه الشريعة وجعلها منهاجاً لهذه الأمة وطريقاً تسلكها في جميع شؤونها . فهذه الشريعة شاملة لجميع شؤون الحياة ومرافقها ، فانتظمتها جميعاً بأحكامها العادلة وتوجيهاتها الحكيمة .

وعندما ننظر في أحكام الشريعة وموقفها من شؤون الناس وأحوالهم نجدها على ثلاث أضرب :-

الضرب الأول : من شؤون الناس والحياة ، أمرت به الشريعة ودعت إليه ، وقد يكون هذا الأمر على وجه الالتزام أو على غير وجه الالتزام .

(١) المدخل لدراسة الفقه الإسلامي : الدكتور محمد يوسف موسى .

(٢) منهج التشريع الإسلامي وحكمته : (ص ٢٣) .

الضرب الثاني : من شئون الناس والحياة نهى عنه الشارع وحذر منه ، وقد يكون هذا النهى كذلك على وجه الالتزام أو على غير وجه الالتزام .

الضرب الثالث : ما سكت عنه الشارع ، وهذا السكوت ليس عن غفلة ولا نسيان ، وإنما بقصد التخفيف ، ويوضح ذلك حديث رسول الله ﷺ : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» . رواه الدارقطني .

ونحن نستدل لعموم الشريعة وشمولها جميع شئون الحياة بدليلين :

الدليل الأول : النص من الكتاب والسنة وواقع الأمة الإسلامية خاصة في عصرها الزاهر عصر النبوة والخلافة الراشدة ، فقد وردت عدة آيات وأحاديث تدل على أن الشريعة عامة في كل شيء يقول جل ذكره : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ . (النحل : ٨٩) وفي الآية الأخرى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ . (الأنعام : ٣٨) . قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره للآية الأولى : قال ابن مسعود - رضى الله عنه - قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء ، وقال مجاهد - رحمه الله - كل حلال وكل حرام وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم (١) .

وقريبا من هذا القول ما ذكره الفخر الرازي - رحمه الله - عند تفسيره الآية الثانية (٢) ، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم ﴾ . (المائدة : ٥٠) ، فالأمر قد ورد فيها مطلقا من كل قيد ، وكذلك قوله سبحانه : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ . (النور : ٥٢) . وكذلك قوله جل ذكره : ﴿ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء ﴾ . (يوسف : ١١١) . وقال سبحانه حكاية عن الجن : ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ . (الجن : ١٤) . ولوتبعنا هذه الآيات الواردة بهذا الصدد والإشارة إلى دلالتها المباشرة وغير المباشرة على عموم الشريعة وشمولها لاحتجنا إلى صفحات كثيرة ، وأما الأحاديث ، فقد وردت عدة أحاديث بهذا المعنى . فقد ورد أن سلمان

(١) تفسير ابن كثير : (ج ٢ ص ٥٨٢) .

(٢) تفسير الفخر الرازي : (ج ٢ ص ٢١١) . وراجع تفسير القرطبي : (ج ٦ ص ٤٢٠) . وأضواء البيان للشنقيطي فقد تكلم

على هذه الآية بأسهاب ونقل كلاما للسيوطي من كتابه الاكليل في استنباط التنزيل حول هذا المعنى : (ج ٣ ص ٣٠٦) .

الفارسي - رضى الله عنه - قيل له : علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة . فقال سلمان : أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول . . . الحديث (١) .

وعن حذيفة - رضى الله عنه - قال : لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله . . . الحديث (٢) .

وفي الحديث : «تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» .

وفي الحديث : «اعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى ومنها . . . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» . متفق عليه .

وفي بعض الروايات : «وبعثت إلى الجن والانس» .

قال ابن الجوزى فى كتابه الوفاء : فإن قال قائل كيف قال : «وبعثت إلى الخلق كافة» . ومعلوم أن موسى لما بعث إلى بنى اسرائيل لوجاءه غيره من الأمم يسألونه تبليغ ما جاء به لم يجزله كتمه بل يجب عليه إظهار ذلك لهم .

ثم قد أهلك الخلق فى زمن نوح ، وما كان ذلك إلا لعموم رسالته فقد أجاب عن هذا ابن عقيل فقال : إن شريعة نبينا جاءت ناسخة لكل شريعة قبلها ، وقد كان يجتمع فى العصر الواحد نبيا وثلاثة يدعو كل واحد إلى شريعة تخصه ، ولا يدعو غيره من الأنبياء إليها ولا ينسخها .

بخلاف نبينا محمد ﷺ فإنه دعا الكل ونسخ وقال : «لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى» . وما كان يمكن عيسى أن يقول هذا فى حق موسى ، وأما نوح فلم يكن فى زمنه نبي يدعو إلى ملته (٣) .

أما واقع الأمة الإسلامية بالنسبة للعهد النبوى فتعتبر أفعاله عليه الصلاة والسلام من سنته ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يرعى جميع أحوال المسلمين ، ويتولى جميع شئونهم الدينية والدينية فيفتى ويقضى فى الحقوق والحدود ، ويقود الجيوش ويقسم الغنائم ويؤم المسلمين فى الجمع والجماعات ، ويكتب الملوك ويدعوهم إلى الإسلام ، ويصالح الأعداء إذا رأى مصلحة المسلمين فى ذلك ، ويتفقد أحوال المسلمين فى تعاملهم بالبيع والاجارات وأنواع المزارعة وفى النكاح والطلاق والرجعة وفى الاستطباب وتجهيز الأموات وقسمة الموارث فلا يمكن أن يتم أمر فى المدينة من أحوال الناس وشئونهم إلا وله عليه الصلاة والسلام

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى : (ج ١ ص ٣٧١) .

(٣) أخرجه البخارى . انظر فتح البارى : (ج ١١ ص ٤٩٤) .

حكمة في ذلك من إقرار أو إنكار، وبالنسبة لعهد الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم وعن الصحابة أجمعين - فكذلك، ما كان بيت في أمر من الأمور الدقيقة أو الجلييلة إلا بالرجوع إلى كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، أو بالاجتهاد وفق أصول الشرع وقواعده .

وما نقل عن أحد من الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم - أنه اعتذر عن أمر من الأمور بأنه غير داخل في اختصاصه، بل إنهم ينظرون إليه باعتباره حقاً فيقرونه وينفذونه، أو باطلاً فيفندونه ويقمعونه، كمحاربة المرتدين وجمع القرآن وتدوين الدواوين وقمع البدع ومحاربتها . . . الخ .

ومن يطالع تاريخ الخلفاء الراشدين وسيرتهم يجد الأمر في غاية الوضوح . . .

وعلى كل حال فمسألة شمول الإسلام وإحاطته بجميع شئون المسلمين كما أمر الله كانت واضحة تماماً في هذا العصر الزاهر الذى يعتبر امتداداً لعصر النبوة ولا زال الأمر كذلك في العصور الإسلامية التالية، مع شىء من الضعف الذى أصبح شديداً فى القرون المتأخرة، حيث غلبت العادات القبلية والتقاليد الواردة من الأمم الأخرى على الأحكام الشرعية، نتيجة لعوامل متعددة لعل أهمها بعد كثير من المسلمين عن الإسلام، وضعف الإيمان فى نفوس كثير منهم، حتى وصلنا إلى هذه المرحلة التاريخية التى نعيشها، حيث ابتعد الناس أفراداً وجماعات وحكومات عن الشريعة الإسلامية والالتزام بأحكامها وتوجيهاتها إلا من عصم الله، حتى صار العلماء والمفكرون من المسلمين يبذلون الجهود الكبيرة لاقناع الناس والمنفذين منهم خاصة بشمول الإسلام وعمومه وإحاطته بكل شىء، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

الدليل الثانى : وهو دليل العقل والاستنتاج حيث لا يتصور أن الله سبحانه يترك خلقه مهملين دون ما رعاية ترعاهم وعناية تحوطهم فى كل ما يحتاجون إليه من أمور دينهم وديانهم، لأن هذا لو حصل لاعتبر تقصيراً وتفريطاً لا يليق بالله سبحانه وحاشاه من ذلك، خاصة وأن هذه الشريعة هى خاتمة الشرائع بنبيها وكتابها، فنبينا محمد ﷺ هو خاتم النبيين وكتابنا القرآن هو خاتم الكتب الناسخ لها المهيمن عليها فهى شريعة لا تحد بزمان ولا مكان ولا بجنس فهى عامة لكل البشر صغيرهم والكبير ذكرهم وأنثاهم عرباً وعجماً فى أى مكان كانوا وأى زمان وجدوا .

ونجد من الآيات ما يسند هذا الاستدلال كقوله تعالى : ﴿ أفحسبتم أنها خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ . (المؤمنون : ١١٥) . أى أننا لم نخلقكم عبثاً بل لغاية وقصد

وهذا يقتضى وجود الأحكام التى تنظم شئون الأدميين . وكذلك قوله سبحانه : ﴿أحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ . (القيامة : ٣٧) . أى هملا دون ما عناية أو رعاية أى لا يمكن أن يكون ذلك لأنه عبث ينزه الله عنه .

فالتشريع الإسلامى يشمل أحوال الناس وينظمها فى كل الأحوال ينظم أحوال الفرد والأسرة ، وينظم شئون الدولة فى الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، يحدد السياسة الداخلية والخارجية وصلة الدولة بالأعداء والأصدقاء فى حالة السلم والحرب ، ويحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم والعلاقة بين العامل ورب العمل وبين الابن وأبويه والزوج وزوجه ، إذن فنحن نخرج من هذا بأن عموم الرسالة وشمولها يقتضى ما يلى :-

أولا : عمومها الزمانى : فهى الشريعة الواجبة الاتباع من حين ما بعث محمد ﷺ إلى قيام الساعة لا يجوز أن تراجها أو تنافسها شريعة أو مذهب أو نظام .

ثانيا : عمومها المكانى : فهى شريعة الأرض دون منافس أو مزاحم فهى شريعة الأرض بسهولة وجبالها ووديانها وبحارها وأنهارها وأعماقها وأجوائها بل هى شريعة الكون بكل أجزائه : ﴿إن كل من فى السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبدا﴾ . (مريم : ٩٣) .

ثالثا : عمومها البشرى : فهى الشريعة الواجبة الاتباع من كل البشر على اختلاف الأجناس والأعراق وحتى الجن ، فهى شريعة كل إنسان كيفما وجد وإينما وجد ، مكث فى الأرض أو صعد فى السماء أو نزل الأجرام الأخرى . «إن استطاع إلى ذلك سبيلا» .

فهى شريعته التى لا يجوز له أن ينفك عنها أو يفلت منها أو يفر : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ . (الذاريات : ٥٦) . ﴿قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعا﴾ . (الأعراف : ١٥٨) .

رابعا : عمومها وشمولها الموضوعى : فهى لكل شىء ولكل شأن من شئون الأحياء والأشياء ، بل وحتى الأموات رعت ما لهم من حقوق وحرمة بعد موتهم ، وعينت بالحيوانات رفقا وعناية وعظفا ، وبالذول والمجتمعات والكون والكائنات : ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ . (الأنعام : ٣٨) .

يقول الدكتور : محمد سلام مذكور فى كتابه مدخل الفقه الإسلامى :-
وقد تضافرت النصوص الإسلامية وعلم من الدين بالضرورة عموم رسالة الإسلام :
﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ . (سبأ : ٢٨) . ﴿تبارك الذى نزل الفرقان

على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴿١﴾ . (الفرقان : ١) . ﴿قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعاً﴾ . (الأعراف : ٥٨) .

لهذا قام محمد رسول الله ﷺ بتبليغ هذه الرسالة إلى من استطاع تبليغهم من الأمم متمثلين بالحكام كهرقل إمبراطور الروم وكسرى ملك الفرس والمقوقس حاكم مصر والحارث الغساني ملك الحيرة، والحارث الحميري ملك اليمن والنجاشي ملك الحبشة، تاركاً لخلفائه من بعده القيام بتبليغ الدعوة إلى بقية الأمم وقد اهتدى بعض تلك الأمم فأمن بدعوته إنصافاً للحق، كما انصفه من اتبعه من قومه، وقد اعترف توماس في كتابه الدعوة إلى الإسلام، بأن الكتب التي أرسلها محمد بن عبد الله إلى حكام الأمم المختلفة، يدعوهم فيها إلى الإسلام، تدل بوضوح على ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعاً بقبول الإسلام (١) .

هذا وقد اعتبر العلماء أن من ينكر شيئاً من ذلك - أى عموم الرسالة وشمولها - فهو كافر مرتد عن الإسلام، فمن ينكر عموم الرسالة أو يرى أن أحداً مهما كان يسعه الخروج منها فرداً أو جماعة أو دولة فهو كافر، أو زعم أنها خاصة بجنس من الأجناس أو عصر من العصور، وأنها لا تعنى بتنظيم شؤون الناس في الاقتصاد والاجتماع والسياسة من اعتقد ذلك فهو مرتد عن الإسلام يستتاب فإن تاب وإلا قتل (٢)

الثانية : العدالة :

إن وجوه العدالة في التشريع الإسلامى كثيرة متعددة، يدركها من يعنى النظر في أحكامه ويتدبرها بتجرد وإخلاص، فأحكامه الخاصة بالأسرة وتكوينها وتنظيمها وحقوق الأفراد وواجباتهم في الأسرة لا تماثلها أحكام مما تواضع عليه البشر واعتادوه، فالأب له حقوقه وعليه التزاماته، والأم كذلك، والأبناء المكلفون كذلك، ونجد هذه القاعدة الفريدة في التعامل بين الزوجين المتمثلة في قوله تعالى : ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ . (البقرة : ٢٩٩) .

وأحكامه الخاصة بالميراث وتوزيعه على الورثة تعتبر كذلك من العدالة بمكان، فلأب نصيبه وللأم نصيبها، وللزوج نصيبه وللزوجة نصيبها، بحسب الحال من وجود أولاد أو عدم وجود أولاد، ووجود أخوة أو عدم وجود أخوة، وللأبناء نصيبهم والبنات وللأخوة

(١) مدخل الفقه الإسلامى : الدكتور محمد سلام مذكور: (ص١٣) .

(٢) انظر رسالة البرهان والدليل على كفر من حكم بغير التنزيل : أحمد بن ناصر المعمر: (ص٤٨) .

والأخوات، والأعمام والعمات، وهكذا تتدرج الحقوق حتى تصل إلى أصحابها مهما بعدوا، وفي الأحكام الخاصة بمعاملة الأعداء، نجد العدالة في أرقى صورها وأعلى درجاتها يقول جل ذكره: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ . (المائدة: ٨). أى لا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا في حقهم، ويقول سبحانه: ﴿فاعدلو ولو كان ذا القربى﴾ . (الأنعام: ٢٥٢) .

أما في مجال العقوبات فعندما نلاحظ أن القصاص هو العقوبة الرئيسية لأكثر الجرائم الشخصية التي تقع على الأشخاص مباشرة، فإن هذا يعتبر منتهى العدالة وغاية الانصاف، وكذلك الحدود فإنها عقوبات عادلة إذا أدركنا فداحة الجرائم التي فرضت من أجلها، والله تعالى يقول: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ . (الشورى: ٤٠). ويقول: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ . (النحل: ١٢٦) .

وباختصار، فإدمننا نسلم ونعتقد بأن الأحكام الشرعية منزلة من عند الله سبحانه، الذى يعتبر العدل صفة من صفاته، فلا بد أن تكون هذه الأحكام عادلة متقنة .

وإذا كانت العدالة هي من أبرز خصائص الأحكام الشرعية الواردة بالنص في القرآن والسنة، فإن هناك أحكاماً اجتهادية، وهناك أيضاً تطبيق الأحكام إن كانت نصية أو اجتهادية، فنجد بالنسبة لهذين الأمرين أن الإسلام حض المسلمين والعلماء منهم خاصة وولادة الأمر على تحرى العدل في تطبيق الأحكام، أو عند استنباطها، فوضع قوالب عامة ومعايير دقيقة ومقاييس عادلة لاستنباط الأحكام، فالأحكام الاجتهادية ليست عشوائية في استنباطها ولا ارتجالية في وضعها، ولكنها محكومة بقواعد وأصول فلا بد أن تكون منسجمة مع الأصول العامة للشريعة، والقواعد الأساسية، والغايات والأهداف الكبرى، ويمكن الرجوع إلى هذا الموضوع في كتب أصول الفقه .

وفي مجال التطبيق كذلك فقد حث الله سبحانه المسلمين عامة وولادة الأمر بصفة خاصة على العدل، وحث على ذلك رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة، بل إن الله سبحانه أمر به أمراً صريحاً، يقول جل ذكره: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ . (النساء: ٥٨). أى ويأمركم إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، والأمر كما هو معروف عند علماء الأصول يقتضى الوجوب إلا أن يصرفه صارف عن ذلك، وفي الآية الأخرى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى﴾ .

(النحل : ٩) . ويقول سبحانه فيما خاطب به رسوله ﷺ : ﴿وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم﴾ . (الشورى : ١٥) .

وإلى جانب الآيات فهناك الأحاديث الكثيرة والوقائع المشهورة التي حصلت في عهد رسول الله ﷺ أوفى عهد الخلفاء الراشدين ، ففي الحديث المتفق عليه : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» - وعد منهم الإمام العادل - وفي الحديث الآخر : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا» . رواه مسلم . وجاءه عليه الصلاة والسلام زيد بن سعدة قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه ، فجبذ ثوبه عن منكبه ، وأخذ بمجامع ثيابه ، وأغلظ له ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب مطل ، فانتهره عمر وشد له في القول ، والنبي ﷺ يبتسم ، فقال رسول الله ﷺ : «أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضى . . . الحديث (١) .

ويمكن عكاشة أن يقتض منه ، وكذلك الأعرابي الذي تعلق في زمام ناقته فانتهره مرارا فلما لم ينتهره ضربه (٢) . وغير ذلك من الحالات والوقائع المماثلة كثيرة وليس هذا مجال سردها فليرجع إليها في كتب التاريخ والسير ، لتجد الصفحات البيضاء من صفحات العدل ، ومن هذا نخرج بنتيجة وهي أن العدالة صفة رئيسية من صفات التشريع الإسلامي ، خاصة فيما ورد فيه نص صريح من القرآن ، أو نص صريح صريح من سنة ، كما يجب أن تراعى العدالة في جانبين .

أولاً : في الجانب التشريعي الاجتهادي : أى الأحكام الاجتهادية فيما لم يرد به النص كما في حالة سن الأنظمة اللازمة للناس ، كأنظمة البلديات والمرور ، وأنظمة العمال والموظفين والشركات وأصحاب المهن المختلفة ، وغير ذلك مما يستجد من أمور الناس وشئون الحياة ، فيجب على كل من يضعون هذه الأنظمة ويسنونها أن يراعوا جانب العدالة فيها ، فلا يغلبوا مصلحة فئة على فئة أخرى ، ولا جانباً على جانب ، إلا بحق واضح تقتضيه مصلحة عامة راجحة ، ويجب أن تكون هذه الأنظمة وأمثالها متمشية مع أصول الشريعة منسجمة مع قواعدها الكلية ، غير متعارضة مع أحكامها الثابتة ولا متباينة مع الأهداف والغايات والمقاصد التي توخاها الشارع واعتبرها .

(١) ذكره القاضى عياض فى كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى : (ج ١ ص ١٠٩) . وانظر كذلك الوفى بأحوال المصطفى

لابن الجوزى : (ج ٣ ص ٤٢٥) .

(٢) الشفا : (ج ٢ ص ١٩٩) .

ثانيا : فى الجانب التطبيقى : فىجب على الحاكم أن يتقى الله فى حكمه ، ويتحرى العدالة فى تطبيق الأحكام التى أنزلها الله ، فلاشك أنها عادلة ، ولكن التطبيق قد يكون جائراً ، فعليه أن يتقى الله فلا يحكم بأى حكم اجتهادى تبين له ظلمه واجحافه ، وعليه أن يترضى عليه ويبدى رأيه فيه .

الثالثة : الرحمة :

إن الرحمة تعتبر أمراً زائداً على العدالة ، فالعدالة رحمة ولاشك ، ولكن الرحمة عدالة وزيادة ، أما العدل فإن فيه رحمة للكافة وللمجتمع بصفة عامة ، ولكن قد لا يكون فيه رحمة للمحكوم عليه فى ظاهر الأمر ، مع انه فى الحقيقة رحمة ، إذا نظرنا إلى المسألة نظرة ثاقبه تنفذ من الدنيا إلى الآخرة .

ويرى الأستاذ محمد أبوزهره - رحمه الله - خلاف ذلك ، فهو يرى أن الرحمة والعدل مترادفان ، فهو يقول : ولذلك كانت رحمة النبوة الأولى هى العدل ، فالعدل فى ذاته هو الرحمة الشاملة ، ويقول : فالعدالة الحقيقية هى الرحمة الحقيقية (١) .

ولكنى أقول ليس الأمر كذلك ، لأن الرحمة أوسع وأشمل ، فهى كما قلت عدل وزيادة ، وكل الأطراف ترضى بالرحمة ، ولكن ليس كلها يرضى بالعدل ، مع أن العدل يعتبر رحمة عامة ولكنه قد لا يكون كذلك فى ظاهره ومما يدل على ذلك حديث رسول الله ﷺ فى قصة الزبير مع الأنصارى فانه فى أول الأمر قال : «إسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك» . فلما غضب الأنصارى واتهم رسول الله ﷺ بالتحيز لابن عمته . قال ﷺ : «يازبير إسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر» . فإن الحكم الأول لرسول الله ﷺ مبنى على الرحمة ، فقد أمر الزبير بأن يسقى أرضه شيئاً يسيراً ثم يرسل الماء ، ولم يعطى الزبير كامل حقه ، فانه قريبه ويدل عليه فلما تبين هذا الموقف من هذا المنافق ، حكم بالعدل وأعطى كل ذى حق حقه ، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام النووى - رحمه الله - فى شرح مسلم (٢) .

وكذلك حديث الرجل الذى كان منقطعاً لعبادة الله مدة طويلة ، فلما مات سأله الله تعالى هل أدخلك الجنة بعملك أم برحمتى ؟ . فقال : بل بعملى ، فلما حاسبه الله بالعدل استوجب النار ، لكن الله سبحانه عامله بالرحمة التى هى أوسع من العدل فأدخله الجنة .

(١) الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى : القسم العام . (ص٦-٧) . محمد أبوزهره .

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووى : (ج١٥ ص١٠٨) .

وقد جاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كلها تصف هذه الشريعة بالرحمة، وتصف رسول الله ﷺ بها، وتصف المسلمين بالتراحم بينهم وتأميرهم به، يقول جل ذكره في معرض وصفه لرسول الله ﷺ: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾. (الأحزاب: ٤٣). وعن المؤمنين: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾. (الفتح: ٢٩). وكان رسول الله ﷺ ينهى عن قتل المرأة الكافرة، والطفل والشيخ الكبير والمنقطعين للعبادة من الرهبان وغيرهم، مالم يشتركوا في الحرب، وفي الحديث: «من لا يرحم لا يرحم». والآيات والأحاديث والوقائع في هذه كثيرة لا تنحصر.

الرابعة : اليسر :

من مزايا التشريع الإسلامي الاتجاه إلى التيسير على الناس وعدم إيقاعهم في الحرج والضيق والمشقة وهذا واضح من الآيات والأحاديث الكثيرة يقول جل ذكره: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾. (البقرة: ١٨٥). ويقول سبحانه: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾. (النساء: ٢٨).

ويقول عز وجل: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾. (الحج: ٧٨). وفي الحديث: «يسروا ولا تعسروا»^(١). وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين الا أخذ ايسرهما مالم يكن اثماً»^(٢).

وفي حديث الأعرابي الذي بال في المسجد قال لهم عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين». أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

وهذا واضح في العبادات من صلاة وصوم وحج، وكذلك في المعاملات فإنها مبنية على التيسير على الناس وعدم إيقاعهم في المشقة والحرج، أما فيما يتصل بحقوق الناس إن كانت في الأموال أو الدماء أو الأعراض، فهذه ينبغي أن يمكن صاحب الحق من حقه، ولكن برفق كما قال جل ذكره: ﴿فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾. (البقرة: ١٧٨). لذلك فإن أى نظام يسن ينبغي أن يراعى فيه التيسير والرفق بمن وضع لهم والرحمة بهم.

الخامسة : الحكمة :

تعرف الحكمة بأنها وضع الشيء في موضعه المناسب، وعرفها العلامة محمد الأمين

(١) الحديث متفق عليه . انظر رياض الصالحين للنووي بتحقيق الألباني : (ص ٧٥).

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر رياض الصالحين للنووي بتحقيق الألباني : (ص ٧٦).

الشنقيطى - رحمه الله - بقوله : والحكمة فى الاصطلاح هى وضع الأمور فى مواضعها وإيقاعها فى مواقعها (١) .

وتلاحظ الحكمة فى التشريع الإسلامى فى عدة مواضع ، فمنها فيما يختص بالإرث وتقسيمه بنسب معينة ، نلاحظ أنها فى منتهى الحكمة ، فعندما نقارن بين أنصبة البنين وبنات والأخوة والأخوات والأبوين والزوجين ، نجدها تتناسب مع مسؤولياتهم ومع واجباتهم وصلتهم بالميت ، وعندما نلاحظ العقوبات وتفاوتها من حد إلى حد ومن جناية إلى جناية نجد التناسب التام والانسجام الدقيق بين العقوبة والجريمة ، وكذلك نجد الحكمة فى تفاوت أنصبة الزكاة ومقاديرها من مال إلى مال ، كذلك العبادات فأحكامها فى غاية الحكمة ، وهذا شأن التشريع الإسلامى وصفته المميّزة له الحكمة ، فهو من لدن عليم حكيم ، وقد تكلم ابن القيم - رحمه الله - فى كتابه المشهور أعلام الموقعين ، عن هذا الموضوع بالتفصيل ، وأورد كثيراً من الشبه وردّها ، وبين الحكمة فى تفاوت العقوبات من ذنب إلى ذنب ومن جناية إلى أخرى ، كما بين الحكمة فيما شرع من التماثل بين الجناية والجزاء ، والحكمة فيما لم يشرع فيه التماثل ، كما تطرق إلى كثير من الأحكام وبين وجه الحكمة فى الاختلاف والاتفاق فى كثير من صورها وفروعها ، وذلك فى حديثه عن القياس وهو كلام جيد نفيس (٢) .

السادسة : الخلود والديمومة :

كما المحت آنفاً أن هذا التشريع يمتاز بأنه خالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لا يتطرق إليه التعديل أو التبديل ، لذلك فإننا نلاحظ هذه الشريعة مرنة فى أحكامها ، ولكنها راسخة الأصول ، أو كما وصفها أحد الكتاب شجرة ثابتة الأصول متحركة الفروع ، وبما يدل على خلود الشريعة وديمومتها واستمرارها وشمولها قوله تعالى : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ . (الصف : ٩) . فهذا نص مطلق غير مقيد بزمن وكذلك قوله جل ذكره : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ . (الحجر : ٩) . وفى الحديث : «ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورّة لا يضرهم من خذلهم» . رواه مسلم .

(١) منهج التشريع الإسلامى وحكمته .

(٢) انظر أعلام الموقعين : (الجزء الثانى من أوله إلى ص ١٨٧) .

السابعة : العناية بالدنيا والآخرة :

إن من المميزات الرئيسية للتشريع الإسلامى بصفة عامة، انه شامل للدنيا والآخرة، علاج للظاهر والباطن، فهو لا يكتفى بعلاج الظاهر دون الباطن، ولا يكتفى بالحديث عن الدنيا دون الحديث عن الآخرة .

ولذلك فإن النظم الإسلامية كلها يجب أن تكون مبنية على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر وبالبعث بعد الموت والمجازاة بالعمل إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرراً، ولاشك أن النظم التى تركز على هذه القواعد العظيمة، وتعتبر مستمدة من المنهج الالهى، لاشك أنه سوف يكون لها قدسية فى نفوس الناس وأثر كبير وهيبة عظيمة، وإن المسلم الذى يعتقد أنه ان افلت فى الدنيا من قبضة الحاكم فلن يفلت فى الآخرة من قبضة الله سبحانه وأنه له بالمرصاد، وأن اعماله وحركاته وسائر تصرفاته مرصودة وأن أنفاسه محسوبة معدودة .

لاشك أن مثل هذا الاعتقاد وهذا التصور له دور كبير فى تهذيب النفوس وصقلها وردعها عن الشرور وزجرها عن الجريمة، ولذلك نلاحظ أن النصوص الإسلامية لم ترد مجرد أوامر جافة، بل نجدها تخاطب فى الإنسان قلبه ولبه وضميره وأحاسيسه، وتحرك كوامن الإيمان فيه وتوقظ ضميره، إن كنتم مؤمنين، لعلكم تتقون، لعلكم تذكرون، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر... الخ .

فمثل هذا الخطاب يحرك جذوة الإيمان فى نفس المسلم، فيكون أدعى للاستجابة وأقرب للالتزام والانضباط .

وهذا بخلاف القوانين الوضعية التى لا تركز على دعائم من الإيمان فى جوهرها، ولا تراعى احساس الإنسان ومشاعره فى اسلوبها، فهى مجرد أوامر ونواه جافة، تكتفى بعلاج الظاهر والحديث عن الدنيا على ضعف فى العلاج وقصور فى الحديث وركاكة فى الاسلوب .

الثامنة : العصمة والصدق :

يعتبر هذا التشريع معصوماً عن الخطأ، معصوماً عن التحريف والتبديل والتغيير، كما يعتبر مصيماً فى أحكامه لأنه من عند الله، صادقاً فى أخباره ووعدته ووعيده . يقول جل ذكره فى حق الرسول ﷺ : ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ . (الحاقة : ٤٤-٤٧) . ويقول سبحانه حكاية عن

المشركين : ﴿ آيت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى إن اتبع إلا ما يوحى إلى ﴾ . (يونس : ١٥) .

ويقول الشاطبى - رحمه الله - فى كتابه الموافقات : إن هذه الشريعة معصومة كما أن صاحبها ﷺ معصوم ، وكما كانت أمتة فيما اجتمعت عليه معصومة ثم أورد دليلين :
أحدهما :

من القرآن فاستدل بقوله سبحانه : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ . وقوله : ﴿ كتاب احكمت آياته ﴾ .

والثانى :

دليل الاعتبار الوجودى الواقع من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن (١) .
وكما يعتبر معصوما فإنه يعتبر صادقا مصيبا يقول جل ذكره : ﴿ ومن أصدق من الله - حديثا ﴾ . (سورة النساء : ٨٧) . ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ . (النساء : ١٢٢) . ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ . (الأسراء : ٩) . ويقول جل ذكره متحدثا عن القرآن : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ . (النساء : ٨٢) . وفى الحديث : « إن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد » .
والتشريع الذى يتميز بالعصمة والصدق والاتقان وعدم التفاوت والاختلاف ، لاشك أنه التشريع الواجب الاتباع .

التاسعة : السلطة التشريعية فى التشريع الإسلامى : جعلها الله فى أهل الذكر من العلماء ، وهم المجتهدون الذين يكلفهم الشارع استنباط الأحكام للوقائع من النصوص أو الامارات ، على وفق نظم الإسلام وقواعده من غير جور ولا تحيف ، بخلاف السلطة التشريعية فى القوانين ، فانها تتولاها هيئة معينة يحددها دستور الدولة ، وقد يكون الخطأ أقرب إليها من الصواب (٢) .

هذه بعض المزايا التى وقفت عليها أو وفقت إليها ، وقد يكون فيها شىء من التداخل أو الازدواج وقد يكون بعضها مستلزما للبعض الآخر ، ولكن زيادة فى الايضاح وحرصا على التبليغ أفردتها فى فقرات ليسهل استيعابها والرجوع إليها .

(١) الموافقات : (ج ٢ ص ٤٠) .

(٢) مدخل الفقه الإسلامى : محمد سلام مذكور : (ص ٢٣) .

وبهذه المناسبة فقد لاحظت أن بعض الكتاب في حديثهم عن مزايا التشريع الإسلامي ، يتكلمون عن مزايا التشريع الجنائي ، فبعض الباحثين يرى أن التشريع الجنائي الإسلامي له خصائص معينة تميزه عن أقسام التشريع الأخرى فمن ذلك فيما يرى هؤلاء :

أولاً : التدرج :

يقول الاستاذ أحمد فتحى بهنسى فى كتابه السياسة الجنائية فى الشريعة الإسلامية : أن سياسة التجريم التى ينفجها أى مشرع وضعى تأتى تدريجياً ، وخاصة إذا كانت الأفعال التى يخضعها للتجريم مباحة فى الأصل .

وهذه السياسة هى التى سبقت بها الشريعة الإسلامية منذ القدم ، ونذكر أمثلة التجريم التى يظهر فيها هذا التدرج التشريعى فى الشريعة الإسلامية . ثم أورد بعض الأمثلة منها حد الزنا (١) .

والزنا باعتباره جريمة حرم دفعة واحدة ، ولم يتدرج فيه ولكن التدرج حصل فى العقوبة فقد كانت الحبس والايذاء ، ثم صارت الجلد والتغريب أو الرجم .

ثم ذكر حد شرب الخمر (٢) . وفعلاً فقد حصل - التدرج فى تحريمها بوضوح حيث أن المجتمع فى ذلك الوقت قد ابتلى بعادة الشرب وارتكس فيها .

ولكن ينبغى أن يلاحظ أن هذه المحرمات التى حرمت بالتدرج ، أو فرضت عقوباتها بالتدرج ، أن هذا أمراً خاصاً بها ، وفى ذلك الوقت خاصة . فانه بعد تحريمها بصفة نهائية لا يجوز التدرج فى تحريمها ، فى حق المجتمع الأخر ولا يقاس عليها غيرها من الجرائم ، ولو توافرت فى هذا المجتمع مثل هذه الظروف .

والحكمة فى التدرج والله أعلم هو أن المجتمع الإسلامى فى أول أمره كان ضعيفاً قليل العدد ، ولم تكن له القاعدة الشعبية التى تحميه وتؤازره ، فى حالة الرفض وعدم الاستجابة من قبل الآخرين ، فلما قوى المجتمع الإسلامى وازداد عدد المسلمين لم تكن هناك حاجة للتدرج ، يدل لذلك أنه فى عهد رسول الله ﷺ وفى آخر أيام حياته وكذلك فى عهد الخلفاء الراشدين لما فتحوا بلاد الكفار من النصارى والمجوس وغيرهم لم يتدرجوا معهم فى التجريم والعقوبة ، مع أن هذه المجتمعات كانت قد ابتليت بالزنا والربا وشرب الخمر ، ومع

(١) السياسة الجنائية فى الشريعة الإسلامية : (ص ١٠) .

(٢) السياسة الجنائية فى الشريعة الإسلامية : (ص ١٠) .

ذلك فقد ابلغوا بالإسلام كاملا، وطولبوا بالالتزام به جملة واحدة، ويدل لذلك موقف الرسول ﷺ مع بعض الوفود، كوفد عبد القيس، ووفود اليمن وثقيف، فانهم عندما أسلموا استأذن بعضهم رسول الله ﷺ في شرب الخمر لأنهم يحتاجون إليها للتدفئة فلم يأذن لهم رسول الله ﷺ وعندما قال أحدهم: إن الناس ليسوا بتاركى هذا الشراب أمره رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، ومنهم من استأذن في الزنا أو في ترك الصلاة فكلهم لم يأذن لهم رسول الله ﷺ بذلك، نأو أن هناك تدرجاً لاستجاب لهم رسول الله ﷺ ولتدرج معهم .

ولكن لا مانع أن تستخدم سياسة التدرج في التجريم والعقوبة في الجرائم التعزيرية، فعندما يتلى الناس بعبادة سيئة، أو ينتشر بينهم خلق دميم، فلا مانع من التدرج في تحريم ذلك بتتبع مصادره أولاً، وإيجاد البديل عنه، ثم تحريمه ثانياً، والمعاقبة على فعله بالعقوبة المناسبة .

ثانياً : عدم رجعية التشريع الجنائي على الماضي :

وينبنى على هذا التدرج التشريعي أن المذنب لا يعاقب إلا بمقتضى النص الذى يكون سارياً وقت ارتكابه جريمته، أى أن النص لا ينسحب على ما مضى من الوقائع، ثم أورد بعض الأدلة من القرآن .

ثالثاً : الاقتصار على الكليات دون الجزئيات والعموميات دون الخصوصيات : ثم تكلم عن النسخ . والواقع أن ما اشير إليه من هذه الأمور على أنها خصائص التشريع الجنائي لا يبدوا ذلك واضحاً، بل الذى يظهر ان هذه الأمور ليست خاصة بالتشريع الجنائي دون غيره من أقسام التشريع الإسلامى، إن كانت في العبادات، أو الشؤون المالية أو الاسرية أو شؤون الحرب .

فكثير من التشريعات نلاحظ فيها التدرج كالزكاة والصلاة والصيام والجهاد، فليس التدرج مقتصراً على التجريم والعقوبة، بل نستطيع أن نقول أن التدرج يعتبر صفة عامة للتشريع الإسلامى .

كذلك عدم رجعية التشريع الجنائي على الماضي ليست مقتصرة على الجنائيات بل هى صفة عامة للتشريع الإسلامى بجميع أقسامه، والآية التى يستدلون بها وهى قوله تعالى : ﴿ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ . (الأنفال : ٣٨) . وردت عامة مطلقه في كل شىء من الجنائيات وغيرها .

أما الاقتصار على الكليات دون الجزئيات والعموميات دون الخصوصيات ، والنسخ فهذه المسائل من الوضوح بحيث لا يحتاج الأمر إلى الكتابة عنها ، فهذه من المسائل الخاصة بكثير من الأحكام كالمعاملات ، والشئون الاقتصادية ونظام الحكم ، وليست مقتصرة على قسم دون آخر ، وليس من المناسب الإشارة إليها في معرض الحديث عن خصائص التشريع الجنائي لأنها عامة تشمل كثيراً من الأحكام كما ذكرت .

ومن هذا يتضح لنا أن التشريع الجنائي الإسلامي ليست له خصائص تميزه عن بقية أقسام التشريع ، هذا إذا نظرنا إلى التشريع الجنائي بمفهومه العام الذي يدخل فيه الاعتداء على حقوق الله سبحانه وحقوق الناس والاعتداء على الاموال والاعراض والأبدان .

إنما نلاحظ في التشريع الجنائي الخصائص المشار إليها في التشريع الإسلامي بصفة عامة من عدالة وحكمة ورحمة ويسر وغير ذلك من المزايا التي اشرنا إليها .

وجوب تطبيق التشريع الإسلامي والالتزام به وتنفيذه :

إن التشريع الإسلامي على اختلاف أقسامه إن كان جنائياً أو مالياً أو في العبادات أو في الحرب وشئونها ، يعتبر روح الأمة الإسلامية ، فبدون هذا التشريع لا يعتبر للأمة الإسلامية كيان ولا وجود ، إلا وجوداً شكلياً وكياناً صورياً ، أى كالجسد الميت الذى لا روح فيه ولا حياة .

وما لم ينفذ المسلمون حكماً ومحكومين التشريع الإسلامي في كل مجالات الحياة ، فإنه في هذه الحالة لا يعتبر لهم وجود شرعى ، ولا كيان حقيقى ، فالمسلمون ملزمون بتطبيق الشريعة الإسلامية خاصة ولاة الأمر ، يقول جل ذكره : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ . (الجنائيات : ١٨) . فاتباع الشريعة واجب في كل ما جاءت به من كليات أو جزئيات وأصول أو فروع ، والحكم بما أنزل الله واجب لا بد منه في حق الحكام والمحكومين : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ . (المائدة : ٤٤) . ﴿ وأولئك هم الظالمون ﴾ . (المائدة : ٤٥) . ﴿ وأولئك هم الفاسقون ﴾ . (المائدة : ٤٧) . ويقول سبحانه : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (النساء : ٦٥) . ويقول عليه الصلاة والسلام : « والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » . وفى الحديث : « وما لم يحكم أمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم » .

إن هذه المسألة من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى زيادة تفصيل، يدركها كل مسلم يتلو كتاب الله ويتدبره، ويقرأ أحاديث رسول الله ﷺ ويفقهها .

وينبغي أن نلاحظ أنه لا بد من تطبيق الشريعة عامة بكل أحكامها، وإلا فلا يعتبر المجتمع ملتزماً بشريعة الله ولا مطبقاً لها، يقول جل ذكره: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ . (البقرة: ٨٥) .

ويقول سبحانه: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ . (النساء: ١٥٠-١٥١) . فلا شك أن الذي يطبق الإسلام في جانب ويحول بينه وبين التطبيق في جانب آخر، لا شك أن هذه الآيات تنطبق عليه وهو على خطر عظيم من الكفر والنفاق . والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

نعيم الإيمان

إن اللذة والفرحة والسرور وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى، وتوحيده، والإيمان به وانفتاح الحقائق الإيمانية والمعارف القرآنية . . .
وقد قال بعضهم :

لتمر على القلب أوقات يرقص فيها طرباً، وليس في الدنيا ما يشبه نعيم
الآخرة إلا نعيم الإيمان والمعرفة . . .

(شيخ الإسلام: ابن تيمية)

مَنْهَجُ السَّلَفِ فِي الْعَقِيدَةِ وَآثَرُهُ فِي :

وَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ

الرَّكْنُ صَبَّاحُ السُّعُودِ السَّحِيمِي
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد

فهذا جهد متواضع أساهم به لبيان المنهج الذي كان عليه السلف الصالح في العقيدة ومدى مخالفة الناس لذلك المنهج مما فرق كلمة المسلمين وأضعف وحدتهم .

وجعلت عنوان البحث : منهج السلف في العقيدة وآثره في وحدة المسلمين وقد حملني على ذلك إهمال كثير من الباحثين لهذا الجانب ، أعنى جانب العقيدة ، والذي هو العامل الأول والركيزة الأساسية التي يبنى عليها كيان المجتمع الإسلامي ، وتنضوي تحت لوائها صفوف المسلمين . منها يستلهمون طريق وحدتهم ، وعلى ضوئها يشقون طريقهم إلى أعلى قمم المجد والعلو ، وبهداها ومبادئها القيمة يفتحون القلوب قبل أن يفتحوا الأمصار والأقطار ، ولقد كثرت المؤلفات والخطب والمحاضرات والمواظع والندوات التي تنادي بوحدة المسلمين وجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم بالأساليب المتعددة ، وطرح الحلول الكثيرة ، لكن هذه الأساليب والحلول ، ناقصة وغير تامة نظراً لاهتمامها بالجوانب الفرعية فقط . فنجد ان جماعة ممن يهتمون بعوامل التضامن الإسلامي يركزون جل اهتمامهم على الجانب السياسي . ونجد جماعة أخرى تركز على الجانب الأخلاقي ، ونجد جماعة ثالثة تركز على جوانب الترغيب والترهيب والزهد والورع . وقل أن تجد بين هؤلاء من يهتم بالجانب الأساسي والركن العظيم ، والذي هو الحصن الحصين ، والمنطلق المتين لجمع كلمة

المسلمين ، الا وهو عقيدة التوحيد الذى جمعنا الله به بعد الفرقة ، وألف بين قلوبنا بعد التمزق ، حتى أصبحنا به أمة واحدة ذات هدف واحد ومنطلق واحد ، وعقيدة واحدة ، هى مصدر عزتنا ، وعنوان سعادتنا ، ومناط وجودنا فى هذه الحياة . إنها عبادة الله الذى لا إله غيره ، ولا رب سواه إنه الهدف الأسمى ، والمقصد الأعلى الذى خلقنا الله له ، وأوجدنا من أجله ، كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ .

إذا تأملنا هذه الآيات الكريمة وما جاء فى معناها ، وما أكثره فى كتاب الله ، وجدنا أن أساس كل عمل فى الإسلام إنما ينطلق من العقيدة ، ويرتكز عليها ، كما يرتكز البناء على أركانه .

والبيت لا يبنى إلا له عمداً ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
إذا عرفنا ذلك فإن أية دعوة إلى التضامن الإسلامى ، إذا لم ينطلق أصحابها من هذا المبدأ الأساسى ، ولم تؤسس على هذا البناء الراسخ ، ولم تقم على تحقيق التوحيد ، وتحليصه من شوائب الشرك ، والبدع ، والمعاصى ، فإنها دعوة سيكتب لها الفشل لا محالة . عاجلاً أم آجلاً لأن البناء ، لا يقوم فى الهواء ولا يمكن تشييده إلا على أرض صلبة حتى لا يتعرض للانهار يوماً من الأيام .

قال تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ .

وحينما نقول إن مبنى التضامن الإسلامى على عقيدة التوحيد وعندما ندعوا إلى وجوب الانطلاق من هذا المبدأ ، فإن ذلك لا يعنى إهمال الجوانب الأخرى التى أشرنا إليها أو إلى بعضها فى ما مضى ، وإنما نعنى وجوب التأسيس وذلك بأن نبدأ أعمالنا كلها من هذا المنطلق .

فعلى ضوءه تكون السياسة ، وعلى منهجه تبنى الآداب ، والأخلاق ، وفى حدوده ندعوا إلى الترغيب ، والترهيب ، وعلى مبادئه يوجد بإذن الله المجتمع الإسلامى الصالح المنشود ، وتوجد السعادة البشرية فى الدنيا والآخرة ، ويعود الناس إلى دين الله أفواجا

فينعمون بالخير ، والأمن ، والطمأنينة وفق هدى العقيدة الخالصة الوارفة الظلال ، فيتخلصون بذلك من أدران الوثنية ، وأوضار الجهل ، وحينئذ تصفوقلوبهم ، وتخلص لله وتخلع ربقة الشرك الذى ران عليها سنين طويلة ، والذى هو أعظم ذنب عصى به الله عز وجل ، منذ أن انحرف الناس عن الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها حتى وقعوا فيها ووقعوا فيه من الإفراط والتفريط والغلو والتقصير ، فلقد كان الإنسان فى أول خلقه على المنهج الربانى الصحيح ، عقيدة وسلوكاً ، وأخلاقاً ، وعبادة ، ومعاملة ، حقبة من الزمن .

يذكر علماء التاريخ ، والسير بأنها تقدر بعشرة قرون ، إلى أن بدأ الانحراف فى العقيدة ، فى أولئك القوم الذين بعث الله فيهم نوحاً عليه الصلاة والسلام ، بعد أن زين لهم الشيطان عبادة الأصنام ، والأوثان ، بسبب الغلو فى الصالحين . فقد روى البخارى رحمه الله فى صحيحه عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تدرن آهتكم ولا تدرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ . قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبت . فانظر كيف بدأ الانحراف عن الصراط السوى نتيجة للغلو ، بطريق التدريج ، وذلك أنهم كانوا يتبركون بدعائهم ، وكلما مات منهم أحد مثلوا صورته وتمسحوا بها زمناً طويلاً إلى أن عبدوها باستدراج الشيطان لهم . ثم صارت سنة فى الناس يهرم عليها الكبير ، ويشب عليها الصغير إلى أن بعث الله فيهم نوحاً عليه الصلاة والسلام فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد الله ونبذ عبادة ما سواه فأصروا واستكبروا واستكباراً ، ولم يؤمن منهم إلا النزر اليسير .

وما كان عليه حال قوم نوح هى نفس الحال التى ارتكس فيها الناس بعد ذلك من الغلو ، ومجازة الحد ، واتباع الهوى الذى أدى بالناس إلى عبادة غير الله سبحانه وتعالى . وأخطر هذه الأسباب هو الغلو الذى حذر الله منه فى غير ما آية .

والغلو هو مجاوزة الحد فى مدح الشئ أو ذمه ، وضابطه تعدى ما أمر الله به وهو الطغيان الذى نهى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ﴾ . وكذا قال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ﴾ . أى لا تتعدوا ما حد الله لكم .

وأهل الكتاب هنا ، هم اليهود ، والنصارى ، فنهاهم عن الغلو فى الدين ، ونحن كذلك ، كما قال تعالى : ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ﴾ .

والغلو كثير فى النصارى فإنهم غلوا فى عيسى عليه الصلاة والسلام ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله ، يعبدونه كما يعبدون الله ، بل غلوفيمن زعم انه على دينه من اتباعه ، فادعوا لهم العصمة ، واتبعوه فى كل ما قالوه سواء كان حقاً أم باطلاً ، ناقضتهم اليهود فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، فخطوا من منزلته حتى جعلوه ولد بغى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى ، وغلا فى الدين بافراط أو تفريط ، وضاهاهم فى ذلك ، فقد شابههم ، كالخوارج المارقين من الإسلام لذين خرجوا فى خلافة علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقاتلوه حين خرجوا على المسلمين بأمر النبى ﷺ ، كما ثبت ذلك من عشرة أوجه فى الصحاح ، والمسائيد وغير ذلك ، وكذلك من غلا فى دينه من الرافضة والقدرية والجهمية ، والمعتزلة . وقال أيضا : فإذا كان على عهد النبى ﷺ من انتسب إلى الإسلام وقد مرق منه مع عبادته العظيمة ، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة فى هذه الأزمان ، قد يمرق أيضاً من الإسلام ، وذلك بأسباب منها الغلو الذى ذمه الله فى كتابه ، حيث قال : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ﴾ . أه

وهذا الكلام يدل دلالة واضحة على أن أعظم فتنة ابتليت بها البشرية إنما هى فتنة الغلو الذى جاء التحذير منه فى غير ما آية وحديث ، وقد تقدم من الآيات ما يوضح ذلك . أما الأحاديث فمنها ما ثبت فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى ﷺ ، قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » . وثبت فى سنن أبى داود والترمذى ، وابن ماجه ، من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « إياكم والغلو فإن ما أهلك من كان قبلكم الغلو » .

وهذه نصوص صريحة ، وواضحة فى أن سبب الانحراف عن العقيدة الصحيحة والفتنة السليمة إنما هو ذلك الغلو ومجاوزة الحد الذى أدى بالتالى الى صرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى ، الأمر الذى من أجله بعث الله الرسل لإعادة الناس من عبادة العباد إلى

عبادة رب العباد . ذلكم هو الهدف الأسمى الذى أوجد الله من أجله الثقيلين ، الجن ، والإنس . فكل عاقل فى هذا الوجود يعرف أنه مخلوق لخالق ، ومربوب لرب أوجده بعد العدم .

لو طرح سؤال مفاده : لماذا خلقت فى هذه الحياة ؟ ولماذا فضلت على سائر الكائنات الأخرى ؟ وما هى مهمتك فى هذه الحياة ؟ . . فإن الجواب عند المؤمن حاضر بكل بساطة : إن كل صانع يعرف سر صناعته ، لماذا صنعها . . ولماذا صنعها على نحو معين دون غيره . . .

والله تعالى هو صانع الإنسان وخالقه ، ومدبر أمره فلنسأله : يارب لماذا خلقت هذا الإنسان ؟ هل خلقتة لمجرد الطعام والشراب ؟ هل خلقتة للهو واللعب ؟ هل خلقتة لمجرد أن يمشى على التراب ، ويأكل مما خرج من التراب ، ثم يعود كما كان إلى التراب ، فإذا لم يكن الأمر كذلك فما سر هذه القوى والملكات التى أودعها الله الإنسان من عقل وإرادة وروح .

لقد جاء جواب ذلك بما يشفى ، ويكفى فى الكتاب العزيز الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ، ولا من خلقه تنزيل من حكيم حميد ، حيث نص تبارك وتعالى على أنه خلق هذا الإنسان ليكون خليفة فى الأرض .

قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة . قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ . وهذه الخلافة معناها أن يعرف الإنسان ربه حق معرفته ، ويعبده حق عبادته .

قال تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ، ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً ﴾ .

ويقول الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

وإذن ، فالجواب البدهى الذى تنطق به الفطرة فى هذا الكون ، أن الإنسان عبد لله خلق لذلك ، وسخر الله له ما فى السموات ، وما فى الأرض ، من أجل تحقيق الغرض .

ومن هنا يعلم كل ذى فطرة سليمة ، وعقل متجرد ، أن عبادة الإنسان ، لقوى الطبيعة ومظاهرها من فوقه ، ومن تحته كالشمس ، والقمر ، والنجوم ، والأنهار ، والأبقار ، والأشجار ، ونحوها قلب للوضع الطبيعي ، وانتكاسُ بالإنسان أى انتكاس !! والإنسان إذن ، بحكم فطرته ، ومنطق الكون ، إنما هو مربوب لله سبحانه لا لغيره ، لعبادته وحده ، لا لعبادة بشر ، ولا حجر ، ولا بقر ، ولا شجر ، ولا شمس ، ولا قمر ، وكل عبادة لغير الله إنما هي من تزيين الشيطان عدو الإنسان .

ولذا نرى أول نداء يوجهه الله لرسله هو الأمر بعبادته ، وبيان أنه لا إله غيره ، ولا رب سواه ، اقرأ مثلاً : قوله تعالى : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

هذه العبادة لله وحده هي العهد القديم الذى أخذه الله على بنى الإنسان ، ورسخه فى فطرهم البشرية ، وغرسه فى طبائعهم الأصيلة ، منذ خلقهم ، وصورهم ، وجعلهم فى أحسن تقويم ، وأوجد فيهم العقل الواعى ، الذى يتميزون به على سائر الكائنات ، وجعل كل ما حولهم من الآيات البيّنات دليلاً قاطعاً على وحدانيته سبحانه ، وافراده بكامل العبودية ، وأخذ العهد عليهم حيث قال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ .

ومن هنا نعلم أن كل عبادة لغير الله ، وإن ظهرت فى صورة عبادة حجر ، أو شجر ، أو مدر ، أو هوى ، إنما هو من إيجاء الشيطان ، وتزيينه ، ووسوسته بشكل مباشر أو غير مباشر ، بغض النظر عن القالب الذى ظهرت فيه تلك العبادة ، ولذا نرى أن الله تبارك وتعالى قد أخذ العهد على بنى آدم منذ أن كانوا فى صلب أبيهم آدم .

هذا العهد بين الله وعباده ، هو الذى صوره القرآن فى أروع صورة ، وبلاغة ، حين قال : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا . ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ .

فلا عجب أن يكون المقصود الأعظم من بعثة النبيين وإرسال المرسلين ، وإنزال الكتب المقدسة ، هو تذكير الناس بهذا العهد القديم ، وإزالة ما تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة أو الوثنية ، أو التقليد الأعمى .

ولا عجب أن يكون النداء الأول لكل رسول : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله

غيره » .

بهذا دعا قومه ، نوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وشعيب وكل رسول بعث إلى قوم مكذبين . قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ . وقال تعالى بعد أن ذكر قصص طائفة كبيرة من الأنبياء : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ . وكما قال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ .

وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ أى الموت . كما قال تعالى على لسان قوم : ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ﴾ . وهو الموت . فالتكليف بالعبادة لازم له حتى يلقي ربه .

ولم تسقط عنه بسمو الروح ، ولا بالاتصال القوى بالله كما يدعي غلاة الصوفية .

وقال تعالى فى شأن عيسى بن مريم الذى رفعه قومه إلى مرتبة الألوهية ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون . ومن يستنكف عن عبادته ، ويستكبر ، فسيحشرهم إليه جميعاً . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فيوفىهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فיעذبهم عذاباً أليماً ، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ، ولا نصيراً ﴾ .

ويعرض لنا القرآن مشهداً من مشاهد يوم الحشر . يسأل الله فيه المسيح عليه السلام عما نسبوه إليه ، وافتروه عليه ، فيجيب فى أدب العبودية مترثاً مما صنعوا : ﴿ وإذ قال الله : يا عيسى بن مريم : أنت قلت للناس : اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك : ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك . إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ﴾ .

فالأديان كلها دعوة إلى عبادة الله وحده . والأنبياء جميعاً أول العابدين لله . وعبادة الله وحده هى - إذن مهمة الإنسان الأولى فى الوجود كما بينت ذلك كل الرسالات .

قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم ، وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ . فقد دلت الآية

الكرامة وما في معناها على وحدة الهدف والعقيدة التي هي محور دعوة جميع الرسل من لدن نوح عليه السلام إلى خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ ، الذي بعثه الله رحمة للعالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ولينقذهم من أحوال الشرك ، وأدران الوثنية ، فكان بذلك نبراساً للأمة ينير لها الطريق ، ومشعلاً يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يترسمون تلك الخطا النبوية ، ويستلهمون سر وحدتهم من صفاء العقيدة الخالصة التي لم تشبها شائبة ، فأصبحوا بذلك سادة الدنيا ، وفتح الله لهم أبواب الخير من كل مكان ورفعوا راية التوحيد في مشارق الأرض ومغاربها . وكل عاقل يدرك ان هذا النصر المؤزر الذي حققه الله على أيديهم لم يكن وليد الصدفة ، ولم يكن بسبب العدد والعدة ، وإنما تحقق ذلك ، بسبب اعتمادهم على الله ، والتوكل عليه مع الأخذ بالأسباب المشروعة ، وبدئهم بالأهم قبل المهم ، وانطلاقهم في دعوتهم من تحقيق كلمتي التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، لأن ذلك هو الأساس الذي أمروا أن يبدأوا به ، قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

ومن السنة ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس قال : « لما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال : انك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ان لا إله إلا الله الحديث » .

ومما يدل على أهمية العقيدة ، وكونها أساس كل عمل ، تكفيرها للذنوب والكبائر ، إذا صدرت عن إخلاص وقوة إيمان ، يدل لذلك ما رواه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص من حديث صاحب البطاقة حيث ينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ، ثم يؤتى ببطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، فتوضع السجلات في كفه ، والبطاقة في كفه فتطيش السجلات ، وتثقل البطاقة .

وإذا فتوحيد الله تعالى ، هو رأس الأمر كله ، والجسد لا يستقيم بلا رأس ، كما قال ﷺ رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله .

وهذه نصوص صريحة دالة على وجوب البدء بالدعوة إلى توحيد الله تعالى ، قبل جميع التكاليف ، لأن قبول جميع التكاليف مرهون بتحقيق ذلك ، وهذا ما سار عليه السلف الصالح في دعوتهم ، مما حقق لهم النجاح في برهة وجيزة ، أذهلت العقول ، وتحطمت أمامها عروش الكفر والطغيان .

وقد استمر الأمر على هذا الحال ثم بدأ الانحراف بعد ذلك عن هذه الجادة بسبب الانصراف عن الكتاب والسنة اللذين يجب أن نأخذ العقيدة منهما والاشتغال بالفلسفة والمنطق ، اللذين لم يستفد منهما المسلمون غير تخريب العقيدة ، والقيـل ، والقال ، والجدل الذى لا طائل تحته ولا جدوى من ورائه حتى قال قائلهم :
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

الأمر الذى حدا بكثير من الناس إلى تعطيل صفات الله عزوجل ، أو تفويضها ، أو تأويلها ، أو تمثيلها ، وكذلك الحال فى عبادة الله عزوجل حيث لم يقتصر الأمر على التقيد بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح فى ذلك ، حتى أصبح الناس فى العبادة نتيجة لجهلهم بما كان عليه السلف الصالح من صحة الاعتقاد ، أصبحوا ما بين مُفْرِطٍ ومُفْرِطٍ ، فالمفراطون أسرفوا فى دعوى المحبة حتى أخرجهم ذلك إلى نوع من الرعونة والدعاوى التى تنافى العبودية ، وثبت الربوبية أو شيئاً منها لغير الله ، ومعلوم أن الرب والمعبود هو الله وحده ، ومع ذلك يدعى هؤلاء دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين - فضلاً عن عامة الناس ، أو يطلب من غير الله ما لا يصلح بكل وجه إلا الله ، لا يصلح للأنبياء ولا للمرسلين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ (يعنى شيوخ المتصوفة) وسببه : ضعف تحقيق العبودية التى بينها الرسل ، وحددها الأمر والنهى ، الذى جاءوا به ، بل ضَعْفُ العقل الذى به يعرف العبد حقيقته .

وإذا ضعف العقل ، وقل العلم بالدين ، وفى النفس محبة طائشة جاهلة ، انبسطت النفس بحمقها فى ذلك ، كما ينبسط الإنسان فى محبة الإنسان مع حمقه وجهله ، ويكون سببا لبغض المحبوب له ، ونفوره منه ، بل سببا لعقوبته .

وكثير من السالكين سلكوا فى دعوى حب الله أنواعاً من أمور الجهل بالدين ، إما من تعدي حدود الله ، وإما من تضييع حقوق الله ، وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التى لا

حقيقة لها ، كقول بعضهم : « أئى مرید لی ترك فی النار أهداً فأنا برىء منه ، وقال الآخر : أئى مرید لی ترك أهداً من المؤمنین یدخل النار فأنا منه برىء » .

فالأول : جعل مریده ینخرج كل من فی النار .

والثانى : جعل مریده یمنع أهل الكبائر من دخول النار .

ویقول بعضهم : إذا كان یوم القیامة نصبت خیمتی على جهنم ، حتى لا یدخلها أحد ، وأمثال ذلك من الأقوال التى تؤثر عن بعض المشایخ المشهورین - وهى إما كذب علیهم ، وإما غلط منهم . أه .

وإذا كانت هذه المقالات الإلحادیة قد وجدت فی عهد شیخ الإسلام ابن تیمیة ، وقبله ، فإن فی عصرنا من الدعاوى التى تبلغ حد التألیه ، ما هو أدهى وأمر .

من ذلك قول أحد زعماء الطرق الصوفیة المعاصرین :

قد خصنى بالفضل والتشرف إن قلت كن یكن بلا تسویف

ویدعى هذا الكذاب الأشرأن رجلاً نصرانیا دخل الجنة بسبب انه عاش امرأة من اتباع ذلك الشیخ ، معاشرة غیر شرعیة مع ان المرأة التى عاشها كما یقول لیست ملتزمة بالطریقة ، ولكنه دخل الجنة ببركة شیخ الطریقة التى تنتمى إليها هذه المرأة ، ویقول أحد الأفاكین من هؤلاء إن من ضرورات مذهبهم أن لأئمتهم درجة لا یدلغها ملك مقرب ، ولا نبى مرسل إلى غیر ذلك من المقالات الكفریة والاحادیة ، القديمة والحدیثة ، والتى لا تكاد تعد ولا تحصى .

ترى ماذا ترك هؤلاء الملاحدة لله من العبودیة ، إذا ادعوا بلوغ مثل هذه المراتب ، وإذا سئلوا عن تفسیر هذه التراهاث ، ادعوا انهم كانوا فی حالة سكر یحب الإله .

قال الشاعر فى التهكم بهم ووصف أحوالهم التى یزعمون أنها عبادة :

ألا قل لهم قول عبد نص	وح حق النصیحة أن تستمع
متى علم الناس فى دیننا	بأن الغناسنة تتبع ؟
وان یأكل المرء أكل الحمار	ویرقص فى الجمع حتى یقع
وقالوا سكرنا بحب الإله	وما أسكر القوم إلا القصع
كذاك البهائم إن أشبعت	یرقصها ربها والشبع
ویسكره النای ثم الغنا	ویس لو تلیت ما انصدع

ألا منكر منكمو للبدع
وتكرم عن مثل ذاك البيع

فيا للعقول ويا للنهى
تهان مساجدنا بالسماح

وقال آخر :

لكنه إطراق ساهٍ لاهي
والله ما رقصوا لأجل الله
فمتى رأيت عبادة بملاهي
تقييده بأوامر ونواهي
زجراً وتخويفاً بفعل مناهي
شهواتها، ياذبحها المتناهي
فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه
أسبابه، عند الجهول الساهي؟
خمر العقول مماثل ومضاهي
وانظر الى النسوان عند ملاهي
من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي
تحريم والتأثيم عند الله؟

تلى الكتاب فأطرقوا، لاختيفةً
وأتى الغناء، فكالحمير تناهقوا
دفً ومزمار، ونغمةً شادن
ثقلَ الكتاب عليهم لما رأوا
سمعوا له رعداً وبرقاً، إذ حوى
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن
وأتى السماع موافقاً أغراضها
أين المساعد للهوى من قاطع
إن لم يكن خمر الجسم فإنه
فانظر إلى النسوان عند شرابه
وانظر الى تمزيق ذا أثوابه
واحكم فأى الخمرتين أحق بالـ

وما وصفه الشاعر من أحوال هؤلاء الناس يعطى صورة حقيقية عن مدى الانحراف
الذى وقعوا فيه حيث بلغ بهم الحال الى اعتبار الرقص والغناء عبادة تقربهم إلى الله بدعوى
ان تلك الرقصات والأنغام الصوفية إنما هي نابعة من قلب مفعم بالمحبة ، فجعلوا محبتهم
للخالق مشابهة لمحبة المخلوق للمخلوق من وجود العتاب ، والعدل واللوم والغرام ، ونحو
ذلك مما يجب ان ينزه الله عنه . لأنه لا يليق بجلال الله وعظمته .

ولكن الدليل والبرهان على محبة القلب لله وخضوعه له إنما يتجسد في اتباع رسوله
ﷺ ، قال تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله ﴾ . فلا يكون محبا لله إلا
من اتبع رسوله .

وطاعة الرسول ، ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبودية .

وكثير ممن يدعى المحبة يخرج عن شريعته وسنته ﷺ ويدعى من الحالات ما لا يتسع
هذا الموضوع لذكره ، حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر . وتحليل الحرام له ، وغير ذلك مما
فيه مخالفة لشريعة الرسول وسنته وطاعته .

بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رسوله ، الجهاد في سبيله . والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به . وكمال بغض ما نهى الله عنه . ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه : ﴿ أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ﴾ . ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم . وأكمل هذه الأمة في ذلك هم أصحاب محمد ﷺ ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل .
« هذا صنف » .

والصنف الثاني وهم المُفْرَطُونَ الذين غلطوا في فهم حقيقة العبادة وهم الذين ظنوا ان المحبة تنافي أدب العبودية ، ولا تصاحب خشية الله ومخافته التي يجب ان يتصف بها كل عبد لله . كما ظن ان المحبة لا تتحقق من المخلوق للخالق ، إنما المطلوب منه الطاعة والخضوع فقط .

ولذا نجد بعضهم يقول اللهم إنى أعبدك لا طمعاً في ثوابك ولا خوفاً من عقابك ، فانظروا أختي المسلم ، كيف فصلوا بين العبادة وبين الخوف والخشية ، والمحبة ، والرجاء .

والحقيقة أن المحبة لا تنافي الخشية ، والمخافة بل الخوف لازم للمحبة ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، إذ ليس عند القلب السليم أحلى ، ولا ألد ، ولا أطيب ، ولا أسرو ولا أنعم من حلاوة الإيثار المتضمن عبوديته لله ، ومحبته له ، وإخلاص الدين له .

وذلك يقتضى انجذاب القلب إلى الله ، فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه ، راغباً راهباً ، كما قال تعالى : ﴿ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ . إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه أو عدم حصول مرغوبه ، فلا يكون عبداً لله ، ومحبه ، إلا بين خوف ورجاء . كما قال تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ .

فقد دلت الآية الكريمة على أن كل عبد مخلص لله لا بد أن يكون مع عبادته بين الخوف والرجاء ، وقد نص العلماء رحمهم الله على أنه ينبغي للمسلم أن يُغلب جانب الخوف في الصحة حتى لا يأمن من مكر الله ، وان يُغلب جانب الرجاء في المرض حتى لا يئأس من روح الله ، والآية الكريمة نزلت في أناس من الإنس كانوا يعبدون نغراً من الجن ،

فأسلم الجن ، وبقي الإنسان على عبادتهم إياهم ، فأخبر الله تعالى ، إن هؤلاء المدعوين يطلبون القربة إلى الله ، عز وجل ، بالعمل بما يرضيه ، خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه ، وهذا ينطبق على كل من يدعو غير الله في الوقت الذي يكون المدعو أحوج ما يكون إلى عبادة الله . كما يقال « فاقد الشيء لا يعطيه » ومع ذلك نجد كثيراً ممن انتكست فطرتهم ، يعكف عند ميت في قبره ، يطلب منه قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، ويزعم انه يعلم الغيب ، ويعطى الولد ، وغير ذلك ، مما لا يقدر عليه إلا الله .

ولا نكاد نجد بلداً من بلاد الإسلام ، إلا وفيه أنماط من هذه الطقوس التي حالت بين الناس ، وبين فهم العقيدة الصحيحة . ومن هنا تبدو الحاجة ملحة إلى بيان تلك العقيدة الصافية ، الخالصة ، التي تركز على نصوص الوحيين الكتاب والسنة .

فالإنسان في كل زمان ، ومكان ، في حاجة ماسة إلى عقيدة تحدد له غايته ، وتوضح له منهجه الذي يسير عليه لتحقيق هذه الغاية ، ولكنه عندما تنتكس فطرتة ، وتطول غفلته ، وينقلب فهمه ، حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن ، عندها تتحول عقيدته إلى حجر يقده ، أو شجر يعظمه ، أو شمس تضيء نهاره ، أو قمر ينير ليله ، أو بحر تتلاطم أمواجه ، أو نار تتلظى ، أو حيوان يهابه ، أو إنسان يكبر في نفسه ، أو أى مخلوق يرى له فضلا عليه من ملك ، أو جنى ، أو نبي ، أو ولي ، ميت أو حي ، فيتعلق من ذلك كله بما هو أوهى من خيوط بيت العنكبوت .

قال تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ .

وقد يكون ذلك منه لمجرد التقليد من غير وعي ، أو تفكير : ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ .

وقد يكون الانحراف في العقيدة ، باتباع الهوى الذي ذمه الله في غير ما آية ، قال تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون . وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم أن هم إلا يظنون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ .

وفي هذا العصر الذى ادلهمت فيه الظلمات ، وانقلبت فيه الحقائق ، وتغيرت فيه المفاهيم ، يتساءل الفرد المسلم عن طريق الخلاص ، يتساءل وهو حائر بين هذه الجماعات المتصارعة ، والأحزاب المتناحرة ، والدعوات المتفرقة ذات المناهج المختلفة التى تدعى لنفسها السير على المنهج الصحيح .

وكل يدعى وصلاً ليلى ولىلى لا تقرر لهم بذلك

وهذه الدعوات لا يخلو أمرها من حالين :

أحدهما : الخطأ فى المنهج والسلوك :

كمناهج الطرق الصوفية التى ذكرنا فيما سبق بعض مقالاتهم الاحادية التى لا تمت الى الدين بصلة بل صرفت اتباعها عن الاعتقاد على الكتاب والسنة اللذين هما مصدر شريعة الإسلام .

والحال الثانية : الخطأ فى الفكر :

كمثل جماعات الدعوة الاسلامية المعاصرة ، والتى تنطلق فى دعواتها من منطلق حزبي ضيق .

الأمر الذى بعد بهم عن منهج السلف الصالح ، إذ أن هذه الجماعات لم تؤسس بناء دعوتها على توحيد الباري جل وعلا . والعقيدة السلفية الصافية من الشوائب .

فإن من تأثر بتلك الدعوات ان كان من أهل العقيدة أصلاً لا يكون ولاؤه لها ، ولا يكون فكره متفقاً معها ، بسبب سيطرة هذه المناهج على أفكاره ، حتى ماتت العقيدة فى نفسه ، فأصبح لا يدعو لها وان كان يعتقد بها ، لكنه بعد عنها تحت تأثير المنهج الحزبي ، لأنه يوالى ، ويعادى على ذلك الفكر الضيق ، الذى بنى على غير أسس سليمة ، فلا يكون للعقيدة مكان ولا مجال فى التطبيق العملى ، ولا تعطي ثمراتها الطيبة الياضة ، فهى لا تفيد معتقديها ، لأنها قد فقدت روحها ، فأصبحت ، بلا روح كالجدوة التى استترت وانغمرت تحت الرماد .

وخطورة هذا الأمر لا تقل خطورة عن الجهل بالعقيدة ، فإن من يعرف العقيدة ولا يدعو إليها ، هو كالجاهل بها سواء بسواء . وهو لاء إنما أصيبوا بالخرس عن الدعوة الى

العقيدة بدعوى ان ذلك يفرق الأمة ، ويمزق كيانها . لأنهم يريدون ان يجمعوا تحت لوائهم من هب ودب . لا فرق في ذلك عندهم بين ملتزم بالعقيدة الصحيحة وغيره . إذ ان الهدف الذى يقصدونه هو مجرد الجمع دون تمييز .

وهذا منهج بلا شك سينتهى بأصحابه الى الفشل الذريع ، نظراً لكونه قد بنى على غير أسس سليمة . وذلك ان أصحاب هذا المسلك أتوا من عدم الفهم ، والادراك الصحيح حيث لم يفرقوا في الدعوة ، بين الأصول ، والفروع ، فتراهم يبدؤون بالدعوة الى بعض الفروع ، ويزعمون انه متى أقيم هذا الفرع ، فإنه سوف يوجد الأصل تلقائياً ، ولذا نرى كثيراً منهم يهتمون بالجانب السياسى ، بدعوى انه متى وجدت الدولة التى ينشدونها عند ذلك تصلح العقيدة ، وغيرها ، مما فسد من أحوال المسلمين ، وهذا تصور غير صحيح ، لأن صاحب هذا التصور ذكر شيئاً ، وغابت عنه أشياء .

نعم الإسلام دين ، ودولة ، وعقيدة ، وشريعة ، ولكن يجب أن نأخذ كوحدة متكاملة بحيث ينطلق فى سياسته ، وجميع أموره من العقيدة الاسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ، وهما كفيلاان ببيان منهج الدعوة الاسلامية . كما فصلنا ذلك فيما تقدم .

لا بمجرد الدعاية والأناشيد الحماسية واهتافات ، والشعارات الجوفاء التى لم يستفد منها المسلمون سوى القضاء على الدعوة وأهلها فى كثير من البلاد ، حيث يهيجون الشباب المسلم ، ويلهبون حماسه ، ويستثيرونه ، إلى أن يثور ، ويتحرك ، فيقع فى أيدي الطغاة الظلمة ، أعداء الإسلام ، والمسلمين ، فيقضون على هؤلاء الشباب ، ويهدرون هذه الطاقة نتيجة لذلك المسلك الخاطىء ، الذى تسلكه تلك الجماعات فى دعوتها . وإذا أردنا ، أن يتحقق للمسلمين ، ما يصبون إليه ، وما يتطلعون إليه ، من العودة بالمسلمين الى الاسلام الصحيح ، فعلينا أن نسلك بهم طريق التعليم ، والتربية ، وتفقيه الشباب المسلم فى دينه ، وتبصيرهم فى ذلك حتى تزول بإذن الله تلك الشوائب التى علقت بالدين ، ودعوته ، وتلك الرواسب التى أكل عليها الدهر ، وشرب ، والتى انحرفت بالمسلمين عن الجادة الصحيحة التى رسمها لهم الله عز وجل ، فى كتابه المبين ، وبينها رسول الهدى ﷺ فى سنته المطهرة ، ولنا أسوة حسنة فى أولئك الدعاة المصلحين الذين أسسوا دعوتهم على عقيدة الإسلام ، وبدأوا بتطهيرها من شوائب الشرك والخرافات .

الأمر الذى تحقق بسببه رفع راية التوحيد ، خفاقة فى ربوع الجزيرة العربية ، بعد ان ران عليها الجهل ، وخيم عليها الظلام ، عدة قرون . وعاد كثير من الناس الى الشرك ،

والخرافات ، فانقشع ذلك الجهل ، وتحول ذلك الظلام إلى نور ، على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، الذى بدأ بتعليم الناس ، العقيدة الصحيحة ، وقامت بفضل هذه العقيدة ، دولة التوحيد ، منذ أن قام الإمام محمد بن سعود رحمه الله ، مؤسس هذه الدولة المباركة بتبني ، هذه الدعوة ، فكتب الله لها بذلك النصر ، والبقاء ، وزالت مظاهر الشرك ، والوثنية فى برهة وجيزة ، وهى لم تكن لتزول ، لو لم تنطلق هذه الدعوة من روح العقيدة .

ولست مبالغاً حينما أذكر هذه الحقيقة ، فإنها حقيقة يسلم بها الأعداء ، فضلا عن الأصدقاء ، والحق ما شهدت به الأعداء .

وخلاصة القول أنه لا صلاح لنا ، ولا فلاح ، ولا نجاح لدعوتنا ، إلا إذا بدأنا بالأهم ، قبل المهم ، وذلك بأن ننطلق فى دعوتنا من عقيدة التوحيد ، نبني عليها سياستنا ، وأحكامنا ، وأخلاقنا ، وآدابنا ، ننطلق فى كل ذلك من هدى الكتاب ، والسنة ، بلا افراط ، ولا تفريط ، ذلكم هو الصراط المستقيم ، والمنهج القويم ، الذى أمرنا الله تعالى ، بسلكه ، فقال : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ . وقال رسول الهدى ﷺ : « تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا بعدي ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنتي » . ويقول الإمام مالك بن أنس رحمه الله : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

اللهم إنا نسألك أن ترد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً ، ونسألك أن ترينا الحق حقاً ، وترزقنا اتباعه ، والباطل باطلاً ، وترزقنا اجتنابه وأن لا تجعله ملتبساً علينا فنضل . انك ولى ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه واتباعهم باحسان الى يوم الدين .

أثر العقيدة الإسلامية

في رضائن ووهرة الأمة الإسلامية

الدكتور أحمد سعد الفارسي

أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله الأمين وبعد :

فإن احساس الأمة المسلمه بحاجتها إلى اللقاء . . . وإلى التعاون . . . احساس منطقي وواقعي . . . ذلك لأنها قد اضررت بها الخلافات . . . وانهكتها النزاعات . . . والتي كانت سبباً لضعفها وضياع حقوقها في عصر لم يعد يسمع فيه لصوت الضعفاء ولا لأنين الجرحى .

قال تعالى : ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ . (الانفال : ٤٦) .

فارتفاع الأصوات المسلمة من هنا وهناك تنادى بضرورة وحدة الأمة واجتماع كلمتها . أصوات صادقة ينبغي أن تتجاوب لها الأقطار الإسلامية لتنقذ نفسها وتحمي حقها .

قال تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ . (آل عمران : ١٠٣) . ولكنه لا بد للأمة المسلمة - وهي تلم شعنها وتوحد صفوفها - لا بد لها من ادراك صحيح للأسباب التي كانت وراء هذا الواقع وللأسس التي ينبغي عليها والوسائل التي يمكن ان تتحقق بها تلك الأسس . وذلك لثلاث تنقل من واقع منحرف إلى واقع آخر منحرف .

وان المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة والدعاة . الذي ستعقده الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في شهر ربيع الأول لهذا العام ١٤٠٤ هـ والذي سيكون موضوعه «سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين» . هو استجابة موفقة لمدرسة السبل التي تؤدي إلى وحدة الأمة .

وهذا بحث موجز بعنوان «أثر العقيدة الإسلامية في تضامن المسلمين ووحدة الأمة الإسلامية» . أحببت أن أشارك به في هذا المؤتمر راجياً من الله أن ينفع به .

ويتضمن هذا البحث أربعة أقسام تحت كل قسم منها عدة قضايا شارحة له ثم ألحقت بها خاتمة موجزة بينت فيها أهم ما اشتمل عليه هذا البحث .

أقسام البحث :

القسم الأول : واقع الأمة الإسلامية :

أولاً : فى العقيدة .

ثانياً : فى العبادة .

ثالثاً : فى الشريعة .

القسم الثانى : أسباب هذا الواقع :

أولاً : الجهل بدين الله .

ثانياً : تمزيق الاستعمار لبلدان المسلمين .

ثالثاً : الغزو الفكرى .

القسم الثالث : أسس وحدة الأمة الإسلامية :

أولاً : وحدة العقيدة .

ثانياً : وحدة الغاية .

ثالثاً : وحدة القيادة .

رابعاً : وحدة المنهج .

القسم الرابع : وسائل تحقيق أسس الوحدة :

أولاً : التعليم الموجه .

ثانياً : الإعلام الملتزم .

ثالثاً : الاقتصاد المستقل .

رابعاً : إيجاد مراكز علمية .

الخاتمة

وأخيراً أسأل الله عز وجل أن يهئ أسباب الوحدة الصحيحة وأن يجمع كلمة الأمة على الحق إنه سميع مجيب .

القسم الأول : واقع الأمة الإسلامية :

واقع الأمة الإسلامية واقع مكشوف لا يكاد يجهله أحد . فقد تعرض لأمرض متعددة

وانحرافات متنوعة بحيث لا يكاد يسلم منه شيء . . . لا في العقيدة . . . ولا في العبادة : . . .
ولا في الشريعة . . . وسنحاول هنا الإشارة إلى ذلك الواقع بشيء من الإيجاز :

أولاً : في العقيدة :

إن أخطر الانحرافات التي تعرضت لها الأمة المسلمة هي الانحرافات في العقيدة ولا نستطيع هنا استيعابها وتفصيلها ولكننا سنكتفي بالتنبيه على بعضها .

(١) انحرافات الحادية : هدف أصحابها استبدال المبادئ الكافرة بعقيدة الإسلام . . . وهم طوائف متعددة : منهم من يعلن عقيدته الاحادية ويظهر كفره بالله ورسوله واليوم الآخر ومنهم من يخفي ذلك وراء شعارات ظاهرها الدعوة إلى الإصلاح وباطنها الكفر والاحاد .

(٢) انحرافات طائفية : تتمثل في طوائف مستقلة - كالقاديانية والبهاية ونحوها من الطوائف التي خرجت على عقيدة الإسلام بدعوى النبوة لزعمائها ونزول الوحي عليهم وهي تستتر في كثير من البلدان باسم الإسلام وهي خارجة عليه لمخالفتها لعقيدة ختم النبوة التي هي جزء من عقيدة المسلمين .

(٣) انحرافات طائفية قديمة : لازالت قوية ونشطة في دعواتها رغم انحرافها وفساد معتقداتها ومن تلك الطوائف .

طائفتا الشيعة والصوفية :

فالأولى تقوم على عقيدة تخالف عقيدة الإسلام التي جاء بها رسول الله ﷺ ومن ذلك إسباغ صفات الألوهية على أئمتهم وادعائهم أنهم يعلمون الغيب ثم تدعى كذلك أنهم يتلقون الوحي من السماء وفي كلا الأمرين إساءة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ .

واخيراً فإنها تقع في أصحاب رسول الله ﷺ وتتهمهم بالخيانة والردة .

وهذا جميعه ينتهي إلى الغاء الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ .

فالأئمة يعلمون الغيب وإذا أراد الله عز وجل ان يحدث أمراً استشارهم - كما في أصول الكافي لهم - وهذا إساءة إلى الله .

والأئمة يوحى إليهم مع العلم أن رسول الله ﷺ قد أخبر بانقطاع الوحي . . . وهذا يصادم خبره . . .

والصحابة قد خابوا في دين الله . . . فالإسلام الذى نقلوه غير موثوق فيه . . . وبهذا
فالإسلام غير موثوق به . . .

إذن فليعد الناس إلى المجوسية الفارسية . . . وهذا هو المطلوب للحركة الشيعية .

وأما الصوفية فقد ابتدعت تقديس الأفراد ودعوى رفع التكاليف عن بعض الناس كما
أعدت إلى الأذهان تلك الطقوس الكنسية التى أفسدت الدين النصرانى حيث اتخذت من
البشر وسائط عند الله بها تقضى الحاجات وتغفر الزلات إلى عشرات أخرى من
الانحرافات .

كما أنها تدعى الاستقلال فى معرفة الشريعة إذ أن الأولياء يأخذون حاجتهم من اللوح
المحفوظ مباشرة وهذا كلام يخرج صاحبه من الإسلام .

وقد كان التصوف من الأسباب المباشرة بظهور الشرك فى الأمة بتقديس الأموات
وطلب حاجاتهم منهم واتخاذ قبورهم مزارات وأماكن للعبادة وزاحم تعظيم الأموات توحيد
الله عز وجل فى القلوب . فكثرت الأضرحة وتعددت الفرق والأحزاب لكل حزب ضريح به
يستغيثون وعنده ينيخون وإليه عند نزول الحوادث يلجأون .

انحرافات فى الجانب النظرى : «العلمى» من العقيدة وهو ما يتعلق بأسماء الله
وصفاته وأفعاله فقد وجدت الاتجاهات المنحرفة التى تنكر لهذا الجانب أو لبعضه فأولت
الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة وردت الأحاديث الأخرى التى تعرف الناس برهم عز
وجل وأنه عليم حكيم سميع بصير يقول ما يريد ويفعل ما يشاء يأمر وينهى وأنه استوى على
عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته .

فكان من ثمرات ذلك الرد والتأويل أنها حالت بين الناس ومعرفة ربهم فأنتهى بهم
هذا إلى الالحاد والتعصبيل .

وقد أتى القوم من ضلال عقولهم القاصرة وظنهم أن اثبات تلك الصفات الواردة فى
كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ يقتضى التشبيه بالمخلوق .

وهذا إساءة إلى الله ورسوله حيث أن فى هذا الكلام اتهام لله ورسوله بالعجز عن
البيان . . . لأنهم لم يفهموا من تلك الآيات والأحاديث إلا التشبيه . . . والله عز وجل يقول :
﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ . وقد فروا من تشبيهه إلى تشبيهه .

فإنكار كلام الله عز وجل لثلاث يشبه الإنسان المتكلم - كما زعموا - تشبيهه لله عز وجل

بالجماد فلم يسلموا من التشبيه على مذهبهم .

ولكن الاعتقاد الصحيح اثبات ما أثبتته الله عز وجل واثبتته رسوله ﷺ على ما يليق
بجلاله .

ثانياً : في العبادة :

لم تسلم العبادات - كذلك - من الشوائب حيث تعرضت لأنواع متعددة من
الانحرافات والبدع نورد طرفاً منها .

(١) الغلو المفرط في أدائها والذي كان يمثله فيما سبق طائفتا الخوارج والصوفية حيث
كان لكل منهما غلو مفرط في جانب أو جوانب من الإسلام .

فالخوارج كانوا يصومون النهار ويقومون الليل حتى أصبحت أجسادهم شاحبة نحيلة
من طول القيام وشدة الجوع والعطش .

والصوفية بالغوا في الذكر والزهد حتى كان أحدهم يعيش على الصدقات والهبات
ويخلو بنفسه في الزوايا المظلمة ليصل بزعمه إلى درجة اليقين فتسقط عنه التكاليف .

(٢) الإهمال المطلق للعبادات والاكتفاء بلفظ الشهادتين وهذا الانحراف كان من
ثمرات الإرجاء الذي لا يعطى للعمل اهتماماً إذ أن الإيمان يثبت عند المرجئة بالقول فقط أو
به وبالاعتقاد فقط .

وقد أصبح في الآونة الأخيرة ترك العبادات ظاهرة بارزة في أغلب المجتمعات
الإسلامية ولاشك أن هذا لا يتفق مع أصول الدين .

(٣) عدم التزام كثير من المسلمين بالأداء الصحيح للعبادات فهو يؤديها بصورة ناقصة
أو محرفة وهو لا يشعر بذلك وقد يظن أنه يؤديها بالصورة الصحيحة فكان من نتائج ذلك
حرمانهم من لذة العبادة وثمراتها .

ثالثاً : في الشريعة :

لم تقتصر الانحرافات على الجانبين السابقين بل شملت - كذلك - الشريعة حيث
تعرضت في الآونة الأخيرة التي تمزقت فيها الأمة وتخطمت فيها الخلافة الإسلامية - تعرضت
إلى انحراف وفساد بل إلى حرب وعداء في كثير من البلدان الإسلامية نذكر طرفاً من
ذلك :

(١) محاربة الشريعة واستبدال القوانين الوضعيه بها وذلك من آثار الاستعمار العسكري والفكري الذي مزق الأمة وأفسد عقليتها بحضارته وصناعته وكفره وجحوده . . . فوجد في المسلمين من يتحمس لتلك القوانين ويتبنى ذلك الكفر والضلال . هذا إلى جانب ما خلفه الاستعمار في بلدان المسلمين من أنظمة كافرة لازالت تسيطر على كثير منها إلى اليوم بعد أن كانت تحكمها الشريعة الإسلامية .

(٢) محاولة التوفيق بين الشريعة الإسلامية والأنظمة الوضعية فيؤخذ من الشريعة الإسلامية ما يتعلق بالأمور الشخصية وبعض الجوانب الأخرى ثم تكمل من القوانين الوضعية .

وهذا وإن كان أصحابه أخف من المتقدمين ولكنه كذلك طعن في الشريعة الإسلامية واعتقاد نقصها وحاجتها إلى أنظمة أخرى مشاركة .

هذا عرض مجمل لواقع المسلمين الذي قد أصيب في كل من جوانبه مما كان له أسوأ الأثر على وحدة الأمة واجتماع كلمتها . . . فقد أصيبت في عقائدها . . . وعباداتها . . . وشريعتها . . . وما لم يصحح هذا الواقع على ضوء الكتاب والسنة فلن تقوم للأمة قائمة ولن تجتمع لها كلمة . . .

القسم الثاني : أسباب هذا الواقع :

لقد كانت «نكأ أسباب متعددة وراء ذلك الواقع نذكر طرفاً منها - أو أهمها - وهي :

أولاً : جهل الأمة بدينها :

إذ لولا الجهل بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ لما وجدت تلك الضلالات طريقاً إلى المسلمين لا في عقيدتهم ولا في عبادتهم ولا في شريعتهم فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : «تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنم بهما كتاب الله وسنة رسوله» (١) . فلولم تصاب الأمة بداء الجهل بهما لما وصلت إلى حيث ما وصلت إليه .

ونحن نلمس أصابع الغزو الاستعماري في مناهج التعليم في كثير من بلدان المسلمين والتي قد خلت أو قلصت منها المواد الدينية حتى أن المتخرج من تلك المدارس لا يكاد يحسن

(١) رواه مالك في الموطأ في القدر رقم (٣) باب النهى عن القول بالقدر . والحاكم : (١ : ٩٣) عن ابن عباس وعن أبي هريرة .

فهم دينه . . . بل لا يفهم من دينه إلا أنه مجموعة من العبادات المحدده فقط .
وهذا الجهل هو الذى يمهد الطريق لكل وارد غريب يتسلل إلى البلدان الإسلامية .

ثانياً : تمزيق الاستعمار لبلدان المسلمين :

كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة تستظل براية واحدة وتخضع لقيادة واحدة فكانت ذات شوكة ومنعة ثم لم تلبث أن سرت فيها أمراض فتاكه خلخلت بناءها وأفسدت أبنائها فضعفت قوتها وذلت عزتها فسهل على أعدائها القضاء عليها وتمزيقها إلى دويلات وامارات واستولت على كثير منها فترات طويلة ثم خرجت منها مخلفة وراءها آثارها الاستعمارية التى لا تزال إلى اليوم .

وقد ركز الاستعمار أثناء وجوده على إحياء القوميات الجاهلية التى كانت عليها قبل الإسلام فاستجاب لها بعض المسلمين فحملوا لواءها ودعوا إليها فكان من ثمار ذلك تعميق الاختلاف وازعاف الروابط بين أفراد الأمة .

ثالثاً : الغزو الفكرى المنظم :

هناك عدة جبهات اشتركت فى غزو البلدان الإسلامية أهمها ثلاث جبهات :

أولها : الصليبييه الحاقدة والتى قد دخلت البلاد الإسلامية مستعمرة مخربة وبقيت فيها فترة طويلة تحارب الإسلام بشتى الوسائل وتبشر بالنصرانية ثم رحلت مخلفة وراءها بقايا الفساد بعد أن ربت جيلاً يعرى ذلك الفساد وينشره ولا زالت جيوش الغزو الصليبي تعيث فى الأرض فساداً .

والجبهة الثانية : هى «اليهودية» الأثمة التى يتمثل دورها فى تصنيع المذاهب المنحرفة والافكار المضلة وتصديرها إلى بلدان المسلمين .

والجبهة الثالثة : هى « الشيوعية الملحده» والتى هى من ثمرات اليهودية وقد أصبح لها كيان ودولة وهى تنشر أفكارها والحادها بشتى الوسائل إبتداءً بالدعوة السلمية وانتهاءً بقوة الحديد والنار .

وقد أصبح لها فى بلاد المسلمين أتباع وأنصار يفرقون الأمة ويمزقون وحدتها .
فهذه الجبهات الثلاث قد اشتركت فى غزو المسلمين ومحاربة دينهم وتمزيق صفوفهم

فانسمت الأمة الإسلامية وتعدد ولاؤها بحسب الجبهة التي تقودها وتسير على خطاها ولا يكاد يسلم من الأمة أحداً إلا من رحم ربك وقليل ما هم .

القسم الثالث : أسس الوحدة الإسلامية :

إن الأمة الإسلامية تملك أسساً مشتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها وتوحد كلمتها . . . فهي أمة واحدة . . . ذات دين واحد . . . وكتاب واحد . . . ورسول واحد . . . هذه هي الأصول الثابتة التي تشترك فيها الأمة . فإذا ما أدركتها جيداً والتزمت بمقتضياتها فإن ذلك يجعل منهم أمة واحدة تلتقى على :

وحدة الغاية .

وحدة العقيدة .

وحدة القيادة .

وحدة النهج .

فهذه الأسس التي تجتمع عليها الأمة وتكون عليها الوحدة الإسلامية الشاملة . . . وأي خلل أو نقص فيها فإن ذلك يؤدي إلى استمرار الواقع المؤلم . . . واقع التفرق والتمزق . وفيما يلي نبين بإيجاز تلك الأسس .

أولاً : وحدة الغاية :

إن لهذا الإنسان الذي يعيش على ظهر هذه الأرض «غاية» يؤديها في وجوده فإذا عرفها وتمثلها في حياته فإنه يسعد في الدنيا والآخرة وإذا جهلها وأعرض عنها فإنه يشقى في الدنيا والآخرة .

هذه الغاية هي «العبادة» لله عز وجل والقيام بدور الخلافة الصحيح في الأرض كما قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ . (الذاريات : ٥٦) . فهذه هي الغاية .

والمسلمون ولله الحمد قد أدركوا هذه الغاية التي حرمها كثير من الشعوب فضلوا وشقوا وذلك ظاهر لكل متأمل في أحوالهم وشئونهم وإن ملكوا وسائل الانتاج واكتشفوا كثيراً من قوانين المادة فإن ذلك لم يخفف من وطأة الشقاء النفسي لتلك المجتمعات .

ولكن المسلمين رغم إدراكهم لهذه الحقيقة فإنهم قد فرطوا فيها وأعرضوا عن تحقيقها فكان ذلك سبباً في شقائهم وضعفهم وتسلب عدوهم عليهم .

فلا بد من العودة الصادقة إلى تحقيق هذه الغاية والالتزام بمقتضياتها لنحقق لأنفسنا السعادة في الدنيا والآخرة .

وتحقيق هذه الغاية « العبودية لله عز وجل » سيكون سبباً من أسباب الوحدة للأمة فإنه إذا توحدت غايات الشعوب المسلمة وغايات القيادات المسلمة فإنه ولاشك ستتحد الآمال والأهداف التي تجمع الأمة .

ولكنه إذا تعددت الغايات وكان لكل بلد من البلدان الإسلامية غاية أو غايات أخرى كلها من صنع البشر . . . فارتبطت بشهواتها وأطماعها العاجلة فإن ذلك لا يقطعها عن العالم الإسلامي فحسب بل يقطع صلتها بالله عز وجل وانتسابها إلى الإسلام . . . لأن الإسلام يحدد للإنسان غايته في هذه الحياة فإن التزمها الإنسان في حياته صحت نسبه إلى الإسلام وإن أعرض عنها فقد قطع صلته بهذا الدين .

ولو لم تضعف هذه الحقيقة في نفوس المسلمين لما حدثت الانقسامات بينهم ولما استطاع أعداء الإسلام أن يجدوا رواجاً لأفكارهم الضالة في بلدان المسلمين لأن الإسلام نور وغيره ظلام ومن كان في النور فإنه لا يرضى بالظلام بديلاً قال تعالى : ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ .

ثانياً : وحدة العقيدة :

لقد تعرضت العقيدة الإسلامية في كثير من البلدان الإسلامية وعلى مدار التاريخ إلى انحرافات خطيرة وتصورات خاطئة شوهت جمال العقيدة وأوجدت في الأمة الواحدة مذاهب متعددة وطوائف متفرقة لكل منها أتباع وأنصار . . . وما ذلك إلا لانتشار الجهل في صفوفهم .

لهذا فإنه لا بد من إعادة النظر في ذلك الانحراف وتصحيحه بما يوافق الكتاب والسنة وتجريد العقيدة من الآراء البشرية التي لحقت بها ليتيسر للأمة الاجتماع واللقاء .

فإن العقيدة هي الأساس الذي يرتفع عليه بناء الدين فإذا قوى الأساس وخلص من الانحراف سهل على الأمة تصحيح بقية الانحرافات الأخرى وأمكن لها الاجتماع واللقاء . . . وإلا فلا اجتماع ولا لقاء .

فالله عز وجل هو رب العالمين ومدبر الكون ومالكه وما عداه مخلوق مربوب محتاج فقير .

والله هو وحده المستحق للعبادة لا رب غيره ولا إله، وغيره عبد ذليل .

والله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العليا لا نحرف ولا نعطل ولا نشبه ولا نمثل
﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ . ولا ننسى بقية أركان الإيمان من الإيمان بملائكة
الله وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

هذا مجمل عقائد الإسلام فإذا ما رسخت هذه الحقيقة في نفوس الأمة وأصبحت
واضحة في القلوب بلا غش ولا خفاء أمكن للأمة أن تلتقى وتتحد . . . إذ صفاء الاعتقاد
وسلامته من الآراء الدخيلة عليه يعنى إزالة الحواجز التي قامت بين الأمة وفرقتها إلى شيع
وأحزاب .

ثالثاً : وحدة القيادة :

لقد شاء الله عز وجل أن يكون الإسلام آخر الرسالات السماوية إلى الأرض . . . وأن
يكون محمد ﷺ آخر الرسل فيه أكمل الله الدين وبه ختم المرسلين فلا دين بعد دينه ولا نبي
بعد .

فالإسلام هو الدين الذي رضيه الله لنا ديناً نتعبده به ونلتزم بشريعته .

والرسول محمد ﷺ هو القائد الذي يجب أن نسير خلفه ونقتفى أثره .

وكل قيادة أخرى تحاول أن تلغى هذه القيادة أو تقلل منها فإنها قيادة خارجة عن
الإسلام محاربة له . . . بل كل قيادة تتمرد هي في ذات نفسها عن هذه القيادة أو تنحرف عن
متابعتها فهي قيادة منحرفة .

هذه حقيقة ينبغي أن تتضح في أذهان المسلمين إذ بقدر وضوحها والتزامهم بها بقدر ما
يتيسر للأمة الاجتماع والاتحاد . . . وبقدر جهلها أو تجاهلها بقدر ما تبتعد الشقة ويتعذر
اللقاء .

فإن إدراك الأمة لهذه الحقيقة يعنى «توحيد القيادة» فالجميع يلتقون على قيادة واحدة
بها يتأسون وعلى خطاها يسرون فمنها يتلقون التوجيهات ومنها يعرفون الأحكام
والعبادات . . . فالخلال ما أخبر بحله والحرام ما نهى عنه . . . والخير ما دل عليه . . . والشر
ما حذر منه ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ .

فليس هناك قيادة أخرى لها هذا الحق ولا بعضه وإنما تأتي لها الحقوق بمقدار متابعتها
لهذه القيادة .

رابعاً : وحدة المنهج :

من الأسباب الرئيسية لتمزيق الأمة الإسلامية تعدد المناهج التي تتبعها في مجتمعاتها . . . تلك المناهج التي لا صلة لها بها ولا علاقه لها بدينها . . . بل هي مضادة لدينها محاربة لعقيدها . . . فكان من نتائج ذلك أن اختلفت الأمة وتعددت مناهجها . . . فوقعت الفجوة بين المناهج والواقع . . . وبين القيادات والشعوب . . . بل بين القيادات نفسها . . . فانعكست تلك الخلافات على الأمة الإسلامية .

وما لم يتحد المنهج للأمة الإسلامية فيكون منهجها واحداً كما يقتضيه دينها فإن كل محاولة لوحدة الأمة أو لجمع شتاتها فإنها محاولة خاسرة .

وهذا المنهج الذى يجب اتباعه ليس له إلا مصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى فهو الذى يضعه لخلقه ويحدده والبشر عبيده وخلقهم لا يجوز لهم أن يختاروا أو يرفضوا وإلا فإن ذلك يعرضهم لمقتة وسخطه : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ .

هذا هو حال المسلم مع شريعة ربه ومنهجه ، فإذا اتضحت هذه الحقيقة في أذهان المسلمين تمثلوها في واقعهم فإنه يتيسر لهم اللقاء والاتحاد .

القسم الرابع : وسائل تحقيق الوحدة :

عرضنا في المبحث السابق الأسس التي لا بد منها لتوحيد الأمة الإسلامية وهي وان كانت شرطاً في تحقيق إيمان المسلم فلا يكون مسلماً بدونها . . . فإنها شرط في تحقيق وحدة الأمة واجتماع كلمتها .

ولكن هذه الأسس - كما رأينا من قبل - قد تعرضت للفساد والانحراف واختفت أو تشوهت في كثير من المجتمعات الإسلامية فكان لا بد من إظهار ما اختفى منها وتصحيح ما تشوه .

وهذا أمر يحتاج إلى وسائل متعددة للقيام بذلك الدور ورعايته في المجتمعات الإسلامية . ومن تلك الوسائل ما يأتى :

التعليم الموجه :

فإن المؤسسات التعليمية من أهم الوسائل الموجهة في المجتمع . . . وكثيراً ما ينعكس أثرها على المجتمع . . . سواء كان ذلك الأثر خيراً أم شراً .

والمدرسة هي منهج ومعلم . . . فإذا صلحا صلحت الأجيال وإذا فسدا فسدت الأجيال - إذا شاء الله ذلك .

لذا فإنه لا بد من إعادة صياغة المناهج في مدارس المسلمين وجامعاتهم بحيث يراعى في وضعها تلك الأسس التي تمثل قاعدة الوحدة الإسلامية فتشتمل المناهج على بيان العقيدة والغاية والقيادة والمنهج وتعمق هذه المعاني في نفوس أبناء الأمة ويبين لهم أن هذه أسس الإيمان التي يكون بها الإنسان مسلماً . . . ويكون بها المجتمع جزءاً من الأمة الإسلامية .

وبهذا تنهياً للمسلمين أسباب الاجتماع والاتحاد .

وإلى جانب هذا البناء الإيماني للفرد المسلم يبين كذلك فساد المذاهب البشرية التي تسود كثيراً من المجتمعات البشرية اليوم وأنها مذاهب ضالة باطلة لا حق لها في الوجود ولا في البقاء .

كما يبين كذلك انتهاء دور الديانات النسائية الأخرى التي كانت قبل الإسلام وأنها قد نسخت بالإسلام كما أنها قد تعرضت للفساد والتحريف . . . فهي لا تمثل الدين الذي أنزله الله عز وجل .

وهذا البيان هو بمثابة الصيانة والحماية لتلك الأسس الإسلامية .

ثانياً : الإعلام المتلزم :

لقد أصبح للإعلام في العصر الحاضر - بكل وسائله المسموعة والمرئية والمقروءة - دور خطير في الحياة الإنسانية . . . فهو يقتحم كل بيت ويصل إلى كل إنسان .

ووسائل الإعلام اليوم في كثير من البلدان الإسلامية غير ملتزمة بالمنهج الإسلامي الذي يثب الخير وينشر الفضيلة ويحذر من الشر والأخلاق الرذيلة . . . بل إن بعض تلك الوسائل تحارب الإسلام وتسيء إلى أهله بما تنشره من البرامج السيئة والحلقات المنحرفة . . . وهذا كله مضاد لدين الأمة ومفرقة لجمعها وهادم لأسس الوحدة التي تقوم عليها .

ولن يكون هناك لقاء أو اتحاد واعلام المسلمين أو بعضه بهذه الصورة .

فلا بد إذن من إعادة البناء الإعلامي بناءً صحيحاً بحيث يكون قادراً على توجيه الأمة وتعميق العقيدة في نفوسها وتذكيرها بخاصيتها في هذه الحياة والنهج الذي اختاره الله عز

وجل لها كما تبين إلى جانب ذلك وحدة القيادة للأمة الإسلامية وأنه لم يعد هناك مجال لظهور قيادات أخرى تنازع القيادة المحمدية أو تزاحمها .

فإذا استطاع الإعلام في البلدان الإسلامية أن يثبت هذه القضايا الأساسية في نفوس الأمة فإنه عندئذ يكون قد أدى دوره الصحيح في المجتمع وساهم في وحدة الأمة . . . وإلا فلا وحدة ولا اجتماع .

ويتحقق ذلك بالاختيار الأمين للعاملين بالإعلام فتختار الكفاءات المؤمنة التي تدرك أهداف الأمة وغايتها .

ثالثاً : الاقتصاد المستقل :

إن التشابك المعقد في العلاقات الدولية - اليوم - واختلاف الأنظمة الاقتصادية في العالم والذي انعكس أثره على أكثر المجتمعات الإسلامية فتعددت فيها الأنظمة الاقتصادية تبعاً للاتجاه الذي يغلب على كل بلد - كان له آثاره السلبية على وحدة الأمة الإسلامية .

ومحاولة عودة الأمة إلى دينها يلزم منه التحرر من تلك الأنظمة الدخيلة على المجتمعات الإسلامية بالعودة إلى النظام الإقتصادي الإسلامي الذي هو جزء من ذلك المنهج الشامل الكامل الذي هو جزء من دين الأمة لا يتم بل لا يوجد بدونه والذي هو أحد الأسس التي تلتقى عليها الأمة .

ولابد من إيجاد اقتصاد إسلامي مستقل ليس مرتبطاً بأي نظام آخر لئلا يبقى بين الأمة فجوات تحول دون وحدتهم .

ويتم ذلك بإيجاد أسواق مشتركة وعملة موحدة وهيئة اقتصادية مشتركة تشرف على ذلك الاقتصاد الإسلامي المستقل .

وبهذا تستقل عن التبعية الاقتصادية الضارة وتقيم لها وحدة اقتصادية قوية على أسس إسلامية . . .

والاقتصاد في الحقيقة هو ضمن المنهج الإسلامي الذي يعتبر أحد الأسس للوحدة الإسلامية . . . والذي أريده هنا هو التعاون العام وتوحيد الأسواق والعملات الذي يعطى للأمة شخصيتها المستقلة ويمهد السبيل للوحدة واللقاء .

رابعاً : إيجاد مراكز علمية :

لما كانت هذه الوسائل المتقدم ذكرها لا بد لها من إعداد وتخطيط بحيث تظهر بالصورة الصحيحة كان لا بد من مراكز علمية مختلفة تكون مهمتها التخطيط الدقيق لتلك الجوانب إلى جوانب أخرى تتعلق بحياة الأمة .

فتلك المراكز متعددة الأغراض تمثل الهيئة الاستشارية والمخططة لتوحيد الأمة وتكاملها ونموها في جميع الجوانب بحيث تتحد الأمة في كل المظاهر إلى جانب اتحادها في القواعد .

الخاتمة :

في نهاية هذا البحث الموجز نذكر أهم القضايا التي اشتمل عليها هذا البحث وهي :
إن واقع الأمة واقع مؤلم قد تخلله الفساد وسرى فيه الانحراف .
وأن هذا الواقع المنحرف لا يمكن معه اللقاء والاتحاد .
وأن وحدة الأمة لا تتم إلا بتصحيح هذا الواقع على ضوء الكتاب والسنة .

والله وحده عز وجل هو المسؤول أن يصلح الأمة الإسلامية وأن يجمع كلمتها على الحق إنه سميع مجيب . . .

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
«ما من نبي بعثه الله في أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون
وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف
يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن
ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن وليس وراء
ذلك من الإيثار حبة خردل» .

(رواه مسلم)

العِبَادَاتُ فِي الْإِسْلَامِ وَأَثْرُهَا فِي: تَضَامُنُ الْمُسْلِمِينَ

للدكتور يحيى محمد اللطيف ترهه
أستاذ مشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

العبادة في اللغة :

أصل العبادة في اللغة : التذليل من قولهم طريق معبد أى بكثرة الوطاء عليه ، ومنه أخذ العبد لذله لمولاه .

« والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة قرائب في المعانى يقال تعبد فلان لفلان ، أى تذلل له .

وكل خضوع ليس فوqe خضوع : فهو عبادة ، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة وكل طاعة لله على وجه الخضوع والتذلل فهى عبادة .

والعبادة : نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم كالحياة والفهم والسمع والبصر»^(١) .

والعبدية ، والعبودية ، والعبودة ، والعبادة : الطاعة .

والاعتباد ، والاستعباد : التعبيد .

وتعبد أستنسك ، وتعبد فلانا : اتخذه عبدا^(٢) .

العبد : الانسان حرا كان أو رقيقا ، يذهب بذلك الى أنه مربوب لباريه عز وجل .

والعبد المملوك خلاف الحر . قال سيبويه : هو فى الأصل صفة . قالوا : رجل عبد ،

ولكنه استعمل استعمال الأسماء والجمع أعبد وعبيد . مثل أكلب وكليب . وهو جمع عزيز

وعباد وعبد ، مثل : سقف وسقاف وسقف .

وأنشد الأخفش :

(١) المخصص لابن سيدة : ٩٦/١٣ .

(٢) القاموس المحيط : ٣١١/١ .

انسب العبد إلى آبائه أسود الجلد من قوم عبد
وقال الليث : في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ أى نطيع الطاعة التى يخضع معها ،
وقيل إياك نوحده .

قال : ومعنى العبادة فى اللغة : الطاعة مع الخضوع . ومنه طريق معبد . إذا كان
مذلا بكثرة الوطء . وقوله تعالى : ﴿ وقومهما لنا عابدون ﴾ أى دائنون وكل من دان لملك
فهو عابد له .

قال ابن الأنبارى : فلان عابد ، وهو الخاضع لربه المنقاد لأمره .
وقوله تعالى : ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ أى أطيعوا ربكم .
والمتعبد : المفرد بالعبادة .

والمعبد : المكرم المعظم . كأنه يعبد . قال :

تقول : ألا تمسك عليك فأنسى أرى المال عند الباخلين معبدا
والتعبيد : التذليل . وبغير معبد : مذلل . وطريق معبد : مسلوك مذلل (١) .
والتأمل فى هذه النقول التى أوردتها عن فقهاء اللغة يجد أن المعانى التى ذكروها بيانا
لهذه الكلمة ، أعنى العبادة لا تتجاوز هذه المعانى :

الخضوع ، الطاعة ، التذلل ، التنسك .

العبادة فى الشرع :

عبارة عما يجمع كمال الخضوع والمحبة ، والخشية لله تعالى .

يقول ابن تيمية رحمه الله (والعبادة : أصل معناها الذل . يقال طريق معبد ، إذا
كان مذلا قد وطئته الأقدام . لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب
فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له ، فإن آخر مراتب الحب : هو التتيم ،
وأوله : العلاقة لتعلق القلب بالمحبيب ، ثم الصباية لانصباب القلب إليه ، ثم الغرام :
وهو الحب الملازم للقلب ، ثم العشق ، وآخرها التتيم .

يقال : تيم الله . أى عبد الله ، فالمتيم : المعبد المحبوب ، ومن خضع لانسان مع
بغضه له لا يكون عابدا له . ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له . كما قد يحب
الرجل ولده وصديقه .

(١) لسان العرب لابن منظور: ٢٦٤/٤ .

ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله ، بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء بل لا يستحق المحبة ، والخضوع التام إلا الله تعالى .

وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة ، وما عظم بغير تعظيم أمر الله فتعظيمه باطل ، قال الله تعالى : ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ [التوبة : ٢٤] .

فجنس المحبة تكون لله ولسوله ، كالطاعة ، فان الطاعة لله ولسوله ولا رضاء الله ورسوله ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ﴾ [التوبة : ٦٢] .

والإيتاء لله ولسوله ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ﴾ [التوبة : ٥٩] (١) .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (العبادة : تجمع أصليين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول : طريق معبد ، أى مذلل والتعبد : التذلل والخضوع ، فمن أحببته ، ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له ، حتى تكون محبا خاضعا) (٢) .

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (والعبادة في اللغة : من الذلة . يقال طريق معبد أى : مذلل ، وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع ، والخوف ، وقدم المفعول ، وهو إياك وكرره للاهتمام والحصر ، أى لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة ، والدين يرجع إلى هذين المعنيين .

وهذا كما قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فالأول : تبرؤ من الشرك ، والثانى : تبرؤ من الحول والقوة . والتفويض الى الله عز وجل ، وهذا المعنى في غير ما موضع من القرآن الكريم كما قال تعالى ﴿ فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ [هود : ٢٣] ﴿ قل هو الرحمن أمنا به وعليه

(١) العبودية لابن تيمية : ٥٥-٤٤ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم : ٢٤/١ .

نوكلنا ﴿ [الملك : ٣٩] ﴾ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴿ [المزمل : ٩]
وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ [الفاطحة : ٤] (١) .
ومن هنا نستطيع أن ندرك أن العبادة التي قصد إليها الشارع ، والتي تعالى الانسان
وتشرفه ، وترفع من قدره ومكانته ، وتجعله يحس بأنسانيته وكرامته ، هي تلك التي تجمع
بين الخضوع لله تعالى ، والمحبة له ، والخشية منه .

وكلما اكتملت هذه المعانى فى عبد كان أقرب الى ربه ، وأكرم عليه من غيره ، وأحق
بالأمانة فى الدين ، وقيادة المتقين ، والحديث عن رب العالمين .
وأساس الخضوع لله تعالى هو : الإحساس الصادق بهيئته وعظمته ، وسلطانه
وقدرته ، وأنه المعطى المانع ، الضار النافع ، المحيى المميت ، الخافض الرافع ، المعز
لمذل ، السميع البصير ، الغنى عن كل ما سواه ، والمحتاج اليه جميع ما عداه .
والانسان يكون فى قمة التواضع ، إذا سجد لخالقه ومولاه ، وقام بحق من خلقه
وصوره ، وشق سمعه وبصره ، وهو فى ذلك يكون فى أسوأ حالات القرب ، وأرجى
أسباب القبول . يقول رسول الله ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ،
فأكثروا الدعاء » (٢) .

وفى معناه قول الله تعالى لنبىه ﷺ ﴿ فاسجد واقترب ﴾ [العلق : ١٩] وفى السجود :
كمال الخضوع والانقياد لمن بيده ملكوت كل شىء ، وهو الله رب العالمين وكمال الخضوع
انما يتم اذا استجاب العبد لربه ، وآثره على ما سواه ، وقدم شريعته على كل الشرائع ،
وأمره على كل الأمور ، وعرف معرفة الشاكرين عظيم حقه عليه ، ورحمته به ، وجميل
إحسانه اليه .

والانسان الذى يحس بعظيم فضل ربه عليه وإحسانه الدائم ، وعفوه وستره . ورحمته
ومغفرته ، فانه يحب ربه أعظم الحب ، ويتفانى فى ارضائه أشد التفانى ومعنى حبه لله ، أن
يجب ما أحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله ، مسارعا إلى مرضاته ، فارا من سخطه الى
رضاه ومن معصيته الى طاعته ، ومنه إليه .

والله سبحانه يحب من عباده صادق الايمان به وكامل الاخلاص له ، وعظيم التوكل

(١) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٢٥ .

(٢) رواه أحمد ومسلم .

عليه ، وجميل الثقة بوعده ثم هو يحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويحب الصابرين فهو يحب من الأعمال والناس ما أحبه الله ، فيبادله الله تعالى حبا يحب ، وودا بود ، قال تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ [مريم : ٩٦] . والذين عرفوا ربهم وأحبوه ، أحبوا رسوله محمدا ﷺ الذي عرفهم به ، ودلهم عليه ، بل لا يتم الإيمان حتى يكون الرسول ﷺ أحب الى الانسان من نفسه التي بين جنبيه يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده ، والناس أجمعين » (١) .

ومحبة الله ورسوله هي : غاية الغايات ، ونهاية النهايات ومطلب الأخيار الأبرار ، اذ هي لذة القلب نعيمه وراحته ورحمته ، وجماله وأنسه وما من خلق قبل المحبة إلا هو طريقها ودليلها ، والموصل إليها كالتوبة والصبر ، إن محبة الله ورسوله إذا حلت في القلب آثرت المحبوب على كل ما عداه ، وقدمته على جميع من سواه ، وكل محبة بعد ذلك فهي تابعة كمحبة المؤمن لأخيه المؤمن ، وإيثاره على نفسه ، وتنفيس كربته وستر عورته .

وأما الخوف الذي أضافه ابن كثير إلى تعريف العبادة فهو يعطى أن عباد الله الذين عرفوا ربهم ، وخضعوا له واستجابوا لأمره ، وأثمرت لهم هذه المعرفة حبا وشوقا ، يخشون ربهم ، ويخافونه ، وهم دائما بين خوف ورجاء ، وقد امتدح الله عباده ، الذين يخشونه ويخافون حسابه ، قال تعالى : ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلت ، أنهم الى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون الى الخيرات وهم لها سابقون ﴾ [المؤمنون : ٥٧-٦١] .

وكلما قويت معرفة العبد بربه ، كلما اشتدت خشيته منه وتعظيمه له يقول عليه الصلاة والسلام : « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » (٢) . وأدلج : سار من أول الليل . والمعنى : التشمير في الطاعة . والعبادة بعناصرها المتقدمة لا تكون صحيحة ومقبولة إلا إذا وقعت على الوجه المشروع ، وقصد بها صاحبها وجه الله وحده ، قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وقال سبحانه : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة: ١١٢].

ويقول عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »^(١).

ويقول ابن الجوزي رحمه الله : (واعلم أن الطريق الموصلة إلى الحق سبحانه ، يست مما يقطع بالأقدام ، وإنما يقطع بالقلوب ، والشهوات العاجلة قطاع الطريق ، «السييل كالليل المدلهم ، غير أن عين الموفق بصرفرس ، لانه يرى في الظلمة كما يرى في الضوء ، والصدق في الطلب منارأين وجد يدل على الجادة ، وإنما يتعثر من لم يخلص ، وإنما يمتنع الاخلاص ممن لا يراد فلا حول ولا قوة إلا بالله »^(٢).

أثر العبادات الاسلامية في تضامن المسلمين إجمالاً :

والعبادات التي تترك آثارها الطيبة ، ونتائجها العظيمة ، في وحدة المسلمين وتضامنهم ، ليست انطواء أو انزواء ، أو عزلة عن الحياة ، والأحياء ، للقيام ببعض الشعائر كالصلاة والذكر كما يتصور بعض الناس ، ويظنون أنهم اذا قاموا بذلك منقطعين عن الحياة والأحياء ، فهم العباد .

هذا مفهوم خاطيء ، وقاصر .

فمفهوم العبادة في الإسلام أرحب وأشمل ، وأدق وأعمق من هذا التصور المحدود . ان العبادة في الاسلام تشمل كيان الانسان كله كما تشمل الحياة بأسرها . ولذا فان العبادات إذا فهمت فهما صحيحا وطبقت تطبيقا دقيقا أعطت مجتمعا قويا متينا كالبنيان المرصوص ، يسعى بذمته ادناه ، ويكون يدا على من سواه .

والعبادات التي جاءت في حديث جبريل المشهور من صلاة وزكاة وصيام وحج ، أرسيت دعائمه عليها .

سئل الامام ابن تيمية ، عن قول الله عزوجل : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .

(١) متفق عليه .

(٢) صيد الخطر لابن الجوزي : ٣٥٥ .

- ١ - ما العبادة ؟
- ٢ - وما فروعها ؟
- ٣ - وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟
- ٤ - وما حقيقة العبودية ؟
- ٥ - وهل هي أعلى المقامات في الدنيا والآخرة أم فوقها شيء من المقامات ؟
وليسط لنا القول في ذلك .
فأجاب رحمه الله إجابة مسهبة تضمنتها رسالته : العبودية .

قال رحمه الله : « العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار واليتيم ، والمسكين وابن السبيل ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشيته والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك هي من العبادة ، وذلك أن العبادة هي : الغاية المحبوبة والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٦٥] .
وبها أرسل الله جميع الرسل كما قال نوح لقومه : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ [النحل : ٣٦] .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب لقومهم ، وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ [الاعراف : ٧٣] .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .
كما قال في الآية الأخرى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ، وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ [المؤمنون : ٥١-٥٢] .
وجعل ذلك لازما لرسوله ﷺ إلى الموت كما قال ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] .

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : ﴿ وله ما فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ [الأنبياء: ١٩].

وقال تعالى : ﴿ ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ [الاعراف: ٢٠٦].

وذم المستكبرين عنها بقوله : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [غافر: ٦٠].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى : ﴿ عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ﴾ [الانسان: ٦].

وقال سبحانه : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ [الفرقان: ٦٣].

ومن هذا البيان الرائع ، والتفصيل الممتع الذى ذكره الامام ابن تيمية^(١) ، يظهر لنا أثر العبادات فى الأفراد والجماعات ، أما أثرها فى الأفراد فتتمثل فى تقويم أخلاقهم ، وتزكية نفوسهم وتوجيههم الوجهة النافعة ، وتصوغهم صياغة جديدة تركز على الصلة بالله ، والتعرف إليه ، وإبراز الخصائص العليا الكامنة فيهم ، وتطهيرهم من الغرائز السفلى وفى سبيل تحقيق هذه الغاية أوصى الله عباده بالفضائل وحذرهم من الرذائل فقال سبحانه : ﴿ ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ [النمل: ٩٠].

فأثر العبادات واضح فى تقويم الأخلاق وتزكية النفوس ، وشحز العزائم إلى جانب أنها تزكى فى العبد ملكة المراقبة لربه ، وترقى به إلى درجة الإحسان الذى قال عنه عليه الصلاة والسلام : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »^(٢).

وإذا نظرنا فى الأحاديث ، كهذا الذى مر آنفاً وكالحديث الذى يقول فيه عليه الصلاة والسلام لابن عباس وكان رديفة « يا غلام إنى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . . . الخ »^(٣).

إذا رأينا فى هذه الأحاديث الكلام الموجه للفرد فان المقصود به الأفراد ومن مجموع الأفراد تتكون الجماعات والأمم .

(١) العبودية لابن تيمية : ٣٨-٤٠ .

(٢) البخارى .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وأثر العبادات في الجماعات ، ودعم روابطها وبناء علاقتها على أسس راسخة من العدل والإخاء والبر والإحسان . أثر واضح يتمثل في صياغتهم صياغة انسانية كاملة بتأليف بناء قوى متماسك قائم على العدل والمساواة ، والإحسان ، والإيثار ، والبر والرحمة ، والتعاون على جلب الخير ، ودفع الضرر . إن الجماعة التي ينشدها الإسلام هي الجماعة المتماسكة المترابطة التي تكونت من اللبنة الصالحة التي بدأت بالإخاء ، ثم تجاوزته إلى الحب ، ثم علت حتى صارت إلى الإيثار ، ومن هنا ندرك أن الجماعة التي يريد الإسلام لها سمات ومميزات :

أولاً : أنها الجماعة المؤمنة وباسم الإيمان ناداها رب العالمين في كثير من الآيات لتستشعر النعمة وتحس بالفضل قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ [آل عمران : ١٠٢-١٠٣] .

ثانياً : أنها الجماعة التي يحكمها العدل والانصاف يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧] .

ثالثاً : أنها الجماعة التي يقودها خيارها ، ويتولى أمرها حكماءؤها وعلماؤها .
 رابعاً : أنها الجماعة التي تتواصى بالخير والحق ، وتتعاون على البر والتقوى وتتناصح على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات يقول الله سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر] .
 خامساً : أنها الجماعة التي تستعذب الجهاد في سبيل الله وتقدم النفس والنفس والأهل والولد ابتغاء مرضاة الله ورفعاً لدينه واعلاءً لكلمته ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ١١١] .

وهذه الجماعة التي اصطفها الله لرسالته ، وخصها بكرامته فارقت إلى منصب العدالة ، وتسلمت درجة الشهادة ، يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ ، وفي هذا

ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿ [الحج : ٧٧-٧٨] .

وفي هاتين الآيتين الكريمتين نرى الأثر الواضح القوي للعبادات في الاسلام ، وأثرها في المؤمنين به فهيرينادهم بأحب نداء إليهم وهو الإيمان ويأمرهم بمجموعة من العبادات ويخص منها الركوع والسجود ثم الأمر العام بالعبادة ، والجهد في سبيل الله ، ويختصها بالأمر بالصلاة والزكاة والاعتصام بالله .

يقول الأستاذ سيد قطب في نهاية تفسيره للآيتين : (فالصلاة صلة الفرد الضعيف الفاني بمصدر القوة والزاد ، والزكاة صلة الجماعة بعضها ببعض والتأمين من الحاجة والفساد والاعتصام بالله ، العروة الوثقى التي لا تنفصم بين المعبود والعباد)^(١) .

وهذه الجسمعة التي انطبعت بطابع العقيدة وتأثرت بالتربية الربانية المتمثل في العبادات في الاسلام هذه الجماعة ليست خيالا ، ولا شيئا محالا ، وانما ظهرت في عالم الواقع في العصر النبوي الكريم ، وعصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ، ولهذا فقد أثنى الله عليهم في كتابه فقال : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما سيكون لهذه الأمة من رفعة طالما كانت متمسكة بكتابه ، مستجيبة لأمره قائمة بالعبادات وعمل الصالحات خير قيام .

قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ [النور : ٥٥] .

ويقول الله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة : ٧٢] .

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن عند تفسيره لهذه الآية^(٢) : (ان طبيعة المؤمن ، هي طبيعة الأمة المؤمنة ، طبيعة الوحدة ، وطبيعة التكافل ، وطبيعة التضامن ، ولكنه التضامن في تحقيق الخير ودفع الشر ﴾ يأمرون بالمعروف وينهون عن

(١) في ظلال القرآن ٢٤٤٦ .

(٢) في ظلال القرآن ص ١٦٧٥ .

المنكر ﴿ وتحقيق الخير ودفع الشر يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون ، ومن هنا تقف الأمة الواحدة صفا واحدا لا تدخل بينها عوامل الفرقة وحيثما وجدت الفرقة في الجماعة المؤمنة فثمة ولا بد عنصر غريب عن طبيعتها ، وعن عقيدتها هو الذى يدخل بالفرقة ثمة غرض أو مرض يمنع السمة الأولى ويدفعها .

السمة التى يقررها العليم الخبير ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإعلاء كلمة الله ، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة فى الأرض ﴿ وقيمون الصلاة ﴾ التى تربطهم بالله ، ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ الفريضة التى تربط بين الجماعة المسلمة ، وتحقيق الصورة المادية والروحية للولاية والتضامن .

﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾ فلا يكون لهم هوى غير أمر الله وأمر رسوله ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله ، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله ، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله .

وبذلك يوحدون نهجهم ، ويوحدون هدفهم ، ويوحدون طريقهم ، فلا تتفرق بهم السبل عن الطريق الواحد الواصل المستقيم ﴿ أولئك سيرحهم الله ﴾ والرحمة لا تكون فى الآخرة وحدها إنما تكون فى هذه الأرض أولا ، ورحمة الله تشمل الفرد الذى ينهض بتكاليف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وتشمل الجماعة المكونة من أمثال هذا الفرد الصالح ، رحمة الله فى اطمئنان القلب وفى الاتصال بالله ، وفى الرعاية والحماية من الفتن والأحداث ورحمة الله فى صلاح الجماعة ، وتعاونها ، وتضامنها ، واطمئنان كل فرد للحياة ، واطمئنانه لرضاء الله (أه .

وبعد هذا العرض المفضل عن أثر العبادات فى إصلاح الأفراد والجماعات وعن مدى النتائج الحتمية لذلك وهو التعاون والتراحم والتضامن والتلاحم الذى تكون به قوتهم وعزتهم وسعادتهم فى الدارين .

والآن نتحدث عن أثر الصلاة والزكاة والصوم والحج فى جمع كلمة المسلمين .

الصلاة :

الصلاة هى الفريضة الأولى بعد الإيمان بالله ورسوله ، وهى عماد الدين ، من وفق إليها ، وأعين عليها ، فهو الموفق السعيد ومن حرم منها فهو الشقى البعيد ، والصلاة التى نقصد الحديث عنها هى التى يخشع فيها صاحبها ، ويحافظ على شروطها وآدابها ، لا يقتصر دورها على أجر يثاب عليه المؤمن ، وعذاب ينجومنه ، وإنما تحفظه ، وتنفى عنه الشرك

الظاهر والخبى ، وتعود به إلى صفوف المتواضعين إن كان فيه شىء من الكبر ، وترقى به إلى درجة الأعراء إن كان فيه شىء من الذلة والخنوع ، فالحاكم والمحكوم ، والرئيس والمرؤس ، وأصحاب الثروة والقوة ، والنفوذ والسلطان ، والذين ليس لهم من ذلك شىء ، كل هؤلاء متساوون فى الوقوف بين يدى الله والإقبال عليه ، لا فضل لأحد منهم على أحد ، إلا بمقدار ما فى قلبه من تقوى ، وما تثمره هذه التقوى من خيرات وما تحجز عنه من موبقات ، فكل أعمال الصلاة ترجع الأمر كله لله ، يقف المصلون جميعا بين يدى ربهم يأتمون بإمام واحد كأنهم بنیان مرصوص ، يعلنون الله أكبر ، وإنها لنعم الكلمة التى تفتح بها تلك العبادة ، إنها اعلان بأن الله أكبر من كل شىء ففى هذه الكلمة نفى للخوف والتردد ، وإبعاد لشبح الهلع والفرع والجبن لذلك كان المؤمنون هم الذين يحققون الحكم التى يمكن أن تثمرها هذه الصلاة .

لذا هيا الله تعالى بتشريعه وحكمته للصلاة ، جوا طيبا من الإجلال والتعظيم ، والخشوع والسكينة ، والتعاون والاجتماع ، ثم شرع الله تعالى الأذان للدعوة إليها وإلجمع عليها .

نداء لم تتجل فيه مقاصد الصلاة ومعانيها فحسب بل تجلت فيه كذلك مقاصد الإسلام ، وشعائر التوحيد ، ثم أقيمت لها المساجد تلك البيوت التى أذن الله فيها أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، والتى يتجلى فيها الوقار والسكينة ، والخشوع والخضوع ، فهى مهبط الرحمات ، وملتمقى الصالحين وموضع نظر الله فى الأرض ، فيها يتم التآلف والتعارف ، والتوحد والترابط ويتعرف كل على حاجة أخيه قال تعالى ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ [النور: ٣٦-٣٧] .

لقد كانت هذه المساجد مركز حياة المسلمين ، وتعلمهم ودراساتهم ومصدر الإصلاح والتوجيه ، تعالج فيها قضايا المسلمين الدينية والاجتماعية ويعرفون فى ساحاتها كل ما يرفع من شأنهم فى حياتهم ، ويكتب لهم السعادة بعد مماتهم ، وكان رسول الله ﷺ إذا حدث حدث أو نزل بالمسلمين أمر أن ينادى فى الناس (الصلاة جامعة) فيفيض إليهم بالنصح والتذكير ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويبصرهم بما يصلح من حالهم ، ويوقظ من قلوبهم ، ويشد من عزمهم ، وظلت المساجد هكذا تؤدى رسالتها العظيمة فى خدمة الاسلام ، ودعم وحدة المسلمين فكانت القطب الذى تدور حوله رحى الحياة ، وتتفجر فيها ينابيع العلم والهداية ، وتنبثق منها أنوار الإصلاح والإرشاد وتنطلق منها موجات الكفاح والجهاد .

والمساجد تتجلى فيها عظمة الله وحده ، فلا عظمة فيها لمخلوق ولا اختصاص لعظيم أو كبير ، ولا فضل لذي حسب أو نسب ، وهو مكان مشاع يتساوى فيه الناس جميعا ، الحرمهم والعبد ، والحاكم والمحكوم ، والغنى والفقير ، قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وشرع الله الجماعة للصلاة ، وأبان الرسول ﷺ عن فضلها فقال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة »^(١).

وقد توعد النبي ﷺ على تركها ، والتخلف عنها وأشار الى أن ذلك من سمات المنافقين فقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم »^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالجماعة ، فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية »^(٣).

وإذا حضر المؤمن الجماعة ، عرف إخوانه وعرفوه فلو غاب عنهم سألوا عنه فإن كان غائبا دعوا له - ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة - وإن كان مريضا عادوه فأثيوا وأجروا ، وجبروا خاطرهم وأدخلوا السرور عليه ، وإن كان حاضرا زاروه ، فتوطدت أواصر الأخوة ، وتأكدت أسباب التضامن والمحبة .

بل إن في الجماعة بجانب ما سبق ، حكم جليلة ، ومصالح همة بعضها اجتماعي وخلقي كالوحدة والاجتماع ، والتعارف والتعاون ، وبعضها ديني أخروي ، كالمحافظة على الصلوات والتنافس في إحسانها واتقانها ، ومنها أن إخلاص المخلصين وخشوع الخاشعين يؤثر في الجماعة كلها ، ويرى نوره من خلالها فيوقظ النفوس الخاملة ، ويحرك الهمم الفاترة وقد يكون سببا في قبول عبادة الجميع .

واكرام بعض الناس ببعض ، أمر تقره قواعد الشريعة ويشهد به قول الرسول ﷺ « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »^(٤).

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه أبو داود .

(٤) رواه البخاري .

نعم إن لاجتماع المسلمين ، سرا عجيبا ، في تدفق الرحمت ، وهذا هو السر في صلاة الاستسقاء وجماعتها ، وقد كان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بتسوية الصفوف ، كثير الترغيب في إقامتها ووصلها ، وسد خللها ، شديد الإنكار على الإخلال بها والتفريط فيها ، ذلك لأن فوائد الجماعة لا تتحقق ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها ، وقيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص .

وشرع الله صلاة الجمعة ، واختصها بشروط وآداب تزيد في جلالها ، وترفع من شأنها ، وتورث مزيدا من الأهتمام بها في جمع شمل المسلمين ، تحت راية الدين ، وهيمنة رب العالمين ، وشرع الله الاغتسال في يوم الجمعة والتطيب والنظافة ، وبين ما يترتب على ذلك من عطاء أخروى ، إلى جانب ما نلمسه من أثر صحى واجتماعى .

يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهنه ، أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » (١) . فإذا صعد الخطيب المنبر نصح الناس وذكرهم ، ودعاهم إلى الله ويعرفهم بأمر دينهم وديانهم .

وعلى ولاة الأمور من المسلمين تشجيع الخطباء ، وتقبل انتقاداتهم على أنها نصائح فإن الدين النصيحة ، وهى لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، والملائكة تشارك المؤمنين في سماع خطبة الجمعة قال عليه الصلاة والسلام : « فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » (٢) .

فإذا ما انتهت الخطبة ، أمهم إمام واحد ، فكانوا مترشحين متساويين يركعون ركوعا واحدا ، ويسجدون سجودا واحدا ويتجهون الى قبلة واحدة هى الرمز لوحدهم ، والجمع لكلمتهم والعنوان الكامل لترابطهم وتضامنهم .

وقد شرع الله للمسلمين صلاة العيدين ، يأتى عيد الفطر بعد شهر كامل يقضيه المسلمون ، بين الصيام والقيام ، والتلاوة والذكر والبر والمرحمة ، لقد جعله الله ميقاتا للعطاء ، والتشرف بضيافة الله ، وأما عيد الأضحى فيأتى في آخر عشر ذى حجة ، وهى أيام وليال لها فضلها وميزتها ، وفيها ذكريات جليلة ، توقظ المشاعر ، وتبعث الهمم ، إنها ذكريات ابراهيم واسماعيل ومحمد عليهم جميعا الصلاة والسلام ، واذا كان ما يسمى

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

بالأعياد عند غير المسلمين مواسم تحرر وانطلاق ، ومناسبات لذة وتمتع تتناقض أشد التناقض مع العبادات ومفهومها ، فإن هذين العيدين ، يبدءان بالصلاة لله رب العالمين ، بشعار هو التكبير لدى الذهاب إلى الصلاة ، وفي انتظارها ، وفي الخطبة وبعدها ثم صدقة الفطر قبل صلاة عيد الفطر ، والأضحى بعد صلاة عيد الأضحى ، كما شرع في هذين العيدين الصلاة بالمصلى خارج البلد ، إظهار الشوكة للمسلمين ، وعنوانا على وحدتهم وتضامنهم ، وكتبنا لعدوهم وتكثيرا لجمعهم ، ليعظم لهم العطاء .

لقد كان للجمعة والجماعة ، والعيدين ، وصلاة الاستسقاء وصلاة الخوف في الأمصار والأقطار ، فضل كبير في حفظ هذا الدين ، وسلامة الشريعة والأوضاع الدينية ، وبقائها على ما تركها عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وبعدها عن تحريف المنحرفين وعبث العابثين ، فلو كان المسلمون - أعاذهم الله من ذلك - تركوا الجمعة والجماعة ، انفردوا بعباداتهم وصلواتهم في بيوتهم وقاموا بها منفردين منعزلين ، موزعين مشتتين ، لحرفت هذه الصلوات ومسخت مسخا كبيرا أفقدها أصالتها ووضعها الأول ، وتنوع المسلمون فيها ، وصاروا فرقا وأقساما كما في كثير من مظاهر حياتهم المدنية ، وآدابهم الاجتماعية وكان للصلاة أنماط ونماذج محلية كما هو حاصل لدى اليهود والنصارى .

لقد كانت هذه الجماعة عاملا كبيرا من عوامل وحدة المسلمين في العبادات وعاصما لأحكام الدين من التحريف ، كما كانت سببا عظيما في تضامنهم ، وجمع كلمتهم ، وبلغ من اهتمام الإسلام بالجماعة أنه رغب في إقامتها ، والحرص عليها حتى في أوقات المحن والشدائد ، حين يلقي المسلمون عدوهم ، ويواجهون خصومهم ، لأن الصلاة في ذاتها سبب المعونة الألهية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣] . ولأن في إقامتها مع الجماعة مزيدا من العون والعطاء ، تتضاعف بركاتها ، وتكثر خيراتها قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ، فَاذْأَسْجُدُوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ﴾ [النساء: ١٠٢]

ولم تجز الشريعة الإسلامية ترك الصلاة ، أو تأخيرها عن ميقاتها في أمن أو خوف ، شدة أو رخاء ، صحة أو مرض ، سفراً أو إقامة ، إلا أنه قد جعل لكل حالة وضعاً خاصاً

يتلاءم مع تلك الحالة ، يتحقق به التيسير ، ورفع الحرج الذي أكرم الله تعالى به هذه الأمة ، يقول الله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ، وقوموا الله قانتين ، فان خفتهم فرجالا أو ركبانا ، فاذا أمتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة: ٢٣٨-٢٣٩] ،

الزكاة :

لعل من نافلة الحديث أن نقول : إن المال مهم غاية الأهمية للأفراد والجماعات ، وأنه قوام الحياة ، وأساسها ، وعليه تقوم النهضات ، وتتقدم الحضارات ، به صيانة الحرية ، وقوة الشوكة ، والعزة والمنعة ، فذلك أمر واضح ، لا يحتاج الى بيان ، ويكفى أن يصفه القرآن الكريم بأنه قيام الحياة ، وينصح بالتوسط فيه إن ملكه المرء فلا يسرف حتى يقف عاجزا عن التصرف ، ولا يقتر حتى يتعرض للسخط والملامة قال تعالى : ﴿ ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ﴾ [النساء: ٥] .

ويقول جل شأنه : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ [الاسراء: ٢٩] .

ويثنى على فريق من عباده بالتوسط في النفقة بين الإسراف والتقتير فيقول سبحانه : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ [الفرقان: ٦٧] .

ولما كانت للمال هذه الأهمية في إعداد العدة ، وأخذ الأهبة ، كان الجهاد بالمال مقدما في القرآن الحكيم على الجهاد بالنفس ، قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [الصف: ١١] .

وكان للنفقة في سبيل الله امتيازها عن الإنفاق في وجوه الخير الأخرى بزيادة أجرها ، وكثرة أضعافها قال سبحانه : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

ثم كان للمال الأهمية البالغة في دفع الحاجات ، وتفريغ الكربات بأطعام الجائع ، وكسوة العارى ، وفك ضائقة المحتاج ، فإن الله تعالى أوصى بالبذل في هذه الوجوه ،

وفرض من ذلك نصيبا معروفا في أموال الأغنياء يرد على الفقراء ، وسمى ذلك زكاة تارة وصدقة تارة ، مشيرا بهذه الأسماء ، إلى أمور اتسم بها البذل والانفاق في الإسلام ، لأن الزكاة لغة : التطهير والنماء ، وهذا الجزء القليل الذي يبذله المؤمن الغنى من ماله يطهر صاحبه من رذائل الشح والبخل ، وقلة المبالاة بالناس ، وعدم الأهتمام بهم ، ثم يحليه بطائفة من الأخلاق الكريمة كالسخاء والإيثار ، وحب الخير للناس ، ورعاية المجتمع ، قال تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ، وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

وسماه الله صدقة لأن بذل المال لله ، وابتغاء مرضاته ، دليل الإيـان وآية اليقين ، وأمارة التصديق ، قال عليه الصلاة والسلام : « . . . والصدقة برهان »^(١) .
والصدقات في الإسلام تقوم بوظائف شتى لذلك كان القرآن الحكيم حريصا على بيان مصارفها بيانا قاطعا قال تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم ﴾ [التوبة : ٦٠] .

والتأمل في هذا النص الكريم يرى ما ينطوى عليه نظام الصدقة من تكافل اجتماعي بين أبناء المجتمع الإسلامي ، بمواساة الغنى للفقير والمسكين ، ومراعاة المجتمع للذين يتفرغون لشئون المجتمع ، وإعانتهم على القيام بما ندبوا إليه من ذلك خير قيام ، ثم إعطاء المؤلفة قلوبهم وهم الذين دخلوا في الدين ولم يتمكن من نفوسهم التمكن الكامل ، ثم يعطى المكاتبون لاستخلاص رقابهم ، وشراء حريتهم ، وفي هذا دليل على أن الإسلام تواق إلى الحرية ، معين عليها ، مرغـب في منحها ، وهذا ملحظ سياسي واجتماعي عظيم ، ثم من أحاطت به المكارة والديون ، جعل الله له في ذلك المال نصيبا ، يسدده به دينه ، ويستأنف به حياته ، أما ابن السبيل وهو المسافر الذي نفذ ماله أوضاع فينبغي أن يعان من الزكاة حتى يبلغ أهله ، فإنه في هذه الحالة أخو الفقير والمسكين ، وإن كان في بلده غنيا ، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ، أما الانفاق في سبيل الله فهو قمة الإنفاق يقول عليه الصلاة والسلام : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا »^(١) .

(١) جزء من حديث رواه مسلم .

ان الصدقات شرعت إذن سدا لحاجات الفقراء والمساكين ، وتفريحا لكرب المحتاجين ، وتثبيتا للايمان فى القلوب ، وتحريرا للرقاب من ذل الرق ، وإعزازا لدين الله ، وتدفاع عن حرمت الاسلام .

وهذا هو أحد جوانب الصدقات ، وهو جانب العطاء ، أما ما يترتب عليه وهو الذى يترتب عليه الجانب الاجتماعى ، فهو الوجه الآخر لتشريع الصدقات .
ونستطيع أن نبين الأثر الاجتماعى للزكاة ، حين نطرح السؤال الآتى : ماذا يكون الحال لو بخل الأغنياء بأموالهم على الفقراء والمحتاجين وعلى البذل فى وجوه البذل الأخرى ؟

والجواب : إن صورة المجتمع تصبح صورة مخيفة مفزعة ، فالفقراء والمحتاجون تملىء صدورهم بالأحقاد والضغائن ، وتمتد أيديهم إلى هذه الأموال التى لم يحصلوا عليها طواعية ، ليستولوا عليها بوسائل أخرى يفسد بها نظام الحياة ويصبح المجتمع طوائف متناحرة تتربص كل منها بالأخرى ، وتغدوا الحياة جحيمًا لا يطاق .
ويقول قائل : إن الدول والحكومات تقوم بضرائب وجبايات وتبذل صدقات ومعونات ، ألا تسد هذه مسد الزكاة ؟ ألا تصلح عوضا عنها ؟

والجواب : كلا ، لأن ما يفرضه البشر على البشر لا يمكن بحال أن يرقى إلى ما شرع الله لعباده ، فإن ما يفرضه البشر فيه قصورهم وأهواؤهم ، وكثيرا ما يحمل ألوانا من التسلط والابتزاز ، ثم هو فى أغلب الأحيان يوضع فى غير موضعه ، ويوجه الى غير مستحقه ، أما الزكاة التى شرعها العليم الحكيم لعباده فإن لها خصائص وسمات تميزها عما عداها ، فمن أبرز هذه الخصائص أنها قربة لله عز وجل ، تصحبها النية والإخلاص ، والاحتساب ، لتكون مقبولة ولا شىء من ذلك يقصد فى الضرائب ، بل أنها فى الأعم الأغلب تكون مصحوبة بروح السخى والمقت والاستئصال والإنكار ، لأن دافع هذه الضرائب لا يعتقد أنها مشروعة من الله تعالى ، ولا يرجو عليها ثوابا بل يعتقد أنها مفروضة عليه من أفراد منه مثله ، وربما أقل منه ، وأنها تنفق فى كثير من الأحيان فى الأهواء والشهوات ، احتفاظا بسلطة أو خدمة لأفراد محدودين ، لا يرافقها شىء من الترغيب فى الاخلاف والجزاء ، أو الترهيب من النكول والبخل ، بل إنها كثيرا ما تؤدى تحت ضغط التهديد والتغريم ، التى تزيد دافعها كراهية وسخا .

ولهذه الحكمة البالغة ، التى لا تتأتى إلا فيما شرع الله سبحانه جاءت الزكاة فى القرآن الكريم . وفى السنة المطهرة مشفوعة بما يرغب فى إخراجها بطيب نفس ، وصدق

نية ، وكريم احتساب ، وذلك بيان ما يترتب على إخراجها من نتائج وثمرات في الدنيا والآخرة من إخلاف وثواب ونمو وبركة .

يقول الله تعالى : ﴿ ان المصدّقين والمصدّقات ، وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ، ولهم أجر كريم ﴾ [الحديد: ١١] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « من تصدق بعُدل تمرّة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربّيها لصاحبها كما يربّي أحدكم فلوه ، . حتى تكون مثل الجبل »^(١) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه »^(٢) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً »^(٣) .

وينعى القرآن الكريم على أولئك الذين استولى الشح على نفوسهم فصاروا يعيشون في الحياة ، ولا هم لهم إلا الجمع والمنع ، يأخذونه من غير حله ، ولا يضعونه في محله ، فويل لهم حين أخذوه ، وويل لهم حين بخلوا به ، وويل لمن سلك في الجمع والمنع مسلكهم .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحرار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] .

ومن خصائص الزكاة ، أنها تؤخذ من الأغنياء ، وترد على الفقراء وهذا بخلاف الضرائب فإنها تؤخذ من الجميع ، ثم أنها تنفق في وجوه إذا وزنت بميزان الشريعة تبين انه إذا كان فيها الكريم المشروع ، ففيها الخبيث الممنوع لقد كانت الزكاة بهذا التوجيه الذي يرمى جانب الفقير ، ومصلحة الغنى كذلك .

فإذا كان المرء بالشهادتين يدخل في الاسلام ، فإنه بالصلاة قد أوفى بالجانب المهم في

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

عنده مع الله ، وهو بالزكاة يبدأ عهدا جديدا مع إخوانه في الدين ، وشركائه في المجتمع ،
عهدا تترفرف عليه رايات الحب ، ويغمره التعاون والتراحم .
ومن هذه الخصائص أنها وسيلة لتقويم مؤديها ، ورفعها إلى مقام المراقبة والإحسان ،
وتحليلته بالفضائل النفسية الرفيعة ، وقد أثنى الله عز وجل على المتصدقين من أجله ،
والباذلين لأموالهم ابتغاء مرضاته .

وذكره لأوصافهم ومشاعرهم يدل على ما وصلوا إليه من سمو لا يدانى ولا يمكن
بحال من الأحوال - أن يحصل فيها يشرع البشر للبشر . يقول الله سبحانه : ﴿ ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ویتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا ، إنما نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة
وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا
ولا زمهريرا ﴾ [الانسان : ٨-١٣] .

ويقول سبحانه : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم الى ربهم راجعون ،
أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ [المؤمنون : ٦٠-٦١] .

الصيام :

لا نعتقد أنه بوسعنا ولا بوسع بشر ، مهما أوتى من علم ، ورزق من حكمة أن يحيط
عنا بأسرار الله التي تضمنتها العبادات التي شرعها . والشعائر التي وضعها ، ولولا أن الله
بمنه وكرمه - أوضح من ذلك جوانب ، وأشار الى أخرى ، إيناسا للنفوس وجذبا
للذلوب ، ما كان لبشر أن يخوض في ذلك أويتكلم فيه والتسليم معيار الإيمان ، وميزان
الإخلاص ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا سمعنا
وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ، ويتقه فأولئك هم
الفلحون ﴾ [النور : ٥١-٥٢] .

وهذا الركن الذي نحن بصدد الحديث عنه وهو : الصيام له آثاره البعيدة المدى على
النفوس ، وله فوائده المحققة على المجتمع ، في كافة جوانبه وأحواله ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٨٣] .
ويقول عليه الصلاة والسلام : « الصيام جنة »^(١) ، وقد أمر عليه الصلاة والسلام ،
من اشتدت عليه شهوة النكاح - ولا قدرة له عليه - بالصيام .

(١) رواه البخارى .

إن الفضائل النفسية ، والفوائد الاجتماعية التي يثمرها الصوم أجل من أن تحصى ،
وإذا كان الصوم يثمر التقوى ، وعفة النفس واستقامة الجوارح ويقظة الضمير ، ورحمة
القلب ، وخشية الرب ، فإن هذه الفضائل ، تنعكس على المجتمع كله ، وتنشر ببركتها
عليه .

والتقوى التي جعلها الله غاية للصيام ، والجنة التي وصف بها النبي ﷺ الصوم
يمكن أن يندرج تحتها كل ما أدركنا ، وما لم ندرك من حكم الصيام ، فليس للتقوى حد
تنتهي عنده ، أو غاية تنتهي إليها ، وكذلك الجنة ، قد تكون من التقصير والمخالفات ،
وقد يرقى بها صاحبها ، فتكون من الشبهات ، وقد يزداد رقياً فتصبح جنة من الغفلات
والخطرات .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

« لما كان صلاح القلب واستقامته ، على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على
جمعيته على الله ، ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله فإن شعث القلب لا يلمه إلا الاقبال
على الله تعالى وكان فضول الطعام والشراب ، وفضول مخالفة الأنام وفضول الكلام ،
وفضول المنام مما يزيده شعثاً ويشتته في كل واحد يقطعه عن سيره إلى الله تعالى ، أو يضعفه أو
يعرقله ، اقتضت رحمة العزيز العليم بعباده أن شرع لهم من الصوم ، ما يذهب فضول
الطعام والشراب ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى ،
وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه ، ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة
والآجلة » (١) .

إن المجتمع الذي يستقيم على شريعة الصوم ، يكون مجتمعاً قوياً في عقيدته ، قوياً
في استجابته لأمر ربه ، قوياً بتناسكه وتضامنه ، وتراحمه ، قوياً بأخلاقه الكريمة ، وشمائله
النبيلة .

وقد اختار الله سبحانه بحكمته البالغة ، شهر رمضان المبارك ليكون موسم الصيام ،
المفروض على المسلمين من كل عام ، وقد أشار القرآن الكريم إلى السرفى اختيار هذا
الشهر لهذه الفريضة المباركة ذلك أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من
الهدى والفرقان .

وبين الصوم والقرآن صلة متينة عميقة ، ولذلك كان رسول الله ﷺ أجود الناس ،
وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من

(١) زاد المعاد لابن القيم : ١٦٨/١

رمضان فيدارسه القرآن ، فليرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة^(١) .

لقد أصبح رمضان بما شرع فيه من صيام ، وسن فيه من قيام وما رغب فيه من عبادة ، وذكر وتلاوة للقرآن الكريم ، وصدقات وتراحم ، وبر وإحسان ، موسما فذا من مواسم العبادة المتعددة النواحي ، المتشعبة الجوانب ، تلك العبادات التي تطبع النفوس بطابع الرحمة والخير ، وتغمر المجتمع كله ، بموجة من الحب والود والتعاون والتضامن ، والتراحم .

وبجوار التعبد بقراءة القرآن في شهر القرآن ، تذكر لشريعة الله وما يريد رب العباد من العباد ، من صلاة وزكاة وصيام وحج وبر وتراحم ، وتحاب وتآلف وصدق حديث ، وأداء أمانة ورعاية للعهد ، وما يترتب على ذلك ، من عظيم الأجر والثواب في العاجلة والأجلة لمن أخلص ذلك لله وحده ، وابتغى به وجهه وقام به إيانا واحتسابا .

يقول الشيخ أحمد الدهلوي : (والصوم إذا التزمته أمة من الأمم ، سلسلت شياطينها ، وفتحت أبواب جناتها وغلقت أبواب النيران عنها)^(٢) .

ويقول في نفس المرجع (وأيضا فإن اجتماع طوائف عظيمة من المسلمين على شيء واحد في زمان واحد ، يرى بعضهم بعضا معونة لهم على الفعل ميسر عليهم ، ومشجع أيهم ، وأيضا فإن اجتماعهم هذا لنزول البركات الملكية على خاصتهم وعامتهم ، وأدنى أن تنعكس أنوار كلهم على من دونهم ، وتحيط دعوتهم من وراءهم)^(٣) .

وأیضا فان في الصيام آثارا عظيمة في إعداد المسلمين للعبادات وتأهيلهم لجنى ثمارها ، والانتفاع بخيراتها وبركاتها . وبالصيام تصبح النفوس مستعدة للخير ، راغبة في البر ، كارهة للشر ، نافرة من الفجور .

وإذا كانت تلاوة القرآن في رمضان عبادة لها ثمارها فإن هذه الثمار تكون أزكى وأسمى ، وأبقى ، إذا كان القلب مستعدا ، والنفوس متهيئة . يقول عليه الصلاة والسلام : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام رب منعتني الطعام بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : رب منعتني النوم بالليل فشفعني فيه قال : فيشفعان »^(٤) .

(١) رواه البخاري .

(٢) حجة الله البالغة : ٥٩/١ .

(٣) حجة الله البالغة : ٣٧/٢ .

(٤) رواه أحمد .

الحج :

الحج هو : الركن الخامس في الاسلام ، وهو الفريضة التي تستوجب مفارقة المؤلفات ، والعادات ، استجابة لرب العالمين ، المسلم حين يستعد لتلبية هذه الدعوة بالإحرام يطهر باطنه بالنية الصالحة ، والتوبة النصوح ، ويطهر ظاهره بالاغتسال فإنه يعلن استجابته لأمر ربه مضاعفة مكررة ، ولا يزال ذلك شعاره حتى يفرغ من حجه (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

وفي الاحرام التمرين العملى على فضيلة المساواة بين الناس وفيه كذلك تذكير لهم بما كانوا عليه ، وبما سيصيرون إليه في الطريق الذى سبق هذه الحياة ، والطور الذى سيعقبها وإنما هم فيه من زينة الدنيا وزهرتها إنما هو عارية مستردة « والحج تدريب عملى للمسلم على المبادئ التى جاء بها الاسلام فقد أراد الاسلام ألا يكون مبادئه ، وقيمه الاجتماعية مجرد شعارات أو نداءات ، بل ربطها بعباداته وشعائره ، حتى تخط مجراها في عقل المسلم وقلبه ، فهما وشعورا ، ثم تخط مجراها في حياته سلوكا وتطبيقا ، وقد رأينا في صلاة الجماعة كيف تنمى معانى الأخوة ، والمساواة والحرية ، وهنا في الحج نرى معنى المساواة في أجل صورة وأتمها ، فالجميع قد طرحوا الملابس والأزياء المزخرفة ، التى تختلف باختلاف الأقطار واختلاف الطبقات ، واختلاف القدرات واختلاف الأذواق ، ولبسوا جميعا ذلك اللباس البسيط - الذى هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى - يلبسه الملك والأمير ، كما يلبسه المسكين والفقير ، وأنهم ليطوفون جميعا بالبيت ، فلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة ، ومن لا يملك قوت يومه » (١) .

وفي الحج ترى معنى الوحدة جليا كالشمس ، وحدة في المشاعر ، ووحدة في الشعائر ، ووحدة في الهدف ، ووحدة في العمل ، ووحدة في القول لا إقليمية ، ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة ، إنما هم جميعا مسلمون ، برب واحد يؤمنون ، وبيت واحد يطوفون ، ولكتاب واحد يقرأون ، ولرسول واحد يتبعون ، ولأعمال واحدة يؤدون ، فأى وحدة أعمق من هذه وأبعد غورا ؟ (٢) .

والحج أكبر مؤتمر عالمى يجمع المسلمين من جميع أنحاء العالم جمعتهم رابطة الإسلام ، ووحدت بينهم كلمة الايمان (في هذا المؤتمر يلتقى رجال العلم ، ورجال الاصلاح ، ورجال السياسة ، فما أجدرهم وقد التقوا على هدف واحد أن يتعارفوا ،

(١) العبادة في الاسلام للدكتور يوسف القرضاوى : ٢٨٩-٢٩٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢٩٠ .

ويتفاهموا ، ويتعاونوا على تدبير أفضل الخطط وأحسن الوسائل ليبلغوا الأهداف ، ويحققوا
الأمال»^(١).

في هذا المؤتمر العالمي يتذاكر المسلمون خطبة نبيهم ﷺ الجامعة على عرفه عام حجة
الوداع والتي قد جاء فيها :

(. . . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي . . أيها
الناس : اسمعوا قولي واعقلوه ، إن كل مسلم أخ للمسلم ، وإن المسلمين إخوة ، فلا يحل
لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت ؟
قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد) والمسلم يذكر كذلك - في
الحج - اكمال الدين واتمام النعمة على هذه الأمة حينما أنزل الله على رسوله ﷺ في هذا
الموقف في يوم الجمعة عشية عرفة ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ [المائدة: ٣].

وتتذكر كذلك أن الحج هو تعويد على مكارم الأخلاق ، ومقابلة السيئة بالحسنة ،
ابتغاء وجه الله ، وإحسان إلى الناس طلبا للإحسان من الله رب العالمين ﴿ الحج أشهر
معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من
خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب ﴾
[البقرة: ١٩٧].

ويقول عليه الصلاة والسلام : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم
ولدته أمه »^(٢).

والحق أن الحج به فيه من أوضاع وشعائر ، ودعوات ، وابتهالات وذكريات مدرسة
تملأ القلب رضا وسكينة وإيمانا وطمأنينة وتغمره بالخير من جميع نواحيه فيعود مسلما مؤمنا ،
حقا وصدقا مسارعا للاستجابة لربه الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى يصدق عليه قول
الصادق المصدوق ﷺ : « ذاق طعام الإيثار من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا وبمحمد
ﷺ نبيا ورسولا »^(٣).

(١) المصدر السابق : ٢٩٢ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

النصائح من الله صلى

لسمحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارة الدعوة والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله وحده .. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. أما بعد :

فلا ريب أن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له كما قال عز وجل : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بهذه العبادة وبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل الكتب لبيان هذا الحق وتفصيله والدعوة إليه كما قال عز وجل : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ ومعنى قضى فى هذه الآية أمر ووصى وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ وقال سبحانه : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لا تعبدوا إلا الله انى لكم منه نذير وبشير ﴾ وقال تعالى : ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب ﴾ ففى هذه الآيات الكرييات الأمر بعبادته سبحانه والتصريح بأنه خلق الثقلين لهذه العبادة وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها والدعوة إليها .

وحقيقة هذه العبادة هى طاعة الله ورسوله ﷺ بالاخلاص لله فى جميع الأعمال والامتثال لأوامره والحذر من نواهيه والتعاون فى ذلك كله وتوجيه القلوب إليه سبحانه فى كل ما يهملها وسؤاله عز وجل جميع الحاجات عن ذل وخضوع وإيمان واخلاص وصدق وتوكل عليه سبحانه ورغبة ورهبة مع القيام بالأساليب التى شرعها لعباده وامرهم بها وإباح لهم مباشرتها .

وبهذا كله يستقيم أمر الدنيا والدين وتنظيم مصالح العباد في أمر المعاش والمعاد ولا صلاح للعباد ولا راحة لقلوبهم ولا طمأنينة لضمايرهم إلا بالأقبال على الله عز وجل والعبادة له وحده والتعظيم لحرماته والخضوع لأوامره والكف عن مناهيه والتواصي بينهم بذلك والتعاون عليه ووقوف عند الحدود التي حد لعباده كما قال عز وجل ﴿ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾ .

ومن المعلوم انه لا يتم أمر العباد فيما بينهم ولا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم ولا يهابهم عدوهم إلا بالتضامن الإسلامى الذى حقيقته التعاون على البر والتقوى والتكافل والتناصر والتعاطف والتناصح والتواصى بالحق والصبر عليه . ولاشك أن هذا من أهم الواجبات الإسلامية والفرائض اللازمة وقد نصت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . على أن التضامن الإسلامى بين المسلمين أفراداً وجماعات حكومات وشعوباً من أهم المهمات ومن الواجبات التى لا بد منها لصلاح الجميع واقامة دينهم وحل مشاكلهم وتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ضد عدوهم المشترك .

والنصوص الواردة فى هذا الباب من الآيات والأحاديث كثيرة جداً ، وهى وان لم ترد بلفظ التضامن فقد وردت بمعناه وما يدل عليه عند أهل العلم والأشياء بحقائقها ومعانيها لا بألفاظها المجردة فالتضامن معناه التعاون والتكاتف والتكافل والتناصر والتناصح والتواصى وما أدى هذا المعنى من الألفاظ .

ويدخل فى ذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله سبحانه وارشاد الناس إلى أسباب السعادة والنجاة وما فيه صلاح أمر الدنيا والآخرة .

ويدخل فى ذلك أيضاً تعليم الجاهل واغاثة الملهوف ونصر المظلوم ورد الظالم عن ظلمه واقامة الحدود وحفظ الأمن والأخذ على أيدي المفسدين والمخربين وحماية الطرق بين المسلمين داخلاً وخارجاً وتوفير المواصلات البرية والبحرية والجوية والاتصالات السلوكية واللاسلكية بينهم لتحقيق المصالح المشتركة الدينية والدنيوية وتسهيل التعاون بين المسلمين فى كل ما يحفظ الحق ويقيم العدل وينشر الأمن والسلام فى كل مكان .

ويدخل فى التضامن أيضاً الاصلاح بين المسلمين وحل النزاع المسلح بينهم وقتال الطائفة الباغية حتى تنفىء إلى أمر الله عملاً بقول الله عز وجل ﴿ فاتقوا الله واصلحوا ذات

بينكم ﴿ وقوله سبحانه ﴾ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴿ .

ففى هذه الآيات الكرييات أمر الله المسلمين جميعاً بتقواه سبحانه والقيام بالاصلاح بينهم عموماً وبالاصلاح بين الطائفتين المقتلتين منهم خصوصاً وقتال الطائفة الباغية حتى ترجع عن بغيها وأن يكون الصلح على أسس سليمة قائمة على العدل والانصاف لا على الميل والجور ، وفيها التصريح بأن المؤمنين جميعاً إخوة وإن اختلفت ألوانهم ولغاتهم وتناءت ديارهم فالإسلام يجمعهم ويوحد بينهم ويوجب عليهم العدل فيما بينهم والتصافى والكف عن عدوان بعضهم على بعض ويوجب على اخوانهم الاصلاح بينهم إذا تنازعوا . ثم ختم الله هذه الآية بالأمر بالتقوى وعلق الرحمة على ذلك فقال ﴿ واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ فدل ذلك على أن تقوى الله فى كل الأمور هى سبب الرحمة والعصمة والنجاة وصلاح الأحوال الظاهرة والباطنة .

ويدخل فى التضامن أيضاً تبادل التمثيل السياسى أو ما يقوم مقامه بين الحكومات الإسلامية لقصد التعاون على الخير وحل المشاكل التى قد تعرض بينهم بالطرق الشرعية واختيار الرجال الأكفاء فى عملهم ودينهم وأمانتهم لهذه المهمة العظيمة .

ويدخل فى التضامن أيضاً توجيه وسائل الإعلام إلى ما فيه مصلحة الجميع وسعادة الجميع فى أمر الدين والدنيا وتطهيرها مما يضاد ذلك .

وما ورد فى هذا الأصل الأصل وهو التضامن الإسلامى والتعاون على البر والتقوى قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ أمر الله سبحانه فى هذه الآية الكريمة عباده المؤمنين بأن يتقوه حق تقاته ويستمروا على ذلك ويستقيموا عليه حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك ، وما ذاك إلا لما فى تقوى الله عز وجل من صلاح الظاهر والباطن وجمع الكلمة وتوحيد الصف واعداد العبد لأن يكون صالحاً مصلحاً وهادياً مهدياً باذلاً النفع لآخوانه كافاً للأذى عنهم معيناً لهم على كل خير ولهذا أمر الله المؤمنين بعد ذلك بالاعتصام بحبله فقال ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ وحبل الله سبحانه هو دينه الذى أنزل به كتابه الكريم وبعث به رسوله الأمين محمداً ﷺ والاعتصام

به هو التمسك به والعمل بما فيه والدعوة الى ذلك والاجتماع عليه حتى يكون هدف المسلمين جميعاً ومحورهم الذى عليه المدار ومركز قوتهم هو اعتصامهم بحبله وتحاكمهم إليه وحل مشاكلهم على نوره وهداه وبذلك تجتمع كلمتهم ويتحد هدفهم ويكون ملجأ لكل مسلم في اطراف الدنيا وغوثاً لكل ملهوف وقلعة منيعة وحصناً حصيناً ضد أعدائهم ، وهذا الاجتماع وهذا الاتحاد وهذا التضامن تعظم هيبتهم في قلوب أعدائهم ويستحقون النصر والتأييد من الله عز وجل ويحفظهم سبحانه من مكائد الأعداء مهما كانت كثرتهم كما وقع ذلك بالفعل لنبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام رضى الله عنهم واتباعهم بإحسان في صدر هذه الأمة ففتحوا البلاد وسادوا العباد وحكموا بالحق وحقق الله لهم وعده الذى لا يخلف كما قال عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وَلِيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ أَنَا فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبَنَّ كَيْدَهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ . ففي هذه الآيات الكريهات حث المسلمين وتشجيعهم على التمسك بدينهم والقيام بنصره وذلك هو نصر الله فإنه سبحانه وتعالى في غاية الغنى عن عباده وإنما المراد بنصره هو نصر دينه وشريعته وأوليائه والله ناصر من نصره وخاذل من خذله وهو القوي العزيز وفي هذه الآيات أيضاً البشارة العظيمة بأن الله عز وجل ينصر من نصره ويستخلفه في الأرض ويمكن له ويحفظه من مكائد الأعداء .

فالواجب على المسلمين جميعاً أينما كانوا هو الاعتصام بدين الله والتمسك به والتضامن فيما بينهم والتعاون على البر والتقوى ومناصحة من ولاه الله أمرهم والحذر من أسباب الشقاق والخلاف والرجوع في حل المشاكل إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ والتواصي في ذلك كله بالحق والصبر عليه مع الحذر من طاعة النفس والشيطان وبذلك يفلحون ويسلمون من كيد أعدائهم ويكتب الله لهم العز والنصر والتمكين في الأرض والعاقبة الحميدة ويؤلف بين قلوبهم وينزع منها الغل والشحناء وينجيهم من عذابه يوم القيامة . وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا

تشرکوا به شیئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » . أخرجہ مسلم فی صحیحہ .

ومما ورد فی التضامن الاسلامی قوله جل وعلا : ﴿ وتعاونوا علی البر والتقوی ولا تعاونوا علی الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شدید العقاب ﴾ .

وهذه الآیة الکریمة من أصرح الآیات فی وجوب التضامن الإسلامی الذی حقیقته ومعناه التعاون علی البر والتقوی كما سلف بیان ذلك وفيها تحذیر المسلمین من التعاون علی الاثم والعدوان لما فی ذلك من الفساد الکبیر والعواقب الوخیمة والتعرض لغضب الله سبحانه وتسلیط الأعداء وتفريق الکلمة واختلاف الصفوف وحصول التنازع المفضی إلى الفشل والخذلان . نسأل الله للمسلمین العافیة من ذلك . وفي قوله سبحانه فی ختام الآیة : ﴿ واتقوا الله إن الله شدید العقاب ﴾ تحذیر للمسلمین من مخالفة أمره وارتکاب نیهه فینزل بهم عقابه الذی لا طاقة لهم به .

ومن الآیات الواردة فی التضامن أيضاً قوله عز وجل : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولیاء بعض یأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر ویقیمون الصلاة ویؤتون الزکاة ویطیعون الله ورسوله ﴾ وهذه الصفات العظیمة هی جماع الخیر وعنوان السعادة وسبب صلاح أمر الدنیا والآخرة ولهذا علق سبحانه وتعالی رحمتهم علی هذه الصفات الجليلة فقال : ﴿ أولئک سیرحمهم الله إن الله عزیز حکیم ﴾ ، فتبین بذلك أن الرحمة والنصر علی العدو وسلامة العاقبة کل ذلك مرتب علی القيام بحق الله وحق عباده ولا یتم ذلك إلا بالتناصح والتعاون والتضامن والصدق فی طلب الآخرة والرغبة فیما عند الله والانصاف من النفس وتحری سبیل العدل وفي هذا المعنی يقول عز وجل ﴿ یاأیها الذین آمنوا کونوا قوامین بالقسط شهداء لله ولو علی أنفسکم أو الوالذین والأقربین إن یکن غنیاً أو فقیراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوی أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا ، فإن الله کان بما تعملون خبیراً ﴾ ، ويقول عز وجل فی سورة المائدة : ﴿ یاأیها الذین آمنوا کونوا قوامین لله شهداء بالقسط ولا یجرمنکم شنآن قوم علی ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوی واتقوا الله ان الله خبیر بما تعملون ﴾ وفي هاتین الآیتین أمر المؤمنین ان یقوموا لله بالقسط وان یشهدوا له بذلك فی حق العدو والصدیق والقرب والبعید . وقال تعالی : ﴿ یاأیها الذین آمنوا اطیعوا الله واطیعوا الرسول وأولی الأمر منکم فان تنازعتم فی شیء فردوه الی الله والرسول ان کنتم تؤمنون بالله والیوم الآخر ذلك خیر وأحسن تأویلاً ﴾ .

ومما ورد من الأحاديث الشريفة في التضامن الإسلامي الذي هو التعاون على البر والتقوى قول النبي ﷺ « الدين النصيحة » قيل لمن يارسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » أخرجه مسلم في صحيحه ، وقوله ﷺ : « المؤمن لدؤ من كالبيان يشد بعضه بعضا » وشبك أصابعه . وقوله ﷺ : « مثل المسلمين في تراحمهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر » ، أخرجهما البخارى ومسلم في صحيحهما .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل دلالة ظاهرة على وجوب التضامن بين المسلمين والتراحم والتعاطف والتعاون على كل خير . وفي تشبيههم بالبناء الواحد والجسد الواحد ما يدل على انهم بتضامنهم وتعاونهم وتراحمهم تجتمع كلمتهم وينتظم صفوفهم ويسلمون من شر عدوهم فواجب المسلمين جميعاً أن يتعاونوا على البر والتقوى وأن يدعوا إلى الحق والهدى وأن يعنوا غاية العناية في الدعوة إلى تضامن المسلمين وأن يبذلوا جميعاً ما يستطيعون من الوسائل في نشر هذه الدعوة ومساندة الداعين إليها وشرح محاسنها ومصالحها لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم حتى يتحقق للجميع ما يرجونه من عز في الدنيا وسعادة في الآخرة ، عملاً بقول الله سبحانه ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . وقوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .

وإمام الجميع في هذه الدعوة العظيمة وقودتهم في هذا السبيل القيم هو نبينهم وسيدهم وقائدهم الأعظم نبينا محمد رسول الله ﷺ فهو أول من دعا هذه الأمة إلى توحيد ربها والاعتصام بحبله وجمع كلمتها على الحق والوقوف صفاً واحداً في وجه عدوها المشترك ، وفي تحقيق مصالحها وقضاياها العادلة عملاً بقوله تعالى مخاطباً له : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾

وقد سار على نهجه القويم صحابته الكرام واتباعهم بإحسان رضى الله عنهم وارضاهم فنجحوا في ذلك غاية النجاح وحقق الله لهم ما وعدهم به من عزة وكرامة ونصر كما سبق التنبيه على ذلك والإشارة إليه أول هذه الكلمة ، ولا ريب أن الله عز وجل إنما حقق لهم ما تقدمت الإشارة إليه بإيمانهم الصادق وجهادهم العظيم وأعمالهم الصالحة وصبرهم ومصابرتهم وصدقهم في القول والعمل وتضامنهم وتكاتفهم في ذلك لا بانسابهم ولا

بأموالهم . كما قال تعالى : ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ وكما قال النبى ﷺ « من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه » وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » اخرجها مسلم فى صحيحه فمن سار على سبيلهم ونهج نهجهم اعطاه الله كما اعطاهم وايده كما ايدهم فهو القائل عز وجل فى كتابه المبين : ﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار ﴾ وهو القائل سبحانه : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جنودنا لهم الغالبون ﴾ وهو القائل عز وجل : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ .

والله عز وجل المسؤول ان يجمع كلمة المسلمين على الهدى وان يفقههم فى دينه وان يصلح ولاية أمرهم ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم وان يمنحهم الصدق فى التضامن بينهم والتناصح والتعاون على الخير وان يعيدهم من التفرق والاختلاف ومضلات الفتن وان يحفظهم من مكائد الأعداء انه ولى ذلك والقادر عليه . . . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

قيادة مسلمة

عندما التقى المسلمون والفرس فى القادسية أمر سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - جنوده المسلمين بقراءة سورة الجهاد « الأنفال » فلما فرغوا منها قال لهم :

الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر، فإذا صليتم، فإني مكبر تكبيرة، فكبروا واستعدوا، فإذا سمعتم الثانية، فكبروا والبسوا عدتكم، فإذا سمعتم الثالثة فكبروا ونشطوا الناس، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا حتى تحالطوا عدوكم، وقولوا :

« لا حول ولا قوة إلا بالله » .

الإسلام بسُّنَنِهِ وَالْفِرْقَةُ وَالْوَحْدَانِيَّةُ

وَرِصُونُ عَوَامِلِ لَوْحَةٍ وَالْإِتِّلَافُ

لِلدُّكْتُورِ جَمْعَةَ عَلِيٍّ الْخَوَلِي
رئيس قسم الدعوة بالجامعة

يحرص الإسلام حرصاً بالغاً على أن تبقى أواصر الود والائتلاف بين المسلمين متينة العود، صلبة القوام، لا يكدرها غيم، ولا يوهنها كيد... ولذلك نفر من كل ما من شأنه أن يوتر الصدور أو يوهي رباط الاخوة .

فحرم الغيبة والنميمة :

لما هما من أثر سىء على علاقات الناس، قال عليه الصلاة والسلام «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»^(١) وجاء في خطبة الوداع «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»^(٢) .

والغيبة كما قال عليه الصلاة والسلام هي «ذكرك أخاك بما يكره، فإن كان فيه فقد أغتبه وإن لم يكن فيه فقد بهته»^(٣) ومعنى بهته افتريت عليه الكذب .

والنميمة هي نقل الكلام بين الناس على جهة الافساد، قال عليه الصلاة والسلام «لا يدخل الجنة نمام»^(٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً فإنني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»^(٥) .

ونفر من المراء والجدال :

لما يولده ذلك من الخصومة والاختلاف، ويورثه من الفرقة والتعدد، روى ابن ماجه عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»^(٦)

(٤) مسلم / ١٠٥ .

(٥) أبو داود ٤٨٦٠ والترمذي ٣٨٩٣ .

(٦) ابن ماجه ج١ / ١٩ .

(١) مسلم رقم ٢٥٦٤ ترتيب فزاد عند الباقي

(٢) البخاري ج١ - ١٤٥ / ١٦٧٩ .

(٣) مسلم ٢٥٨٩ .

ثم تلا هذه الآية ﴿بل هم قوم خصمون﴾ (الزخرف: ٥٨) وكذا رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

وكذا روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال «من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة»^(١) وقال أبو الدرداء «كفى بك إثما ألا تزال ممارياً» .

ونهى عن التباغض والتقاطع والتدابير :

وفى الحديث «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»^(٢) .

وفيه أيضاً «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال «انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا»^(٣) .

كما نهى عن احتقار المسلم ولمزه والسخرية به والتجسس عليه وسوء الظن به من غير ضرورة :

قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيـان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ (الحجرات: ١١) .

وقال عليه الصلاة والسلام «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»^(٤) وقال «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»^(٥) .

وأتى برجل إلى ابن مسعود فقيل له «فلان هذا تقطر حيته حمراً، فقال: إنا نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به»^(٦) .

(١) فى لفظ لابن ماجة ج١/ ٢٠ (من ترك الكذب وهو مبطل بنى له قصر فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها) ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها) .

(٢) البخارى ومسلم (انظر فتح البارى ج١٠/ ٤٠١) ومسلم ٢٥٥٩ .

(٣) مسلم ٢٥٦٥ .

(٤) مسلم ٢٥٦٤ .

(٥) البخارى ج١٠/ ٤٠٤) ومسلم ٢٥٦٣ .

(٦) أبو داود ٤٨٩٠ .

ونهى عن إظهار الشماتة بالمسلم :

عن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»^(١) والشماتة هي الفرحة ببلية الغير .

★ ★ ★ ★

وهكذا حاول الإسلام أن يبعد أتباعه عن كل ما من شأنه أن ينفر بعضهم من بعض ، أو يقطع صلوات بعضهم ببعض ، وكان رسول الله ﷺ شديد الكره للفرقة والاختلاف ، كثير التحذير من عواقبها السيئة ، ولذلك كان يحارب كل مظهر يشي بالفرقة والشذوذ ، أو يدل على التشتت والانقسام .

عن أبي ثعلبة . . كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية - ولعل ذلك كان لتفهيؤهم الظل وأماكن الشجر - فقال النبي ﷺ إن تفرقكم هذا من الشيطان . . فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال «لو بسط ثوب عليهم لعمهم»^(٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أما يخشى أحدكم - إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار»^(٣) .

وهكذا ترهب السنة من الخروج على صورة التجمع الإسلامى وتهدد من يشذ عن الجماعة ولو كان يؤدي عبادة . روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال «عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة» .

إن الحفاظ على وحدة الصف الإسلامى والابقاء على جماعته وأتمته قرينة عظيمة يجب أن تمحى من أجلها كل ما يشينها أو يخلخلها ، ولذلك فإن الإسلام في الوقت الذى نفر فيه من عوامل الفرقة والاختلاف ، بارك كل ما من شأنه أن يقوى الروابط ، ويشيع الألفة ، وكافأ على ذلك الأجر الجزيل .

فدعا إلى التآخي والتواد والتحابب في الله :

قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات : ١٠) وجاء في الحديث القدسي

(١) الترمذى ٢٥٠٨ .

(٢) أبو داود كتاب الجهاد ج ٣/٩٥ وأحمد ج ٤/١٩٣ .

(٣) متفق عليه عن أبي هريرة ، البخارى كتاب الأذان ومسلم كتاب الصلاة .

«المتحابون في جلالى هم مناير من نور يغبطهم النبيون والشهداء»^(١) وفي رواية للإمام مالك «وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في ، والمتزاورين في ، والمتبادلين في» .

وروى أبوداود بسنده عن عمر بن الخطاب قال ، قال رسول الله ﷺ «إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قالوا يارسول الله تخبرنا من هم ، قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية من سورة يونس ﴿ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾^(٢) .

ودعا إلى المصافحة والبشر عند اللقاء :

قال عليه الصلاة والسلام «إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا بصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة للبادى تسعون وللمصافح عشرة»^(٣) وذلك لأن المصافحة كالبيعة ، ومن شرط الإيمان الأخوة والولاية ، فإذا لقي المسلم أخاه فصافحه فكأنه بايعه على هاتين الخصلتين - الأخوة والولاية - ففي كل مرة يلقاه يجدد بيعته ، فيجدد الله ثوابها كما يجدد للحامد على النعمة ثوابا على شكرها ، فإذا فارقه بعد مصافحته لم يخل في أثناء ذلك من خلل فيجدد عند لقائه ، فالسابق إلى التجديد له من المائة تسعون لاهتمامه بشأن التمسك بالأخوة والولاية ، ومسارعتة إلى تجديد ما وهى منها ، وحثه على ذلك وحرصه عليه»^(٤) .

كما دعا إلى التعاون والتناصر ودعم أواصر الجماعة :

قال تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾^(٥) .

ومن توجيهات الرسول ﷺ في هذا الباب ما يلى :

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك عليه الصلاة والسلام بين أصابعه»^(٥) .

(٤) انظر فيض القدير ج١/٣٠١ .

(٥) البخارى كتاب الصلاة ومسلم كتاب البر .

(١) الترمذى وابن ماجة كتاب الزهد .

(٢) أبوداود ج٣/٧٩٩ ، كتاب البيوع .

(٣) البزار والطبرانى وحاكيم في التوادر (نظر فيض القدير ج١/٣٠١)

«المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله» (١).

«المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه» (٢).
«من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (٣).

«من يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (٤).
«من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا. ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا» (٥).
«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل يارسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، فكيف أنصره إن كان ظالماً؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره» (٦).

كما دعا الإسلام إلى التزاوير بين الإخوان في الله :

روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ أي تحفظها وتربيتها وتسعى في إصلاحها، قال: لا. غير أنى أحببته في الله. قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» (٧).

وروى الترمذى عن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ «من عاد مريضاً أوزار أخاه في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً».

النزاع والشقاق مدمر للأمة مذهب لريحتها :

من قوانين المجتمعات الإنسانية التي لا تتخلف أن «الاتحاد قوة والتفرق ضعف» فإذا التحدت الأمة عز جانبها، وقوى سلطانها، واحترمها العدو والصديق، أما إذا تفرقت وتوزعت طمع فيها من لا يدفع عن نفسه. . . ولذلك بين الله عز وجل للأمة الإسلامية أن عقبى الخلاف والنزاع قاتلة وذلك في قوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾

(١) مسلم عن النعمان بن بشير - كتاب البر .

(٢) أبو داود والترمذى .

(٣) أبو داود وكتاب الأدب .

(٤) مسلم عن أبي هريرة كتاب الذكر .

(٥) البخارى كتاب الجهاد ومسلم كتاب الامارة .

(٦) البخارى كتاب المظالم ومسلم كتاب البر .

(٧) أحمد ج ٢/ ٤٢٩٢ . ٤٠٨ . ٤٦٢ .

(الأنفال: ٤٦) فالنزاع والخلاف واتباع الأهواء لن يورث إلا المذلة والفشل ، وقد جنت الأمة من وراء ذلك المر والحنظل ، كما ينبه الله في آية أخرى أن افتراق الأمة وتمزقها شيعا متناحرة إنما هو كارثة اجتماعية مدمرة لا تقل في خطورتها عن خطورة الكوارث الكونية الأخرى التي تبدل الأرض غير الأرض ، وذلك في قوله تعالى ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ (الأنعام: ٦٥) فالآية كما ترى تقرر الوعيد بافتراق الأمة شيعاً وأحزاباً بالكوارث الكونية المدمرة كالخرق والغرق .

وهذا يدل على أن تمزق الأمة من الداخل بلاء خطير يقضى عليها ولا تجد من يرثي لها ولقد ساق المفسرون عند شرح هذه الأحاديث عدة أحاديث منها ما رواه الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربي لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنى أعطيت لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة ، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من أقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً» (١) .

وهذا الحديث يعطى - ضمن ما يعطى - أن الأمة الإسلامية لا تزال قوة غالبية مادامت محتفظة بمقومات الغلبة والقوامة من الاجتماع على شريعة الله والاعتصام بحبله المتين ، عندئذ لا تستطيع قوة فى الأرض مهما بلغت من العتو والفجور أن تنال منها شيئاً ، ولو اجتمعت عليها من كل جانب . . . ومن هذا نفهم أن أخطر بلاء يصيب الأمة هو تمزيق وحدتها من الداخل . . . وأن الفرقة تصنع مالا يصنعه الأعداء . . . ولا شك أن الفرقة والاختلاف نتيجة حتمية لبعث الناس عن التطبيق النظرى والعملى لشرع الله ، عندئذ تلعب بهم الأهواء وتظهر القوميات والعصبيات وكل ما يجر الشقاق والبلاء ، ولذلك وجهنا القرآن الكريم إلى العصمة من هذا كله فقال ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (آل عمران: ١٠٣) .

(١) مسلم كتاب الفتن .

فالنجاة مما تعانیه الأمة من عواقب الفرقة والاختلاف تكمن في الاعتصام بحبل الله والتجمع حول عقيدته ونهجه ودينه، وليس على أى تصور آخر، أو تحت راية أخرى. ذكر ابن سحوق وغيره أن هذه الآية - والآيات قبلها - نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلاً من اليهود يدعى شاس بن قيس مر بملأ من الأوس والخزرج، فسأه ما هم عليه من الانساق والألفة، فبعث رجلاً معه، وأمره أن يجلس بينهم وأن يذكرهم ما كان بينهم من حروب. . . ففعل، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتناوروا، ونادوا بشعارهم، وطلبوا أسلحتهم، وتوعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضى الله عنهم. . . وكذلك بين الله لهم فاهتدوا، وكذلك يبين الله لنا ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ .

مؤتمر على الطريق :

ولقد فطن المسئولون في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إلى الخطر الذى يتهدد المسلمين من جراء فرقتهم واختلافهم. . . فدعوا إلى المؤتمر العالمى الثانى لتوجيه الدعوة واعداد الدعوة بناء على الموافقة السامية على انعقاده في شهر ربيع الأول من هذا العام سنة ١٤٠٤ هـ ، وإنها لبادرة طيبة ويقظة مباركة من الجامعة أن تجعل الموضوع الرئيسى للمؤتمر «سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامى ووحدة المسلمين» وذلك بعد أن تردى بالمسلمين الحال إلى درجة طمع فيهم عدوهم وتجراً عليهم أراذل خلق الله وأجبنهم من الصهاينة الذين وصفهم الله بقوله ﴿لا يقاتلوكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسبهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ (الحشر: ١٤) . أجل «إنها ليقظة جليلة موفقة - نسأل الله أن يباركها ويكتب لها العون والنجاح - جاءت في وقت اشتدت فيه حاجة المسلمين إلى التضامن والوحدة، ونبذ الخلافات والأهواء، والالتقاء على كلمة سواء» .

ومن يمن هذا المؤتمر أن ينعقد في طيبة الطيبة، مركز الهجرة، وعاصمة الدولة الإسلامية الأولى. . . فمن هذا المكان الطاهر المقدس جمع النبي ﷺ القبائل المتنافرة في حزمة متألفة وقضى على الأطماع الشخصية والرايات العنصرية ووجد الجميع تحت راية التوحيد فأصبحوا بنعمة الله إخواناً متحابين .

واليوم يجيء علماء الأمة من كل أصقاع الأرض إلى دار التوحيد والوحدة يحدوهم
الأمل في أن يرسموا للأمة طريق الخلاص من واقعها الأليم . .

فاللهم إن هذه الجموع التي قطعت الفياض والقفار التقت قلوبها على محبتك، ونصرة
دينك وبإعلاء كلمتك، فأيد اللهم يارب جهودها، وامنحها عونك ونورك، ورضاك
وتوفيقك، وكلل عملها ومساعدتها بالنجاح والفلاح، إنك يامولانا نعم المولى ونعم النصير .

مُرْتَكزَاتُ التَّضَامُنِ وَالْوَحْدَةِ

للسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ

المدرِّسِ بالمسجدِ النبويِّ والقاضيِّ بمحكمةِ المدينةِ المنورةِ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد :

ان الحديث عن التضامن الإسلامي والوحدة الإسلامية هو في حقيقته ومعناه حديث عن الإسلام، وعن الأمة الإسلامية .

إذ أن التضامن كما يقال على وزن تفاعل ولا يكون إلا بين أطراف متعددة تعمل متضامنة على تحصيل ما يضمن لها تحقيق سعادتها ويكفل لها متطلبات حياتها في عزة وكرامة . وحرية إرادة، واقامة مجتمع فاضل تسوده العدالة وتظله الحرية ويعمه الأمن والرخاء .

وعليه فإن التضامن الإسلامي بهذا المعنى هو بعينه الدعوة إلى الإسلام بكل معانيه وتعاليمه ومناهجه .

بل ان مفهوم التضامن هو نتيجة حتمية لدعوة الرسل جميعا الذين دعوا أممهم لعبادة الله وحده والالتفاف حول ما دعوههم إليه، والالتزام بما جاء وهم به من عند الله كما قال ﷺ نحن معاشر الأنبياء أبناء علات ديننا واحد . وقوله سبحانه في دعوة إبراهيم - عليه السلام - وإسماعيل في رفع بناء البيت : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله اباك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا واحدا ونحن له مسلمون ﴾ .

وبعد محاجة اليهود والنصارى وإبطالها أمر سبحانه المؤمنين أن يعلنوها صريحة :
﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط
وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له
مسلمون﴾ .

فالدعوة إلى التضامن الإسلامى والوحدة الإسلامية دعوة إلى الإسلام الذى دعت
إليه جميع الرسل فى جميع الأمم .

تعدد الدعوات المعاصرة :

والدعوة إلى التضامن الإسلامى ووحدة العالم الإسلامى قد جاءت فى هذا العصر
الذى كثرت فيه الدعوات وتميزت فيه التكتلات ، واختلفت فيه مناهج الحياة وكل حزب بما
لديه فرحون . وقد غشيت العالم الإسلامى من هذا كله سحب معتمة حجبت عن
الكثيرين أضواء الحقيقة . وغزت عقول المسلمين حملات فكرية مشككة أوقعت العوام فى
حيرة وتركتهم فى متاهة . تشتت فيها الصفوف وتفرقت فيها الكلمة وضاعت فيها الشخصية
الإسلامية السليمة فطمع فيهم العدو وعجز عن مساعدتهم الصديق .

فاغتصبت بلادهم ، ونهبت ثرواتهم ، ودنست مقدساتهم . وعجز العالم كله ماثلاً فى
المنظمة العالمية (هيئة الأمم) أن يفعل لنا شيئاً مهماً كان الحق واضحاً والظلم فادحاً .
وأصبحنا على كثرة عددنا نكاد لا يعبأ بنا فتخلفنا عن مكانتنا المرموقة وتخلينا عن مواقع
قيادتنا الحكيمة .

بل أصبحنا تبعاً لغيرنا وبدون اختيارنا . الأمر الذى جعل المخلصين من ولاية أمورنا
يبحثون عن الشخصية الإسلامية الضائعة وعن المنهج العملى الصالح ويتطلبون أقوم السبل
التي تعيدنا إلى ما كنا عليه وترد لنا حقوقنا وتخلصنا من تبعيتنا لغيرنا ونصبح حيث وصفنا الله
تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ .

فأيقن أولئك المخلصون أن لن يصلح آخر هذه الأمة إلا الذى أصلح أولها ألا وهو
العودة إلى الإسلام وليست تلك الدعوات الزائفة ولا المفلسفة فدعوا إلى التضامن
الإسلامى والوحدة الإسلامية .

وكان من فضل الله وتوفيقه أن يكون انطلاقتها من مهبط الوحي ومنطلق الرسالة
يقودها خادم الحرمين الشريفين وتبناها رابطة العالم الإسلامى برحاب بيت الله تعالى .

ثم يأتي هذا المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة فينعقد وللدورة الثانية في مدينة رسول الله ﷺ التي انطلق منها الغزاة والدعاة على السواء .

وموضوعه الآن : سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين وقد حددت أهداف هذا المؤتمر في أهداف نبيلة بناء واضحة وافية وهي كالآتي :

أهداف المؤتمر :

جاءت أهدافه محددة في خمس نقاط وهي :-

١ - تبصير الأمة بالطريق الذي رسمته الدعوة لتحقيق التضامن والوحدة لتعود كما كانت وكما يريد لها دينها أن تكون ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ . ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة﴾ .

٢ - تعميق الانتماء والولاء للأمة الواحدة عقيدة وسلوكا، والتجاوب مع مقوماتها من الأخوة والولاية، والتضامن، والاعتزاز بما اختصاصها الله به من الخيرية ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ . ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ .

٣ - إيجاد رأى عام إسلامي قوى يعي عن إيمان وبصيرة على هدى الكتاب والسنة حقيقة التضامن والوحدة، ويربط حركته بهما في كل جوانب الحياة واتجاهاتها .

٤ - تحكيم شريعة الإسلام بين جميع المسلمين والتسليم بها حكم به .

٥ - أن يتحقق للأمة الإسلامية ما تسعى إليه من التقدم والقوة، وأن يراها العالم في مكانتها التي يجب أن تكون فيها لكي تعطى ذلك المكان ما هو مفقود إليه لتصحيح أوضاعه وإصلاح حياته .

وهذه الأهداف كلها تلتقى مع العمل الجاد الأكيد الشامل لكل الأفراد وعلى مختلف المستويات للانضواء تحت راية الدعوة إلى التضامن الإسلامي وتطبيقه عمليا على واقع حياتنا وفي منهج سلوكنا .

وقد وضعت عناوين لمواضيع مختلفة كفيلة بتحقيق هذه الأهداف بلغ عددها الثلاثين عنوانا . . .

ومنها ومن أهمها الموضوع الثاني بعنوان مرتكزات التضامن والوحدة وبما أن المرتكزات في كل شيء وهى جمع ركيزة ما تكون بمثابة القواعد والأسس التى يقوم عليها وظهرت لى أهمية العناية بهذا الموضوع أحببت الكتابة فيه آملا التوفيق والسداد ومن الله تعالى العون والتأييد . . .

تمهيد بين يدي الموضوع :

ان المتأمل لتاريخ الدعوات التى ظهرت فى المجتمع الإنسانى أيا كان شعارها وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط وبالأخص فى دول المنطقة فان لكل دعوة مرتكزات تركز عليها، ومنطلقات تنطلق منها . وقد تزيف أو تفلسف بما يوهم العامة ويغريهم بها .

من ذلك الدعوة إلى القومية فإنها تركز على الجنس والعنصر ولا تبالى بالمبادئ ولا بالعقائد، أشبه ما تكون بدعوى الجاهلية من التعصب للقبيلة ويكفى لفساد هذه الدعوة أنها كانت ولا تزال السبب فى تمزيق الأمم التى تظهر فيها وأول خطر منها على العالم ضياع الدولة العثمانية إذ عمل اليهود على إثارة الأتراك ضد العرب وحرصوهم على اختصاص تركيا بالأتراك، فكانت ثورة (أنا ترك) وضياع الخلافة العثمانية وتمزيق العالم الإسلامى دويلات .

وفى أوروبا القومية الجرمانية وغير ذلك .

وآخر الدويلات التى جاءت بها دعوة القومية تقسيم قبرص بين الجنسية التركية والجنسية اليونانية .

ومما يندى له الجبين ما سمعته فى نجيريا فى رحلة داخلية ضمن بعثة الجامعة الإسلامية مع الزعيم الراحل أحمد بلو أنه أثناء الحرب الفلسطينية جهزت سفينة حربية لتتجه إلى فلسطين لانقاذ القدس فسمع المسؤلون التنادى بالقومية العربية وأن على العرب حماية القدس وعليهم مسؤلويتها، فقال المسؤلون هناك إذا كانت القضية الفلسطينية قضية عربية وليست إسلامية فلسنا بعرب وأمروا السفينة بالعودة .

ومن ذلك الدعوة إلى الوطنية . وكان من سوء نتائجها على الشعب البريطانى صاحب المدنية والحضارة حينما طرد عيذى أمين جميع الرعايا البريطانيين من بلده امتنع الشعب البريطانى فى بريطانيا أن يقبلهم بدعوى أنهم استوطنوا غير وطنهم . إلى غير ذلك مما شهده العالم أخيرا .

وكل تلك الدعوات مع خطورتها فإنها محدودة الأفق محصورة المواطن مهزوزة المرتكزات لم تلبث أن تنهار فتنهدم بأصحابها .

وبعض تلك الدعوات قد تأبأها فطر البشر فتفرض عليهم بقوة السلطة كالاشرافية والتمييز العنصرى، فتسلب الفرد أخص خصائص الإنسانية وهى حرية الاختيار، وتعطيل الإرادة وأهدار الكرامة .

أما دعوة التضامن الإسلامى والوحدة الإسلامية :

فهى دعوة تتفق تماما مع فطرة الإنسان التى فطره الله عليها وتسائر طبيعته كل المسيرة وتتجاوب مع جبلته إلى أعماق نفسه .

ولهذا فلقد لمست شفاف القلوب واستجابات معها العواطف . فبرزت بين تلك الدعوات العديدة وكتب لها البقاء وقوبلت بقبول حسن لأنها ارتكزت على مرتكزات أصيلة وعميقة وعملية واقعية لم تخرج عن طبيعة الإنسان ولم تغاير عقيدته الإسلامية ولم تصطدم مع واقع حياته التى يحياها فى هذا العالم . وهذا هو الاطار الكلى للفرد المسلم وللمجتمع الإسلامى .

وتتلخص تلك المرتكزات فى نظرى فى ثلاثة أمور :-

(١) سنة الحياة وتكوين الإنسان .

(٢) منهج التشريع الإسلامى جملة وتفصيلا .

(٣) الواقع السياسى والوضع الاجتماعى الذى نعيشه مع العالم حولنا . . .

ولكل مرتكز من هذه المرتكزات معطياتها، وفعاليتها لتأملها كل عاقل وكل مسلم لما حثت عنها ولبادر إلى الانتفاء إليها ولعرف أنها هى السبيل الوحيد التى تحقق له كل ما يتطلع إليه من استرجاع حقوقه المسلوبة والحاقه بأجداد اسلافه .

وسنحاول بعون الله تعالى وتوفيقه بيان كل مرتكز من هذه الثلاثة ومدى عطائه لدعوة التضامن والوحدة . . .

وانى لأمل أن أكون بهذا العمل المحدود وجهد الطاقة حسب ما أجتزؤه من الوقت وأزاحم به من الأعمال قد أسهمت ولو بأيسر اليسير بين الثلاثين موضوعا ومن بين العديدين من أفاضل الكتاب الذين تمكنهم ظروفهم من الاستيفاء والاستقصاء وبالله التوفيق . . .

المرتكز الأول : تكوين الإنسان وسنن الحياة

قام تكوين الإنسان على أن يكون تعاونيا متضامنا مع غيره لا انعزاليا منفردا بنفسه .
ولعل معنى إنسان من اليناس .

ففى تاريخ هذا الإنسان لم يستطع الإنسان الأول وهو أبو البشر آدم عليه السلام أن يعيش وحده ولو كان فى جنة الفردوس . فخلق الله له من نفسه زوجة يسكن إليها ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ . (الأعراف : ١٨٩) .

قال ابن كثير فى تفسيره (ج ١ ص ٧٩) ويقال ان خلق حواء كان بعد دخوله الجنة كما قال السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة : أخرج ابليس من الجنة وأسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحيشا ليس له زوج يسكن إليه فنام نومة فأستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها من أنت ؟ .

قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ . قالت : لتسكن لى . . .
وذلك مايشعر بأن تكوين الإنسان أساسا تكوينيا جماعيا تعاونيا .

ثم بعد هبوطه إلى الأرض كانت حاجته أشد إلى من يعاونه فيها فبدأ بالانجاب وتزواج الأولاد وإيجاد الأجيال والحفاظ على بقاء النوع . ومن ثم تقاسم أعباء الحياة .

ثم كانت الجماعة البشرية أمام العوامل الكونية التى اضطرتها اضطارا على التضامن والتعاون والاتحاد لتواجه مجتمعة تلك العوامل التى لا يستطيع الفرد أن يواجهها كحماية أنفسهم من المخلوقات المتوحشة وكتذليل الصعاب فى الأرض لاستنبات نباتها ، واستحصاد زرعها ، واستخراج كنوزها ، وتصنيع موادها مما يحتاجونه فى حياتهم على هذه الأرض .

ثم بعد انتشار الجماعة وتكاثر الجماعات جاءت التنظيمات الجماعية التى تميزت فيها التخصصات الميدانية وتخصص لها بعض أفراد الجماعة .

١ - فتميز مثلا مجال الاقتصاد من مآكل وملبس ومسكن وتخصص له رجال يعملون وينتجون ما يوفر للجماعة حاجتها الاقتصادية .

٢ - وتميز مجال الدفاع وحفظ الأمن ، وتخصص له عسكريون ومدافعون .

٣ - وتميز مجال الطب والعلاج وتخصص له أطباء ومعالجون .

٤ - وتميز مجال التعليم وغير ذلك من المجالات بقدر ما تستجد حاجة الأمة .

٥ - ومن وراء ذلك كله السياسة والحكم والحكام والسياسيون مما هو في حكم الضرورة للجماعات البشرية ولا يمكن أن تقوم كلها ولا بعضها إلا بتعاون الأفراد بعضهم البعض بل ان كل تلك المجالات ذات الاختصاصات لا يمكن أن تقوم واحدة منها منفردة بدون معاونة مع الآخرين .

وانا للنمس ونشاهد ذلك في عالمنا المعاصر في جميع مؤسساته وفي مجموعها فيما بينها . ففى جميعها نجد أن كل مؤسسة تشتمل رئيسا ومرؤسين وجميعهم من القاعدة إلى القمة كل في موقعه يؤدي واجبه . ولا غنى لرئيس عن مرؤس .

وكذلك فيما بين تلك المؤسسات كل منها تؤدي دورها في خدمة المجتمع مما لا تؤديه غيرها . وكل منها خادم ومخدوم في دائرة التعاون والتضامن كما قيل :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وان لم يشعروا خدم
فسنة الحياة تلزم الأحياء أفرادا وجماعات بالتضامن معا ، وقد امتد فشمّل هذا المرتكز الطبيعي جميع دول العالم كله اليوم طوعا أو كرها سواء كان في السلم أو في الحرب .

عن طريق تبادل منافعهم فيما بينهم فعند هذه سلع ونتاج ولتلك حاجة ماسة إليها وقد قامت السوق الأوروبية بين دول أوروبا بتنظيم هذه العلاقة بسبب تفاوت الثروات الطبيعية والكفاءات البشرية . فالسلعة التي تفيض عند هذه تحتاجها تلك وكذلك العكس وهلم جرا .

ولا يمكن لأمة اليوم أن تعيش في معزل عن العالم حيث ارتبطت كلها بمصالح مشتركة فهي تسير في نظام تضامن الزامى تمليه ظروف الحياة وتطورات العالم وعلى سبيل المثال ترابط العالم في تسيير الخطوط الجوية والخدمات البريدية ، والأعمال المصرفية ، والاصدارات المالية ، والتمثيل الدبلوماسى وغير ذلك مما له الصبغة العالمية .

ولا يبعد من يقول ان هذه السنة الكونية التعاونية ليست قاصرة على الإنسان بل هي أيضا موجودة في عالم الحيوانات والحشرات ولا أدل على ذلك من عالم النحل والنمل .

وعلى هذا فإن هذا المرتكز التضامنى فطرى كونى وهو الزامى جبرى ليس للإنسان فيه اختيار ولا له عنه استغناء .

فإذا كان هذا المرتكز الفطرى يقع فى إطار إسلامى ، وكانت دعوة التضامن من هذا المنطلق دعوة فطرية تسائر الفطرة وتساندها طبيعة الحياة .

وإذا كان لابد للإنسان أن يتضامن مع غيره ولكل جماعة أن تتعاون مع غيرها على أى مبدأ كان سواء كان عنصريا بالجنس أو وطنيا بالموطن أو اقتصاديا بالانتاج أو عسكريا بالأحلاف فلأن يكون باسم ومنهج الإسلام من باب أولى حيث أنه منهج التعاون على البر والتقوى . وأن الخلق كلهم عباد لله والأرض كلها له سبحانه . . .

المرتكز الثانى : منهج التشريع الإسلامى :

ولكى نحدد معالم هذا المنهج نعود إلى مدلول التضامن والغرض منه وهو أن يجد الإنسان فردا كان أو جماعة ما يضمن له حياة أفضل يتوفر له فيها ما ينقصه ، ويسلم فيها مما يضره ومعلوم أن هذين المطلبين جلب النفع ودفع الضررهما مطلب كل عاقل كما قيل :

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما يراد الفتى كيما يضر وينفع
أى يضر عدوه أو ينفع صديقه .

ومنهج الإسلام شامل لهذين المطلبين ومعهما الحث على مكارم الأخلاق وهو مطلب إنسانى كما قال أكثم بن صيفى حين بلغه أمر ظهور دعوة الإسلام فأرسل ولده ليأتيه بخبر محمد ﷺ وما يدعو إليه ، فرجع إليه وقال له : أنه يأمر بصلة الرحم وصدق الكلم وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وينهى عن كذا وكذا . . .

فقال أكثم : إنه والله يابنى إن لم يكن ديننا فهو من مكارم الأخلاق .

وقد شرع الإسلام عقود المعاملات لجلب النفع وتبادل المصالح لتوفير حاجيات الإنسان . من مطعم وملبس ومسكن فى صناعة وزراعة وتجارة .

كما شرع لدفع الضرر تحريم كل ضار بجواهر الحياة الخمسة - الدين - النفس - العقل - النسب والعرض . والمال . وجعل فيها حدودا رادعة وزاجرة .

كما أرشد ووجه لمكارم الأخلاق فى الروابط الاجتماعية ابتداء من حقوق الزوجين وبر الوالدين . وحسن المعاشرة من العفو عن المسيء والاحسان والايثار على النفس وغير ذلك ، وكذلك روابط الجوار وصلة الأرحام وكفالة الأيتام ومساندة الضعفاء . وعموم التعاون على البر والتقوى .

وتظهر صور التضامن والوحدة في منهج الإسلام مفصلة ابتداء من العقيدة السليمة ثم العبادات التي هي الغاية من خلق الثقلين الجن والإنس كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ . فجميع المسلمين يلتقون على عبادة الله تعالى وحده وبالوجه الذي يرضاه .

وهذا المنهج قد ربط بين جميع الأمم الإسلامية كما قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ . فهي وحدة دينية تربط الحق بالخلق في اطار التشريع الإسلامي .

وكما تقدم قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

وعقيدة التوحيد هي المرتكز والتي يجتمع عليها العرب والعجم ويستوى فيها الغنى والفقير والكبير والصغير ويلتقى عليها من بالشرق بمن بالمغرب . وهي العقيدة التي تحرر الإنسان من استعباد الإنسان ومن طغيان المادة وعوامل الطغيان لأن الفرد باحساسه بأن جميع الخلائق عباد لله ملتزمون بأوامر الله .

وفي العبادات تتجلى هذه الصور عمليا بصور ملموسة وذلك كالآتي :-

(١) ففي الصلاة :

- أ - وحدة التوقيت مرتبطة بحركة كونية من طلوع الشمس إلى غروبها .
 - ب - واستجابة النداء حي على الصلاة حي على الفلاح الله أكبر : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ .
﴿ إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ﴾ .
 - ج - وحدة الوجهة إلى مركز العالم كله إلى البيت الحرام : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ .
- تبدأ هذه الوحدة في استدارة حول الكعبة ثم تتسع حتى تشمل أقطار العالم شرقا وغربا شمالا وجنوبا .

(٢) وفي الصيام :

- أ - وحدة الزمن في الصوم بشهر واحد للجميع : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ .

ب - وحدة الشعور بالتعاطف والتراحم - يبدأ بالامساك وينتهي بالاطعام وأخراج الفطرة طعمة للمساكين وطهرة للصائمين .

(٣) - أما الزكاة :

أ - فهي تضامن الزامى يربط مختلف الطبقات بعضها ببعض ويقارب بين من باعدت بينهم المادة ويجمع بين من فرق بينهم الغنى والفقير حيث يلتزم الغنى باخراج زكاة ماله : ﴿ وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ . ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم ﴾ .

فالزكاة طهرة للنفوس من شح الأغنياء وحسد الفقراء ، وزكاة للمال فلا تنقص وتصون المجتمع من حرب الطبقات وغزو الدعايات .

أما الحج وهو الركن الأعظم :

فهو عين التضامن ومظهر الوحدة في أظهر الصور وأقوى المعاني يفد الحجيج من كل فج عميق ملبين الداعي لحج بيت الله العتيق . مجددين العهد القديم مستجيبين نداء إبراهيم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - يخرج الحاج من أهله ودياره مفارقاً زوجته وصغاره حتى يأتى الميقات فيتجرد من ثيابه متخلياً عن مظاهر دنياه . مُتدثرًا ردائه وازاره متهيأً لحال اخراه .

هناك يعود الحجيج على مختلف ألوانهم وتباعد أقطارهم وتعدد لغاتهم يعودون إلى الفطرة التي فطرهم الله عليها . وتعود إليهم فطرتهم التي ابتعدوا عنها فطرة الوحدة والإخاء والمساواة . فيستوى غنيهم وفقيرهم وأميرهم ومأمورهم . ويستوى عربيهم وعجميهم . وقاصيهم ودانيهم وحدة في الشكل والصورة ووحدة في الهدف والغاية يهتفون لبيك اللهم لبيك .

ب - وفي أرض عرفات في ذلك المشهد الفريد في تاريخ البشرية حاضرها وماضيها حواضرها وبواديها . مشهد يذكر بالماضى في عالم الذرة ، حين أخرج الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ . مشهد ينبههم لمستقبلهم يوم يجمع الله الخلائق ومحشرهم حفاة عراة . مشهد تذوب فيه فوارق الجنس والعنصر واللون وتتجلى فيه وحدة الأصل (كلكم لآدم وآدم من تراب) .

مشهد تفتح له حدود الأقاليم والأقطار والدول : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ .

مشهد تلتقى فيه الأشباح وتتعانق فيه الأرواح ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ .
ج - وفي منى يلتقى الجميع على موائد الهدى والاحلاص فيأكلون ويطعمون فكلوا
منها وأطعموا القانع والمعتر .

أمانة الدعوة : ومن هناك يتحملون أمانة الدعوة والبلاغ عن رسول الله ﷺ حيث
حمأها أصحابه لمن بعدهم : «بلغوا عنى ولو آية» . «رب مبلغ أوعى من سامع» . فيرجع
الحجاج بمثابة السفراء إلى بلادهم الدعوة إلى ربهم وقد تعارف كل منهم على الكثيرين من
أخوانهم ووثقوا عرى الأخوة والولاء ، قد ينتج عنها زيارة وصلة ونحو ذلك .

الاجتماعيات :

وكما ظهر مدى التضامن والوحدة في العبادات يظهر كذلك وبقوة في مجال الاجتماعيات
لأن الإسلام أقام المجتمع الإسلامي على قواعد مثالية عالية ترتفع عن مقاييس المادة
والمعاوضة إلى حد البذل والايثار .

أ - ففي أصل تكوين المجتمع توجد المساواة في المبدأ : ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من
ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ . ففيها وحدة الإنسانية جمعاء .

ب - وفي تكوين الأسرة التي هي لبنة بناء المجتمع . أقامها على روابط المودة والرحمة :
﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ . وجعل معادلة بين الزوجين غاية في تضامنها : ﴿ولهن مثل
الذي عليهن﴾ .

فإذا جاء الأولاد : قابل بين عاطفة الأبوة بإيجاب بر البنوة وجعلها وفاء بحق قد
استوفاه الأولاد من قبل ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ . ثم أظهر مدى حق الوالدين
حين قرنه بحقه سبحانه في قضاء مبرم . ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين
احسانا﴾ . ثم ان الولد سيستوفي مثل هذا الحق من أولاده ان هو أداه لأبويه . وهكذا
دواليك .

ج - ثم هو يراعى هذا الصنف من الناس الذي حرم رعاية الأبوين وذاق بؤس
القطيعة وذل العزلة ألا وهو اليتيم فكفله بالرعاية وأحاطه بالحنان وجعل ﷺ لكافله أعلى
المنازل في الجنة .

وهذا من أقوى دلائل التضامن الإسلامي في المجتمع الإنساني . لأنه يطيب نفس
الأب على ولده إذا حضرته الوفاة بأن المجتمع كافل له ولده .

ثم ان هذا الولد اليتيم المكفول اليوم سيصبح غدا رجلا ويكفل يتيماً غيره .

د - ثم يفسح المجال خارج نطاق الأسرة فيأتي للجوار فيقول ﷺ: «الجار أحق بصقبه». «ولا يزال جبريل - عليه السلام - يوصيه بالجار حتى ظن ﷺ أنه سيورثه» .

هـ - ثم يربط العالم كله برباط النصح والاخلاص ومحبة الخير «الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله . قال : لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» .

و - فتكون النتيجة ترابط العالم الإسلامي كالبنايا الحصين «مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد» . «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا» فأى تضامن بعد هذا وأى وحدة بعد هذا وأى وحدة تضاهى ذلك .

ومن هنا حمل الإسلام جماعة المسلمين مسؤلية الحفاظ على تلك الوحدة وعلى هذا التضامن فى السلم وفى الحرب أفراد أو جماعات .

(١) ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفتىء إلى أمر الله﴾ . الآية . . .

(٢) «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيوان» .

«كلكم راع وكل مسئول عن رعيته» .

﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ .

وفرض حقوقا عامة على كل مسلم لأخيه المسلم : «حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه . وإذا دعاك فأجبه . وإذا عطس فحمد فشمته . وإذا استنصحك فانصح له . وإذا مرض فعده . وإذا مات فشيعة» .

وتلك حقوق متبادلة بين الأفراد يتقاضونها فيما بينهم وقد استوعبت كامل وضع الإنسان من أول لقائه بالسلام عليه إلى آخر وداعه بالتشجيع إلى مثواه الأخير .

ربط الإيوان بالمحبة والمودة والعاطفة والرحمة بينهم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

وحرم الجنة عليهم حتى تسودهم المحبة : «لن تدخلوا الجنة حتى تحابوا» .

فالدعاة إذا ما ركزوا دعوتهم إلى التضامن الإسلامى والوحدة الإسلامية على منهج الإسلام كان تركيزا قويا ينطلق من عواطف وشعور كل مسلم حيث يحقق للجميع أفرادا وجماعات كل ما يسمو إليه دون أن تعترضه العقبات ولا تكدره الشبهات .

وهناك مجال الحكم في سلطاته الثلاث :

السلطة التشريعية . والسلطة القضائية . والسلطة التنفيذية ، وهذه السلطات الثلاث وان كانت بصورها موجودة في كل دولة إلا أنها في الإسلام تتميز بصيغة خاصة تضىف عليها بهاء الرفق ورونق الاحسان .

فالسطة التشريعية في كل أمة هيئة متخصصة تنظر في ظروف وملابسات حياة الأمة فتشروع لها ما تراه صالحا .

ومهما يكن من شأن هذه الهيئة وتخصصاتها فهو عمل بشري جائز عليه الخطأ والصواب وهو ما يشهده العالم من طروء التغيير والتبديل فقد يكون ما رآه اليوم غير صالح في الغد .

وان ما يطرأ على تلك الهيئات من سياسة داخلية واتجاهات فكرية قد تؤثر عليها إلى غير ذلك .

بينما التشريع في منهج الحكم الإسلامى مرجعه لله تعالى ولرسوله ﷺ والمختصون للتشريع بعد رسول الله ﷺ هم العلماء ورثة الأنبياء فإذا ما لزم نظروا تشريع لمستجد في الحياة فإنهم لن يخرجوا عن المنهج الإسلامى في حدود ما أنزل الله من كتابه وسنة رسوله ﷺ .

وقد نوه القرآن الكريم إلى أصل هذه السلطات وإلى تميزها عما سواها . في قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز﴾ فأرسال الرسل بالبينات من ربهم ، وإنزال الكتاب لتشريع مناهجهم والميزان للعدالة . . .

والسلطة القضائية ، ليقوم الناس بالقسط إذ القضاء تطبيق للمنهج التشريعى .

وأنزل الحديد اشارة إلى السلطة التنفيذية وأداة لنصرة دين الله فيكون المجتمع الإسلامى تحت سلطة حكم عادلة قوية حكيمة وأساس الحكم في البشر إنما هو الله خالقهم لا سواه ، وهو أعلم بمصالحهم وما يصلحهم . فهو كالعبادة سواء في قوله تعالى : ﴿ان الحكم إلا لله أمر الا تعبدوا إلا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ . (يوسف : ٤٠)

ومن هذا المنطلق في الحكم كان الظلم في غيره محققا في أى حكم سوى حكم الله : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ .

وفي مقابل ذلك لا يتم إيمان العبد حتى ينزل على حكم الله راضيا مسلما تسليما : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ . (النساء : ٥٥) .

ومن هذا المنطلق فان ارتكاز دعوة التضامن إلى منهج التشريع الإسلامي وفي ظل الحكم بما أنزل الله تكون دعوة ممتدا سببها بالله لا تلاقيها صعوبات ولا تعطلها عقبات وهي دعوة مضمون لها النصر من عند الله : ﴿ان تنصروا الله ينصركم . ويثبت أقدامكم﴾ . مضمونة نتيجتها للأمة سعادة في الدنيا وفلاحا في الآخرة .

المرتکز الثالث : واقع الحياة الذي نعيشه والتيارات السياسية التي حولنا :

من الواضح بين حالة العالم السياسي والسياسة التي فرضت على الجميع وألزمت العالم كله العيش ضمن تكتلات سياسية ، وأحلاف عسكرية واتفاقيات اقتصادية . وليس بوسع أى دولة أن تعيش وحدها في معزل عن هذا العالم بعيدة عن تلك التكتلات لقوة ترابط الدول بعضها مع بعض شاءت أم أبت .

ولم تعد السياسة مجرد تنظيم لعلاقات الدولة في الخارج بل أصبح الداخل مرتبطا بالخارج في السلم وفي الحرب عن طريق الانتاج والتسويق . فهي منافع مشتركة ومصالح متبادلة . توثقت باتفاقيات عالمية أو ثقافية وأحلاف عسكرية . وأهم ذلك كله الأحلاف العسكرية لانها لحماية الدولة بكل مرافقها والداعى لكل ذلك من اتفاقيات وأحلاف هو شعور تلك الدول بالضعف وبالحاجة إلى تضامنها بعضها مع بعض وذلك منذ الحرب العالمية الأخيرة حيث كانت عصبة الأمم لدول أوروبا ضد هتلر والنازية لعجز تلك الدول منفردة عن مقاومتها .

وبعد عصبة الأمم جاءت هيئة الأمم وضمت دول العالم على امل الحياة في أمن وطمأنينة . ولكن هيئة الأمم لم تحقق للعالم ما أمله فيها حيث أقيمت في بادىء أمرها على التخصيص والامتياز فمنحت الدول الكبرى حق النقض (الفيتو) .

ومن العجب أن يمنح هذا الحق للدول القوية التي تستطيع أن تظلم وأن تتعدى مما يصعب معه استخلاص حق المظلوم أو استرجاع حق مغصوب .

وكان الأولى لو أجز ذلك أن يعطى للدول الضعيفة لترد به عن نفسها .

وأن أحداث التاريخ وخاصة في الدول النامية لتشهد بذلك .

قامت جامعة الدول العربية وكان قيامها مظهرا من مظاهر تضامن دول المنطقة مهما قيل عن أسباب قيامها .

وكل تلك الهيئات والمؤسسات العالمية لم تستطع استتباب الأمن ولا منح الطمأنينة للعالم فنشأت كتكتلات وأحلاف عسكرية انطلقت في سياق التسليح النووي بما يهدد العالم كله بالدمار. وذلك في حلفى الناتو وحلف شمال الأطلسي .

وانقسم العالم إلى معسكرين اقتصاديين شيوعى فى الشرق ورأسمالى فى الغرب وما بقى من العالم يدعى بدول عدم الانحياز .

ولكن عدم انحياز له لم يعزله عن غيره ولم يبعده عن الخطر ومن ثم أوجد لنفسه ارتباطات فيما بينه وعقدت له عدة مؤتمرات لدراسة وضعه ووضع التدابير لصالحه .

وأخر ما يكون ما حدث فى المنطقة من قيام مجلس تعاون دول الخليج دفع قيامه واقع العالم السياسى وحاجة دول المنطقة إلى التعاون الأخرى وقد شمل عدة مجالات عامة اقتصاديا وسياسيا وأمنيا وثقافيا واعلاميا . فهو أصدق صورة لما نرجوه للعالم الإسلامى من التضامن والوحدة .

ومع هذا كله فان هذه المؤسسات الدولية على اختلاف مناهجها وأشكالها فهى اما اقليمية محدودة واما عالمية غير عادلة .

أما التضامن الإسلامى فليس هو بالتضامن المادى النفعى وإنما هو تضامن أخوى عاطفى إنسانى دينى دعا إليه الإسلام والتزم المسلمون بمضمونه ولاغنى لهم عنه .

«المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يظلمه ولا يسلمه ، المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

وتحت هذا الشعار واستجابة لهذا النداء : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ يدعوا دعاة التضامن بكل قوة ووضوح .

وحدة الأمة :

ان الوحدة والتضامن متلازمان ويلزم من وجود كل منهما وجود الآخر لأن الأمة المتحدة المتضامنة ، والأمة المتضامنة ، متحدة ، وهذا من خصائص الإسلام ونتائج منهجه وتشريعه .

ووحدة الأمة في نظر الإسلام وتعاليمه تركز على مرتكزين رئيسين :

(١) وحدة الجنس .

(٢) وحدة العقيدة .

ومن ورائهما عناية من الله وانعامه على عباده وامتنانه .

(١) أما وحدة الجنس ففي ارجاعهم إلى أبيهم آدم عليه السلام وأمهم حواء : ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ ومن وراء هذا التعارف اخاء وتراحم : ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ . وقد صور الإمام على - رضی الله عنه - معنى وحدة الجنس فقال في آيات له :

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهموا آدم والأم حواء

(ب) أما وحدة العقيدة فهي الوحدة المعنوية التي تقابل الوحدة الحسية لأن العقيدة عمل القلب لا علاقة لها بالجنس ولا بالنون ولا بالمكان ولا بالزمان فيرتبط فيها جميع أبناء المعتقد الإسلامي فيؤمن أنه وكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وآمن بما آمن به السلف الصالح ودعا إليه الكتاب والسنة . شعريقتنا أن كل من دان بذلك أنه أخ له في دينه وملتمزم معه في تكاليفه فيرتبط آخر الأمة بأولها بل صالح هذه الأمة بصلحاء الأمم قبلنا وأقرأ قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم ﴾ .

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

(ج) أما عناية الله في هذه الرحدة وانعامه على هذه الأمة فهو من تأليف هذه القلوب وتقارب هذه النفوس يلقي المسلم أخاه المسلم من أقصى الدنيا وأدناها . فإذا هويبادلته التحية ويتبادل معه التعاطف . وذلك تحقيق لقوله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ . فهي نعمة امتن الله تعالى بها على هذه الأمة . وبعد امتنانه بها شرع ما يحفظها . وما يديمها فبعد قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله ﴾ .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ .

كما نهى عن سوء الظن وعن التجسس والغيبة . وهى كلها عوامل فرقة وتمزيق الوحدة
بيننا دعا إلى تقوية هذه الوحدة بالتراحم والتعاون وحسن الجوار وكل ما فيه معانى الإنسانية
من عفو وتسامح إلى حد الاحسان إلى المسيء : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين﴾ .

فهذه كلها روافد تصب في أصل أوجه الوحدة الإسلامية تروىها فتنمو على أثرها .

الخاتمة :

وإذا كانت دعوة التضامن الإسلامى كدعوة ظهرت في هذا العصر متميزة من بين
الدعوات التى انطلقت في العالم وخاصة بين المسلمين . من قومية ووطنية ومدنية ديمقراطية
وشعارات متعددة .

فإن الدعوة إلى التضامن الإسلامى في هذا الوقت بالذات وبين هذه الدعوات
والشعارات هى أولى وأحرى للأمة الإسلامية لتعود بها إلى صميم دينها والحفاظ على كيانها
وإثبات شخصيتها وتثبيت دعائمها على تلك المرتكزات الثلاث . . .

وإذا كانت في ظهورها ومنطلقها من خادم الحرمين الشريفين ومن جوار القبلة المشرفة
قبلة وجهتهم ومهوى أفئدتهم فإنها بلا شك قد لامست شغاف القلوب المؤمنة وأيقظت
شعور الشعوب المسلمة ، ولا طفت عواطف كل مسلم في العالم فلقيت بحمد الله قبولاً لدى
الجماعات واستقبلت بترحاب من الأفراد .

ولا نزال نسمع كل حين وآخر بنشائج عظيمة حيث تنادى بعض الدول بالعودة إلى
الإسلام والتزامها بتنفيذ احكام الشريعة بدلا من القوانين التى كانت تسير عليها .

ومن ثم يلتقى قادة تلك البلاد بشعوبها وتلتف تلك الشعوب بقادتها وتواصل الأمة
سيرها على نور الله .

واليوم ومن رحاب الجامعة الإسلامية ومن أرض المدينة المنورة مهد الدعوة ومنطلق
الدعاة تتجدد تلك الدعوة من المؤتمر الثانى لإعداد الدعاة تنطلق في جدتها وجديد رونقها

وصفاء محاسنها بريئة من كل شائبة نزيهة عن كل غرض شخصى أو مادية بعيدة عن أى اتجاه سياسى أو فكر أجنبى مصطبغة بصبغة الله : ﴿ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾
فإنها بحمد الله لتعلوا على الشبه وتسموعن الشكوك وتحلق فى سماء الحق معلنة أنها دعوة السلف وأمانة الخلف وانه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما قد أصلح أولها وسما بسلفها قمة المجد .

كما أنها بارتكازها على تلك المرتكزات الثلاث التى أسلفنا وهى مرتكز طبيعة تكوين الإنسان وسنة الحياة . ومركز منهج التشريع الإسلامى . ومركز الحالة السياسية والوضع الاجتماعى الذى نعيشه . فإنها تركز على عوامل قبولها وتحمل دواعى بقائها .

كما تحقق للأمة الإسلامية كل مطالبها وتمكن لها ما أراد الله منها : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ . ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم﴾ . أى أن دعوة التضامن الإسلامى بما تشير إليه هذه الآية فى نهايتها لم يقتصر نفعها على المسلمين فحسب بل وعلى أهل الكتاب لو آمنوا بها وأيدوها .

ثم بين تعالى ما لو تم للعالم الإسلامى اتحاده وتضامنه وأخذ الأعداء يكيدون له أنهم سيندحرون كما قال : ﴿وان يقاتلوكم يولوكم الأذبار ثم لا ينصرون﴾ .

ونحن لا نبعد إلى هذا الحد ولا نفرط فى التفاؤل أو نتطلع إلى غير المسلمين وإنما ندعو إلى تضامن الأمة الإسلامية تحت شعار الوحدة والائخاء

وان دور الدعاة ابراز أهمية التضامن وضرورة الوحدة على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ومحاسن الإسلام وحكمة التشريع ما أمكن ذلك .

فإن العالم الغربى اليوم فى متاهة الخيرة وظلمة الضلالة ولو وجد ضياء من تعاليم الإسلام لبادر إليه .

وليس بعيدا عنا إسلام (الدكتور المسيحي) في المؤتمر الطبى . لما رأى ما فى الإسلام من تعاليم وما فى القرآن من اعجاز الأمر الذى جعله يعلن عن إسلامه فى قاعة المؤتمر عن قناعة وادراك ومعرفة .

وهاهى الأعداد الكثيرة التى يعلن عن إسلامها فى كثير من دول العالم . وفى هذه البلاد وفى المدينة بالذات لما يشاهدون من اخاء وتعاطف وتعاون وتراحم فالله الله فى الدعوة إلى الله وإلى التضامن الذى هو التطبيق العملى لدعوة الإسلام : ﴿وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾ .

كما انا لنهيب بالجهات المختصة أن تمد يد العون وتبذل كل الجهد لمساعدة الدعوة إلى الله فى دول العالم بما يستطيعون به القيام بواجبهم وأداء عملهم على الوجه الذى يروونه وتتطلبه دعوتهم فى مراكز عملهم .

كما نأمل دوام انعقاد هذا المؤتمر وعلى فترات متقاربة لمدايسة أحوال الدعوة على ضوء واقع حياتهم وما يستجد أمامهم . وتقديم المساعدة إليهم قولاً وعملاً وبالله التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على إمام المرسلين وخاتم النبیین وعلى آله وصحبه وسلم

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

عن حذيفة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال :
«والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن
الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» .
(رواه الترمذى)

كَيْفَ أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى النَّضَامِ وَالْوَحْدَةِ؟

الدكتور محمد السيد طنطاوي
رئيس جمعية تفسير الدرر بالدرر بالعليا بالجامعة

كلمتا التضامن والوحدة ، من الكلمات المحببة إلى النفوس ، لأنها تدلان على التكافل ، والترابط ، والتراحم ، بين الأفراد والجماعات .

وقد سما الإسلام بهاتين الكلمتين ، فجعلهما رمزاً للتعاون على البر والتقوى لا على الأثم والعدوان ، بعد أن كانتا في الجاهلية ، تخضعان للروابط العنصرية ، وللنزعات القبلية ، ولإرضاء ما جبلت عليه النفوس - التي استحوذ عليها الشيطان - من حب للسيطرة ، ومن التعالي على الغير ، وإخضاعه لسلطانه . . . فمثلاً ، قبل الإسلام ، تضامنت واتحدت قبيلة الأوس فيما بينها ، وقبيلة الخزرج فيما بينها ، على أن تنتقم كل قبيلة من الأخرى ، وأن تخضعها لسلطانها . . .

أما بعد أن وفق الله - تعالى - هاتين القبيلتين للدخول في الإسلام فقد صار هذا التضامن ، يقوم على الحب والإخاء والتعاطف بين الجميع ، بدون تفرقة بين قبيلة وأخرى .

ولقد أقام النبي ﷺ أول دولة إسلامية على التضامن والوحدة ، عن طريق التوجيهات القرآنية ، والإرشادات النبوية .

وذلك لأن القرآن الكريم ، هو الكتاب الذي أنزله الله - تعالى - على نبيه ﷺ ، لكي يخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، وليكون هداية لهم إلى ما هو أقوم ، وليرشدهم إلى ما يسعدهم ويصلحهم ، وليجنبهم الوقوع في الأخطاء التي لا تحمد عقباها .

أما السنة النبوية فمن أهم وظائفها : تفصيل ما جاء في هذا القرآن من إجمال ، وتأكيد ما أمر به أو نهى عنه . . .

روى الإمام أبو داود في سننه عن المقدم بن معد يكرب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الخمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع » (١) .

وهذه التوجيهات القرآنية ، وتلك الإرشادات النبوية ، قد سلكت في إقامة أول دولة إسلامية على التضامن والوحدة ، مسالك متنوعة ، من أهمها ما يأتي :

أولاً : أن القرآن الكريم ، قد بين للناس جميعاً ، أن الله - تعالى - قد خلقهم بقدرته من نفس واحدة ، فعليهم أن يعيشوا في هذه الحياة متآخين متحابين . . قال - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء : ١] .

والمعنى : يأيها الناس اتقوا ربكم بأن تطيعوه فلا تعصوه ، وبأن تشكروه فلا تكفروه ، فهو وحده الذى أوجدكم من نفس واحدة ، هى نفس أبيكم آدم ، وهو وحده الذى أوجد من هذه النفس الواحدة زوجها حواء ، وهو وحده الذى « بث » أى : نشر وفرق ، من تلك النفس الواحدة وزوجها ، على وجه التوالد والتناسل ، رجالاً كثيراً ، ونساء كثيرة .

فأنت ترى أن هذا النداء لجميع المكلفين ، قد نبههم إلى أمرين :

أولهما : وحدة الاعتقاد بأن ربهم واحد لا شريك له ، فعليهم أن يخلصوا له العبادة ، لأنه هو الذى خلقهم وهو الذى رزقهم ، وهو الذى يميئتهم وهو الذى يحييهم ، وهو الذى أوجدهم جميعاً - بقدرته النافذة - من نفس واحدة .

وثانيهما : وحدة النوع والتكوين ، إذ الناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وأشكالهم وأجناسهم ، قد انحدروا عن أصل واحد . .

ومادام الأمر كذلك فيجب أن يشعر الجميع بفضل الله عليهم ، وأن يبنوا علاقاتهم فيما بينهم على التضامن والتكافل والإخاء ، وأن يوقنوا بأنه لا فضل لجنس على جنس ، ولا للون على لون ، إلا بمقدار حسن صلتهم بربهم ، وطاقاتهم لخالقهم - عز وجل - .

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٧ .

وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى في كثير من أحاديثه ، ومن ذلك ما جاء في خطبته الجامعة في حجة الوداع ، فقد جاء فيها :

« أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود ، إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال ﷺ : فليلغ الشاهد الغائب » .

ثانيا : لقد صرح القرآن الكريم ، بحكمة التي من أجلها خلق الله - تعالى - الناس من ذكر وأنثى ، وجعلهم شعوباً وقبائل ، فقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقوله « شعوباً » جمع شعب . وهو اجمع العظيم من الناس ، يجمعهم أصل واحد .

وقوله « قبائل » جمع قبيلة . والقبيلة : الجماعة من الناس يضمهم أب واحد .

والمعنى : أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وهما آدم وحواء ، ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ .

أى : وجعلناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضاً ، فتصلوا الأرحام ، وتبينوا الأنساب ، وتعاونوا على ما ينفعكم ، ويصلح شأنكم .

فالتعارف - لا التناكر - هو أساس العلائق بين البشر ، وهو الحكمة التي من أجلها خلق الله - تعالى - الناس من ذكر وأنثى ، وجعلهم شعوباً وقبائل . ويجب أن يعود الناس إلى هذا التعارف والتآلف ، وأن يزيلوا ما نشب بينهم من خلاف ، وما دب فيهم من خصام ، حتى تتحقق الحكمة المنشودة من وجودهم في هذه الحياة .

ثالثا : لقد بين القرآن الكريم في كثير من آياته ، أن الأمة الإسلامية ، أمة واحدة في عقيدتها وفي شريعتها ، مهما تئات ديارها ، وتباعدت أوطانها ، واختلفت لغاتها ، ومن هذه الآيات قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

وقوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون ﴾ [المؤمنون :

٥٢] .

أى : إن هذه الأمة الإسلامية ، التى هى أمتكم - أيها المسلمون - « أمة واحدة » لأن إلهها واحد ، ودينها واحد ، وشريعتهما واحدة ، وقبلتها واحدة ، وأهدافها واحدة . . . « وأنا ربكم » لا شريك لى فى الربوبية « فاعبدون » أى : فأخلصوا لى العبادة والطاعة ، ولا تشركوا معى أحداً من خلقى فى ذلك .

وهذه الوحدة للأمة الإسلامية ، قد أكدها الرسول ﷺ تأكيداً قوياً ، عن طريق إرشاداته المتنوعة ، وتوجيهاته السامية .

وفى هذا المعنى يقبول بعض العلماء : لقد بين النبى ﷺ بأقواله وأفعاله ، الوحدة الإسلامية الجامعة لأمته ، فقد تضافرت عنه الروايات الدالة على الأخوة الإسلامية التى لا تفرق بين عربى وأعجمى ، ولا بين شريف وضعيف ، ولا بين إقليم وإقليم ، وقال فى عبارة جامعة : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . . .

وغير هذا مشهور مستفيض ، حتى إن ذلك ليتواتر فى المعنى ، فهو من المعانى التى تفهم من تعاليم الإسلام بالضرورة ، ولا يعد من المسلمين من ينكرها ، أو يخالفها جحوداً بها .

وأما أفعاله ﷺ المبينة لهذه الوحدة الجامعة ، فهى تلك المؤاخاة التى ربط بها بين القرشى ، والحزرجى ، والأوسى ، ومن كان من أصل غير عربى . . . المسلمون إذن أمة واحدة ، وتلك حقيقة يعد من نافلة القول بيانها ، فضلاً عن إقامة الدليل عليها ، لأنها مجمع عليها^(١) .



رابعاً : أن القرآن الكريم ، قد بين للناس ، أن الرسالات الساوية جميعها ، قد اتفقت على إقامة الدين على إخلاص العبادة لله - تعالى - ، وعلى نبذ التفرق والاختلاف فى أحكامه . . .

قال - تعالى - : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ، ويهدى إليه من ينب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾ [الشورى : ١٣-١٤] .

(١) من مقال لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة - رحمه الله - نشره بمجلة « المسلمون » سنة ١٣٧١ هـ ص ٣٦٤

والمعنى : إن الله - تعالى - سن لكم - يامعشر المسلمين - من الدين ، ما سنه لنوح
والذين من بعده من الأنبياء إلى زمن نبيكم محمد ﷺ .

ثم بين - سبحانه - ما أمرهم به جميعاً فقال : ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .
أى : أن أقيموا الدين على ما أمركم به الله - تعالى - ، من توحيده وطاعته ، ولا
تختلفوا في أحكامه التي أجمعت على صحتها شرائع الأنبياء السابقين ، فإن هذا الاختلاف
يؤدى إلى فشلكم وذهاب ربحكم . . .

ثم بين - سبحانه - موقف المشركين من دين التوحيد فقال : ﴿ كبر على المشركين ما
تدعوهم إليه ﴾ .

أى : شق وعظم على المشركين ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله - تعالى - ،
ومن ترك الاختلاف في أحكامه الدين الحق .

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة ببيان من هم أهل لرضاه وهدايته فقال : ﴿ الله
يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ﴾ .

أى : الله - تعالى - يصطفى من يشاء من عباده ، فيقربهم إلى محل كرامته ، ويوفق
للعمل بطاعته من ينيب إليه ، ويسلم له وجهه .

ثم بين - سبحانه - الأسباب التي أدت بالناس إلى التفرق في أحكام الدين الحق ،
فقال - تعالى - : ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . . . ﴾ .

أى : وما تفرق هؤلاء السابقون بعد موت أنبيائهم ﴿ إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾
الذال على صدق هؤلاء الأنبياء ، وكان الدافع لهم على هذا التفرق والاختلاف ، هو
البغي والحسد وتجاوز الحدود التي شرعها الله - تعالى -

وقوله ﴿ إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ زيادة في في تقبيح أفعالهم ، فإن الاختلاف
بعد مجيء العلم أشد في القبح والعناد .

فهم قد اختلفوا في الحق مع علمهم بأنه حق ، لأن العلم كالمطر ، فكما أن المطر لا
تستفيد منه إلا الأرض الطيبة النقية ، فكذلك العلم لا ينتفع به إلا أصحاب النفوس
الصافية ، والقلوب الواعية ، والأفئدة المستقيمة .

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين ، قد بينتا للناس ، أن جميع الأنبياء قد دعوا
أقوامهم إلى عبادة الله - تعالى - وحده ، وإلى اجتناب التفرق والاختلاف في أحكام

الدين ، التي أجمعت عليها الشرائع الإلهية ، والتي لا يترتب على الاختلاف فيها سوى الفساد والخسران .

خامساً : لقد ذُكر القرآن الكريم المؤمنين في كثير من آياته ، بسوء عاقبة الاختلاف والتنازع ، وحذرهم من طاعة أعدائهم ، وحرصهم على الاعتصام بحبل الله - تعالى - ، وعلى التآلف والتضامن فيما بينهم ، وهذه بعض الأمثلة لذلك :

أ - في أعقاب غزوة بدر ، تطلع بعض الناس إلى الغنائم ، واختلفوا في شأن تقسيمها ، فنزل قوله - تعالى - : ﴿ يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله ، إن كنتم مؤمنين ﴾ [الأنفال : ١] . وقد ذكر الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية ، عدداً من الروايات التي وردت في سبب نزولها ، ومن هذه الروايات ، ما أخرجه أبو داود ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن مردويه - واللفظ له - ، عن ابن عباس - رضی الله عنهما - قال :

. لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ من صنع كذا فله كذا ، فتسارع في ذلك شبان القوم ، وبقى الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم ، جاءوا يطلبون الذي جعل لهم . فقال الشيوخ : لا تستأثروا علينا ، فإننا كنا رداءً لكم ، لو انكشفتم لثبتم إينا ، فتنازعوا ، فأنزل الله - تعالى - « يسألونك عن الأنفال الآية » .

وروى الإمام أحمد - بسنده - عن أبي أمامة قال : سألت عبادة بن الصامت ، عن هذه الآية فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ، حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، وجعله إلى الرسول ﷺ فقسّمه بين المسلمين عن بواء - أي على السواء - « (١) » .

والمعنى : يسألك بعض أصحابك يا محمد عن غنائم بدر كيف تقسم ؟ ومن المستحق لها ؟ قل لهم : الأنفال لله يحكم فيها بحكمه - سبحانه - ، ولرسوله ﷺ فهو الذي يقسمها على حسب حكم الله وأمره فيها .

فاتقوا الله - تعالى - أيها المؤمنون ، وأصلحوا ما بينكم من أحوال وروابط ، بأن يكون ما بينكم من صلوات ، يقوم على الألفة والمحبة والمودة وترك الخلاف . . .

وفي هذه الإجابة على سؤالهم ، تربية حكيمة لهم - بعد أول لقاء بينهم وبين

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٣ طبعة عيسى الحلبي .

أعدائهم - ، حتى يجعلوا جهادهم بعد ذلك خالصاً لوجه الله - تعالى - ، وحتى لا تكون أعراض الدنيا ، سبباً في اختلافهم . . .

ب - وفي السورة نفسها ، وفي أعقاب غزوة بدر - أيضاً - ، ناداهم بصفة الإيمان ، ودعاهم إلى الثبات عند لقاء الأعداء ، وإلى الإكثار من ذكر الله - تعالى - ، وإلى التزام طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، ونهاهم عن التنازع ، وبين لهم سوء عاقبته فقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٥-٤٦] .

فقلوه - سبحانه - « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » نهي لهم عن الاختلاف المؤدى إلى الفشل وضياع القوة ، بعد أمرهم بالثبات والمداومة على ذكر الله - تعالى - وطاعته .

والتأمل في هاتين الآيتين الكريمتين ، يراهما قد رسمتا للمؤمنين في كل زمان ومكان ، الطريق التي توصلهم إلى الفلاح والظفر .

إنهما تأمران بالثبات عند لقاء الأعداء ، والثبات من أعظم وسائل النجاح ، وأقرب الفريقين إلى النصر ، أكثرهما ثباتاً . . .

وتأمران بمداومة ذكر الله ، لأن ذكر الله هو الصلة التي تربط الإنسان بخالقه الذى بيده كل شىء ، ولا يعجزه شىء . . .

وتأمران بطاعة الله ورسوله ، لأن طاعتها دليل على قوة الإيمان ، وصفاء النفوس ، وطهارة القلوب . . .

وتنهيان عن التنازع ، لأنه يؤدى إلى الضعف ، والتخاذل ، وهوان الأمر ، وذهاب القوة . . .

ثم تحثان بالأمر بالصبر ، الذى هو توطين النفس على ما يرضى الله ، وعلى احتمال المكاره والمشاق فى جلد . وهذه الصفة لا بد منها لكل من يريد الوصول إلى آماله وغاياته .

ورحم الله الإمام ابن كثير فقد قال عند تفسيره لهاتين الآيتين الكريمتين : « هذا

تعليم من الله - تعالى - لعباده المؤمنين ، آداب اللقاء ، وطريق الشجاعة ، عند مواجهة الأعداء» (١) .



سادساً : أن القرآن الكريم قد أمر المؤمنين ، بأن يصلحوا بين إخوانهم في العقيدة ، إذا ما دب نزاع فيهم ، وأن يجبروا الفئة الباغية ، على الخضوع للحق والعدل ، حتى ولو أدى ذلك إلى قتالها . . .

قال - تعالى - : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ [الحجرات : ٩ ، ١٠] .

ذكر المفسرون في سبب نزول هاتين الآيتين روايات منها ، ما أخرجه الإمام أحمد - بسنده - عن أنس بن مالك قال : قلت : يا نبي الله ، لو أتيت عبد الله بن أبي ؟ قال : فانطلق إليه النبي ﷺ فركب حمارا ، وانطلق المسلمون يمشون . . .

فلما أتاه النبي ﷺ قال : إليك عنى ، فوالله لقد آذاني نثن حمارك .

فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك .

فغضب لعبد الله رجل من قومه ، وغضب لكل واحد منها أصحابه ، فكان بينهم حرب بالجرید والأیدی . . فبلغنا أنه نزل فيهم قوله - تعالى - « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . . . الآية » (٢) .

ومن المعروف بين العلماء ، أن هاتين الآيتين وإن كانتا قد نزلتا في حادثة معينة ، إلا أن ما اشتملتا عليه من أحكام وآداب يعم الأمة الإسلامية كلها ، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما يقول أهل العلم .

والمعنى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » أى : تقاتلوا أو دب بينهما ما يوجب حجزهما وردهما إلى المحبة والسلام .

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣١٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢١١ .

« فأصلحوا بينهما » عن طريق النصح ، وإزالة الشبهة وأسباب الخصام ، والدعاء إلى حكم الله - تعالى - والرضا به .

والأمر هنا للوجوب ، والخطاب لأولى الأمر ، ولكل من في إمكانه الإصلاح بين المسلمين .

وقوله - سبحانه - « فإن بغت إحداهما على الأخرى » أى : تعدت إحداهما على الأخرى بغير حق ، وأبت الصلح ، والاستجابة لحكم الله - تعالى - .

« فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » أى : قاتلوا الباغية حتى ترجع إلى حكم الله - تعالى - ، وتقبل قضاءه عن سماع وطاعة .

قال الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية : قال العلماء : لا تخلو الفتان من المسلمين فى اقتتالهما ، إما أن يقتتلا على سبيل البغى منها جميعاً أولاً .

فإن كان الأول فالواجب فى ذلك أن يُمشى بينهما بما يصلح ذات البين ، ويشمر المكافئة والموادة .

فإن لم يتحاجزا ولم يصلحا وأقامتا على البغى ، صيرَ إلى مقاتلتها .

وأما إن كان الثانى وهو أن تكون إحداها باغية على الأخرى ، فالواجب أن تقاتل فئة البغى إلى أن تكف وتتوب ، فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغى عليها بالقسط والعدل»^(١) .

وقوله - سبحانه - : « فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » بيان لما يجب اتباعه مع الفئة الباغية ، إذا ما ثابت إلى رشدها ، وقبلت حكم الله - تعالى - .

أى : فإن رجعت الفئة الباغية إلى حكم الله ، فأصلحوا بين الفئتين بالعدل الذى أمر الله - تعالى - به ، وأقسطوا فى كل الأمور ، لأن الله - تعالى - يحب العادلين فى أحكامهم . وجمع - سبحانه - فى هذه الجملة بين الأمر بالعدل وبالقسط ، لتأكيد هذا الأمر ؛ لأن عدم العدل فى الأحكام ، كثيراً ما يؤدى إلى ازدياد التنازع والخصام .

ثم بين - سبحانه - الأسباب الداعية إلى وجوب المسارعة إلى الإصلاح بين المؤمنين فقال « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » .

(١) تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٣١٧ .

أى : إنما المؤمنون إخوة في العقيدة والدين ، فهم يجمعهم أصل واحد وهو الإيمان ، كما يجمع الإخوة أصل واحد وهو النسب .

بل إن أخوة الدين أثبت من أخوة النسب ، لأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، أما أخوة الدين فلا تنقطع بمخالفة النسب .

قال الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين : « وخص الاثنين بالذكر في قوله (فأصلحوها بين أخويكم) لأنها أقل من يقع بينهما الشقاق ، فإذا لزم المصالحة بين الأقل ، كانت بين الأكثر ألزم ، لأن الفساد في شقاق الجماعة ، أكثر من في شقاق الاثنين » (١) .

ولقد أكد الرسول ﷺ بقوله وعمله ما دعا إليه القرآن من وجوب الإصلاح بين المسلمين إذا ما نشب بينهم نزاع .

أما قوله ﷺ في ذلك فمنه ما رواه الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : كل سُلامى (٢) من الناس عليه صدقة ، وكل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة » .

وأما عمله ، فقد كان ﷺ يسعى في الإصلاح بين الناس ، حتى ولو أدى ذلك إلى تأخير الصلاة ..

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه ، فحبس ﷺ وحانت الصلاة ، فجاء بلال إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر ، إن رسول الله ﷺ قد حبس ، وحانت الصلاة ، فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال : نعم إن شئت الحديث » (٣) .

★ ★ ★ ★ ★

سابعاً : أستطيع أن أقول - على سبيل الإجمال - : إن تعاليم الإسلام ، قد أمرت باعتناق كل فضيلة ، تؤدي إلى وحدة المسلمين ، وتضامنهم ، وترابطهم ، وتكافلهم . . .

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ١٧٩ .

(٢) السلامى - بضم السين وتخفيف اللام - : أصله عظام الأصابع وسائر الكف ، ثم استعمل في سائر عظام البدن .

(٣) رياض الصالحين : باب الإصلاح بين الناس ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

وحاربت كل رذيلة من شأنها التفريق بينهم ، وتشتيت كلمتهم ، وتمزيق وحدتهم ، وإشاعة البغضاء فيهم . . .

ولقد سقنا قبل ذلك من توجيهات القرآن الكريم ، ما فيه العبر والعظات ، لقوم يعقلون .

وبقى أن نسوق المزيد من سنة النبي ﷺ التي من أهم وظائفها ، تفصيل ما أجمله القرآن الكريم ، وتأکید ما أمر به أو نهى عنه . . .

أ - لقد حض النبي ﷺ أتباعه على التضامن والاتحاد ، في عشرات الأحاديث ، ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري - رضی الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً « وشبك بين أصابعه » (١) .

ب - وحض على التمسك بكل فضيلة توصل إلى غرس روح المحبة والمودة بين المسلمين ، ومن ذلك أنه ﷺ : أمر بالتزاور والتواصل والتحاب في الله ، وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضی الله عنه - عن النبي ﷺ « أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى ، فأرصد الله - تعالى - على مدرجته - أى طريقه - ملكاً ، فلما أتى عليه قال له : أين تريد ؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك من نعمة تربها عليه (٢) ؟ قال : لا غير أنى أحببته في الله - تعالى - . قال : فإنى رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته » (٣) .

ج - وأمر بالتهادى ، وبالطيب من الكلام ، وبطلاقة الوجه عند اللقاء . روى الإمام الترمذى ، أن رسول الله ﷺ قال : « تهادوا فإن الهدية تذهب وقر الصدر » أى تذهب غله وغشه وبغضه .

وعن عائشة - رضی الله عنها - قالت : كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها .

وروى الشيخان عن عدى بن حاتم - رضی الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

(١) من كتاب رياض الصالحين ص ١٢٠ للإمام النووي . باب تعظيم حرمان المسلمين

(٢) تربها عليه : تقوم بها وتسعى في صلاحها .

(٣) رياض الصالحين : ص ١٧٦ . باب زيارة أهل الخير .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي ذر- رضى الله عنه - قال : « قال لى رسول الله ﷺ : لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » (١) .

د - هذه بعض الفضائل التى أمر النبى ﷺ أتباعه بالتخلق بها ، لأنها مدعاة إلى غرس روح الإخاء والمحبة فيهم . .

وقد نهى ﷺ فى مقابل ذلك عن كل ما من شأنه أن يزعزع وحدة المسلمين ، أو يضعف تضامنهم وتعاونهم على البر والتقوى .

وحسبنا أن نسوق فى ذلك هذا الحديث الجامع ، الذى رواه الشيخان ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث . ولا تجسسوا (٢) ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا تناجسوا (٣) ، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم .

المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، - ويشير إلى صدره - ﷺ .

بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه . إن الله لا ينظر إلى أجسادكم وصوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٤) .

ه - هذه بعض أقواله ﷺ الداعية إلى وحدة المسلمين وتضامنهم ، والناهية عن تفرقهم وتناكرهم وتباغضهم . .

فإذا ما اتجهنا إلى أفعاله ﷺ وجدناها تقوم على تأكيد هذا المعنى وتحقيقه عمليا ، ومن أبرز الأدلة على ذلك ما يأتى :

و - حرصه ﷺ على المؤاخاة بين المسلمين ، منذ السنوات الأولى للدعوة الإسلامية ، فقد ذكر أصحاب السير ، أنه ﷺ وهو بمكة ، آخى بين أبى بكر وعمر ، وبين الحمزة وزيد بن حارثة ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين أبى عبيدة وسالم - مولى أبى حذيفة - ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله ، وبين

(١) رياض الصالحين : ص ٣١٢ . باب استحباب طيب الكلام .

(٢) التجسس : تتبع عورات الناس وعيوبهم .

(٣) التجسس : الزيادة فى السلعة للخديعة لغيره .

(٤) رياض الصالحين : ص ٦٠٢ . باب النهى عن التجسس . للإمام النووى .

عثمان وعبد الرحمن بن عوف . . . وهذه المؤاخاة في الدين والعقيدة ، تعتبر أول تنظيم للجماعة الإسلامية الأولى ، يقوم على الترابط ، والتكافل ، والتكاتف . . .
ز - فلما هاجر ﷺ إلى المدينة ، وسَّع دائرة هذا التضامن والإخاء ، فجعله بين المهاجرين والأنصار .

قال ابن اسحاق - رحمه الله - : وأخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال - فيما بلغنا عنه ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - : « تَأَخَّوْا فِي اللَّهِ أَخْوِينَ أَخْوِينَ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : هَذَا أَخِي ، وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَاذُ بَيْنِ جَبَلِ أَخْوِينَ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَخَارِجَةُ بْنُ زَهْرٍ أَخْوِينَ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعُتْبَانُ بْنُ مَالِكِ أَخْوِينَ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ أَخْوِينَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ ابْنِ الرَّبِيعِ أَخْوِينَ ، وَعَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ وَأَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ أَخْوِينَ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكِ أَخْوِينَ ، وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَأَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ أَخْوِينَ ، وَعِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ وَحذيفة بن اليمان أخوين . . .

وبلال بن رباح وأبورؤيحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي أخوين . . .

فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبي رويحة ، لا أفارقه أبدا ، للأخوة التي كان رسول الله ﷺ عقدها بينه وبينى ، فَضُمَّ إِلَيْهِ « (١) .

ح - وقد استمر ﷺ يؤكد هذا الإخاء بين المسلمين - بقوله وعمله - إلى أن لقي

ربه .

ولقد بلغ من حرصه على ذلك ، أنه عندما كان في سفر مع أصحابه ، ورأى أن القافلة حين تستريح يتفرق أهلها ، لم يعجبه هذا التفرق ، بل دعاهم إلى التجمع والتقارب . . .

روى أبو داود عن أبي ثعلبة الحُشَنِيِّ قال : كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب والأودية ، فقال النبي ﷺ : « إن تفرقكم هذا من الشيطان » فلم ينزلوا بعد منزلا ، إلا انضم بعضهم إلى بعض ، حتى قال : لو بَسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبَ لَعْمَهُمْ « (٢) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٥٠٤ طبعة مصطفى الحلبي - بتصرف وتلخيص . .

(٢) مختصر سنن أبي داود ج ٣ ص ٤٣٠ . تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر - رحمه الله - .

هذه بعض الأحاديث من أقوال النبي ﷺ وأعماله ، ومنها نرى ، كيف كان ﷺ يحرص كل الحرص على وحدة المسلمين ، وعلى تضامنهم ، وعلى إخائهم وتربطهم ، ويسوق الإرشادات المتنوعة ، التي من شأنها أن تجعل المسلمين - متى اتبعوها - كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ويحذر من الفرقة والتباغض وشق عصا المسلمين تحذيرا شديدا ، وأختتم هذه الأحاديث بما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم » (١) .

أى : ولكنه لم يئس من الإفساد بينهم ، وتغيير قلوبهم ، والعمل على تقاطعهم .. وبما رواه - أيضا - الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا ، فمنا من يصلح خبائه - أى خيمته - ، ومنا من ينتضل ، - أى يسابق بالرمى - ومنا من هو فى جشره - أى فى رعاية دوابه - ، إذ نادى منادى رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة . فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلم لهم . وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها فى أولها (٢) ، وسيصيب آخرها بلاء وأمر تنكرونها ، وتجيء فتن يرقق بعضها بعضا (٣) ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه . فمن أحب أن يرحل عن النار ، ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذى يجب أن يؤتى إليه . ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده ، وثمره قلبه ، فليطعه ، وإن جاء آخر ينازعه ، فاضربوا عنق الآخر . ومن مات وهو مفارق للجماعة ، فإنه يموت ميتة جاهلية » (٤) .



أما بعد : فإن التضامن والتراحم والاتحاد ، يزيد الأقوياء قوة على قوتهم ، ويرفع عن الضعفاء ضعفهم ...
أما الشقاق والتفرق والتدابير ... فيضعف الأمم القوية ، ويمحق الأمم الضعيفة ...

(١) رياض الصالحين : ص ٦١٠ . باب تحريم الهجران بين المسلمين .

(٢) أى : جعلت سلامتها من الفتن فى أولها .

(٣) أى أن كل فتنة تكون ما بعدها أشد منها .

(٤) رياض الصالحين : ص ٣١٠ . باب وجوب طاعة ولاة الأمور فى غير معصية الله .

وقد فطن إلى هذا المعنى رجل حكيم ، فقد جمع أولاده عندما أحس بدنوا أجله ،
- ليلقنهم درسا في فوائد الاتحاد - ، ثم أحضر حزمة من العصي قد اجتمعت عيدانها ،
وطلب منهم أن يكسروها فعجزوا ، فلما فرق عيدانها سهل عليهم كسرها ، فقال لهم :
كونوا جميعا يابنى إذا اعترى خطب ، ولا تتفرقوا أحادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا فإذا انفردن تكسرت أفرادا
وإذا كان أهل الباطل يتجمعون من أجل نصرة باطلهم . . .

فأولى ثم أولى بأهل الحق أن يتضامنوا ويتحدوا ، لإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل .
إن العقلاء من الناس يختلفون في وجهات نظرهم ، ولكنهم لا يتباغضون ولا
يتنابدون . . . بل يعيدون التشاور فيما بينهم ، حتى يصلوا إلى الحق الذى ينشدونه .
إننا نتطلع إلى تضامن بين المسلمين ، يقوم على تعاليم الإسلام ، وتحرسه تشريعاته
الحكيمة ، وتحميه من الانحراف آدابه القويمة ، وتوجهه إلى البر والتقوى آدابه
الكريمة . . .

وهذا إنسا يتأتى ، متى صلحت النيات ، وصدقت العزائم ، وطهرت النفوس من
الغل والحسد والأناية والميل مع الهوى . . .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾
﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾



الْفَتْحُ الْعُمَرِيُّ لِلْقَدِيسِ

نَمْوُزِجٌ لِلدَّعْوَةِ بِالْعَمَلِ وَالْقَدْرَةِ

وَبِنْفِثِجِ سَيِّدِ الْعَمَلِ مُحَمَّدٍ
رَئِيسِ قَسَمِ التَّارِيخِ بِالْجَامِعَةِ

تمهيد :

وضع الإسلام معايير خاصة لسلوك المسلمين ، تجعل له طابعاً متميزاً ، وهذه المعايير مستوحاة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ومن التطبيق العملي لهذه الأخلاق وهذا السلوك ، كما قام بها ومارسها رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون وأصحابه والسلف الصالح جميعاً .

فلا إيمان بالقلب إلا إذا صدقه العمل وظهر على الجوارح بالعبادات والأخلاق والمعاملات . وقد كان التزام سلفنا الصالح بهذا الخلق سبباً لنيلهم خيري الدنيا والآخرة ، ومشاراً لإعجاب أعدائهم بهم ، وبعقيدتهم ودينهم الجديد . فدانت لهم الأمم ، وأعجبت بهم الشعوب ، ودخلت في دينهم زرافات ووحداًنا طائعة مسرورة . وحتى الشعوب التي بقيت على دينها ، فإنها رأَتْ في الخضوع لسلطان المسلمين خلاصاً من ظلم مستعبيهم ولو كانوا من بنى جلدتهم ، ورأت في الوجود الإسلامي أمناً واطمئناناً على النفس والعرض والمال والولد والمعتقد والمقدسات .

لهذا فقد كان سلوك المسلمين أهم وسائل إظهار محاسن دينهم وكان لذلك أثره على الفرد والمجتمع ، كما كان تطبيقهم العملي لتعاليم ذلك الدين ، أهم وسائل الدعوة لهذا الدين ، فالسواوة ، والعدل ، والتواضع ، والإعراض عن الإغراق في متع الدنيا ، والرحمة ورعاية أهل ذمة الله ، رسوله ، كل تلك الصفات المثالية طبقتها المسلمون وخصوصاً في عصر النبوة والخلفاء الراشدين كما طبقتها من جاء بعدهم من الخلفاء المتقين أمثال عمر بن عبد العزيز وغيره .

وكنموذج لهذه الأخلاق الإسلامية ، وتطبيق لأهمية القدوة والعمل بالأخلاق الإسلامية في الدعوة الإسلامية ، أورد فيما يلي من خلال هذا البحث المتعلق بفتح القدس ، وصفاً لسلوك عمر بن الخطاب رضى الله عنه والمسلمون عامة ، مما كان له أطيب الأثر في نفوس النصارى . ودفعهم الى المطالبة بأن يكون الخليفة نفسه المتولي لاستلام مدينتهم . وزاد في ثقتهم في عدله وعدل المسلمين ، ما رأوه وجربوه من أخلاقه وأخلاق أصحابه ، فأعجبوا بهذا الدين الجديد الذي استطاع تحويل هؤلاء العرب الى اللين بعد القسوة ، والقناعة بعد الطمع ، والوحدة بعد الفرقة ، وحفظ العهد ورعاية الذمة بعد الغزو والنهب . فدفعت ذلك معظم أهل الشام ومنهم أهل القدس إلى الاقبال على الدخول في الإسلام خلال سنوات ليست بالطويلة .

أهمية القدس لدى المسلمين :

للقدس مكانة خاصة لدى المسلمين ، لا تقل عن مكانتها لدى أصحاب الديانات السماوية الأخرى ، فهي أولى القبلتين ، وثالث المسجدين الشريفين اللذين تشد إليهما الرحال ، وإليها أسرى بالرسول الكريم ﷺ ، ومنها عرج به إلى السماء ، وفيها صلى بالملائكة .

وقد نص القرآن الكريم على أنها مباركة ، باركها رب العالمين هي وما حولها وذلك في الآية الأولى من سورة الإسراء : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ . هذا بالإضافة الى ما ذكره المفسرون في تفسير بعض آيات القرآن الكريم وما حوته من إشارات إلى مكانة القدس في الإسلام .

كما أشار إليها الرسول الكريم ﷺ ، حينما حض على زيارتها في الحديث الصحيح « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »^(١) بالإضافة إلى العديد من الأحاديث التي أوردتها كتب الحديث ، وكتب الفضائل المتعلقة بأهمية القدس وفضلها وفضل الصلاة في مسجدها ، والإهلال منها بحجة أو عمرة ، والوفاء فيها .

(١) ابن حنبل : المسند ، ٢ : ٢٣٤ ، ٢٣٨ . مسلم : الصحيح ، ٢ : ٤١٥ ، ٥١٣ .

كما أنه ليس من المستغرب أن نعلم بأن معظم سكانها قبل الفتح كانوا من أصل عربي ، شأنهم شأن سكان فلسطين ، حيث كان جل سكانها من لحم وجدام الذين تنصروا^(١) . ولورجعنا إلى التاريخ أكثر قليلاً لوجدنا أصل سكانها من اليوسيين الكنعانيين الذين هاجروا لبلاد الشام من السواحل الشرقية للجزيرة العربية .

الروايات المختلفة في كيفية وتاريخ فتحها :

لهذا كله أهتم المؤرخون المسلمون بأخبار فتحها ، والسنة التي تم فيها الفتح ، كما أفاضت كتب التاريخ في ذكر أخبار محاصرة المسلمين لها ، وحضور الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتسلمها ومصالحة أهلها وإعطائهم عهد الأمان الذي عرف بالعهدة العمرية ، بالإضافة إلى بناء مسجده بساحة المسجد الأقصى .

ومن دراسة الروايات المختلفة يتبين لنا أن الروايات الشامية تؤكد أن هدف قدوم الخليفة عمر بن الخطاب من المدينة إلى الشام ، كان تسلم مدينة القدس بناء على طلب أبي عبيدة ، القائد العام للجيش الإسلامي المحاصرة لها ، وتلبية لرغبة بطيريكها . مما يؤكد أهمية القدس لدى المسلمين ، وهذا لا يمنع أن يكون الاجتماع بالمسلمين وتنظيم إدارة بلاد الشام أحد أهداف الخليفة عمر أيضاً من مسيره إلى الشام . فسار بعد تسلم القدس إلى الجابية حيث كانت غنائم اليرموك وغيرها موجودة هناك ، وقد أيد الشاميين في وجهة النظر هذه بعض الرواة الحجازيين . وإنني أميل إلى ترجيحها ، فأهل الشام قد يكونون أدري بفتوح بلادهم .

أما الروايات التي ذكرت بأن حضور الخليفة إنما كان بقصد الاجتماع بالقادة المسلمين في الجابية ، ثم اتفق ان طلبت القدس الاستسلام في ذلك الوقت فذهب إليها الخليفة وتسلمها ، فهي على الأغلب روايات كوفية ، بعيدة عن مجريات الأحداث ، إن لم نقل إن الغرض منها قد يكون إظهار ان القدس ليس لها فضل كبير على المدن الأخرى ، وذلك نكايه بالامويين الذين كانوا يظهرون إهتماماً خاصاً بالقدس ، وهذا ينطبق على الروايات التي أفادت بأن خالد بن ثابت الفهري ، أو عمرو بن العاص هما اللذان حاصرا القدس واضطرا أهلها لطلب الصلح ، وكذلك الرواية التي ذكرت بأن العوام هم الذين صالحوا عمر بن الخطاب وليس البطيريك صفرونيوس .

(١) البلاذري : ٢٥٩ ، الواقدي : ١ : ١٧٠ .

أما عن السَّنة التي فتحت فيها القدس ، فقد ذكر الطبري عن سيف أنها كانت سنة ١٥هـ (١) . كما ذكر ابن سعد ، وخليفة بن خياط ، واليعقوبي ، وابن عساكر ، والواقدي ، والبلاذري ، والطبري في رواية أخرى عن سيف أن الفتح كان سنة ١٦هـ (٢) . كما ذكر ياقوت الحموي ، والبلاذري وابن اسحق ، والطبري في رواية سيف عن هشام بن عروة بأن الفتح كان سنة ١٧هـ (٣) . والأغلب أن عام ١٧هـ ، هو الأصح .

أحداث الفتح والقدوة في سلوك الخليفة وأصحابه :

لقد تخللت أحداث الفتح مجموعة من المواقف ، ونماذج من السلوك صدرت عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن أصحابه ، كانت كما سبق أن ذكرت أكبر برهان على أثر الإسلام على معتنقيه من حيث إحداث التغيير الأساسي في الخلق والسلوك وتوجيهها نحو المثالية والكمال الذي طمحت وتطمح إلى بلوغه أو بلوغ شيء منه جميع الأمم والمصلحين . فكان أن أقبلت الشعوب على الدخول في ذلك الدين ، وانضوت تحت حكم المسلمين واثقة من عدالتهم ووفائهم بعهودهم ، ورأى قادة الروم والفرس أن أمية تعتق مثل هذا الدين لا يمكن أن تغلب أو تقاوم ، فانهارت مقاومتهم وعمهم الرعب وأزيلت أكبر امبراطوريتين في ذلك العهد ، رغم فارق العدد والعدة والغنى والخبرة بين المسلمين وبين أعدائهم .

ونلمس في أحداث فتح مدينة القدس معالم من هذا السلوك الإسلامي والمواقف الإنسانية منها :

ثقة القادة المسلمين بقيادتهم العامة وطلبهم الدائم لتوجيهاتها ، فنرى أبا عبيدة بعد انتصاره في معركة اليرموك وفتح مدينة دمشق ، يرسل رسوله ، عرفجة بن ناصع النخعي ، يطلب التوجيه من الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة ، فيأمر الخليفة قائده المظفر وصديقه الحميم بأن يتوجه بالمسلمين نحو القدس . وعند ذلك يوجه القائد أبو عبيدة جيوشه نحو القدس ، على هيئة كتائب يقود كل منها أحد القادة ، أمثال خالد بن الوليد ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وتضم كل منها خمسة آلاف جندي ويفصل بينها وبين

(١) الطبري : ١ : ٢٤٠٥ - ٢٤٠٦ .

(٢) ابن سعد : ٣ : ٢٠٣ . اليعقوبي : ٢ : ١٦٧ . ابن عساكر : ١ : ٥٥٣ . الطبري : ١ : ٢٤٠٨ . البلاذري : أنساب الأشراف ق ٢ ص ٤٩٥ عن الواقدي .

(٣) ياقوت : ٥ : ٥٩٨ - ٥٩٩ . البلاذري : فتوح : ١٣٨ - ١٣٩ . الطبري : ١ : ٢٣٦٠ .

الكتيبة الأخرى مسيرة يوم واحد . بالإضافة لجيش عمرو بن العاص الذي كان قد سبقهم إليها ، وإلى ضعفة الناس والنساء الذين سار بهم أبو عبيدة^(١) على مهل رفقاً بهم .

وكدأب المسلمين في فتوحاتهم ، وجه أبو عبيدة رسالة لأهل القدس خيرهم فيها بين الدخول في الإسلام ، أو دفع^(٢) الجزية ، أو القتال . فكان أن رفض بطريكها صفرونيوس - الذي تولى قيادتها بعد فرار بطريكها إلى مصر على إثر معركة أجنادين - رفض طلب أبي عبيدة ، وتحصن بالمدينة آملاً في وصول إمدادات ونجدات رومية إليه ، خصوصاً وهو يعلم أهمية القدس لدى الروم النصارى ، وظناً منه أن المسلمين لن يستطيعوا تحمل برد القدس الشديد ، مما سيضطّهرهم لفك الحصار عندما يشتد البرد .

وهنا تبدو مرة أخرى مقدرة المسلمين على تحطّي الشدائد ، فتحملوا بتجهيزاتهم البسيطة ، برد القدس الشديد وأمطارها الغزيرة ، ولاقوا من ذلك عنتاً كبيراً ولكن لم يفت في عزيمتهم ولم يفكروا في فك الحصار .

وعند حلول فصل الربيع ، رأى صفرونيوس أن ما توقعه لم يحدث ، فلا الروم أنجدوه ، ولا البرد أجبر المسلمين على فك الحصار . فلم يجد بدأً من عرض التسليم على أبي عبيدة ، ولكنه اشترط أن يحضر الخليفة بنفسه من المدينة المنورة^(٣) ليتسلم القدس ويعطي أهلها عهداً ، وذلك لما كان يسمعه عن الخليفة عمر بن الخطاب من عدالة ، ورفق ، ووفاء بالعهد .

ورغم أن بعض قادة أبي عبيدة قد أشاروا عليه بمناجزة أهل القدس حتى يجبروهم على الاستسلام ، إلا أن ما رآه أبو عبيدة من شدة ما قاساه المسلمون من البرد ، وما قاساه أهل القدس من الحصار الذي طال أمده ، دفعه لأن يكتب للخليفة ، يخبره بأحوال المسلمين والنصارى ، وبما عرضه عليه من تسليم المدينة^(٤) للخليفة شخصياً ، وأشار عليه بالحضور لأن في ذلك حقناً لدماء المسلمين .

أرسل أبو عبيدة رسالته مع رسول من المسلمين يرافقه وفد من أهل القدس أرسلهم صفرونيوس . وذكر أن أشد ما أثار دهشة وفد النصارى أن رسول أبي عبيدة أخذ يسأل عن

(١) الواقدي : ١ : ٢٢٩ .

(٢) مجير الدين : ١ : ٢٤٧ .

(٣) مجير الدين : ١ : ٢٤٩ .

(٤) مجير الدين : ١ : ٢٥٠ .

مكان الخليفة حتى وجده مستلقيا من الحر ، فقدم إليه وفد أهل القدس رسالة أبي عبيدة ، وجلس الرسول بجانبه ببساطة العربي وأخوة الإسلام يصف له أحوال المسلمين ويبلغه سلامهم ، في حين وقف وفد أهل القدس وهولا يكاد يصدق ، أن حاكم المسلمين الذين دَوَّخُوا دولتي الفرس والروم ، ليس له مقر معروف ، ولا حرس ولا حجاب ، وانه في مثل هذا الحال من البساطة في المظهر والمعاملة .

وهنا يلجأ عمر بن الخطاب لاستشارة الصحابة كدأبه في مثل هذه الأحوال ، فيشير عليه بعضهم بالخروج ويشير بعض آخر بعدم الخروج . ولكنه يفضل الخروج رغم مشاق السفر ، ويستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ويصطحب خادمه وبعض أصحابه منهم عبادة بن الصامت ، والزبير بن العوام ، والعباس بن عبد المطلب^(١) .

وتبدو البساطة واضحة في تجهيزاته للخروج ، فيركب بغيره الأحمر ، ويضع عليه غرارتين في أحدهما سويق ، وفي الآخر تمر ، ويضع بين يديه قربة ماء وخلفه جفنة زاد . كل ذلك أمام وفد أهل القدس ودهشتهم .

ومن تواضعه أنه عندما وصل إلى مشارف بلاد الشام ، استقبله المسلمون بالرايات والسيوف والخيول وعلى رأسهم أبو عبيدة . وأقبل أبو عبيدة على الخليفة عندما رآه مسلماً عليه ومحاولاً أن يقبل يده تعظيماً له ، ثم تعانقا ، وقيل إن المسلمين قدّموا لعمر بردوناً وثياباً بيضاء ليكون مظهره مهيباً ، في قلوب الروم ، ولكنه رفض الثياب وركب البرذون ، فهملج به البرذون ، فنزل عنه مسرعاً وركب بغيره وقال : « لقد غيرني هذا حتى كدت أتغير وأنس نفسي »^(٢) .

وروي أن عمر بن الخطاب وهو في طريقه من المدينة إلى القدس ، عرضت له مخاضة ، فنزل عن بغيره ، ونزع جرموقيه وأمسكها بيديه وخاض الماء ومعه بغيره ، فقال له أبو عبيدة : « لقد صنعت اليوم صنعا عظيماً عند أهل الأرض » فيما كان من عمر إلا أن صك أبا عبيدة في صدره قائلاً : « لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام »^(٣) .

(١) الواقدي : ١ : ٢٣١ روى الطبري عن سيف أن عمر استخلف علي بن أبي طالب على المدينة . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٦١/٧ .

(٢) مجير الدين : ١ : ٢٥٢-٢٥٠ . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٦١/٧ ، والطبري : ١ : ٢٤٠٨ .

(٣) مجير الدين : ١ : ٢٥٣ .

وزاد من دهشة النصارى أن عمر بن الخطاب عندما اقترب من القدس كان يركب ركوبة غلامه ، وكان غلامه يركب جملة الأحرار^(١) ، فعندما رآه أهل القدس يركب حماراً صغيراً ، وقيل كان ماشياً والخادم يركب جملاً أحمر ، أكبروه وسجدوا له ، فقال : « لا تسجدوا للبشر واسجدوا لله » . فتعجب القسيسون والرهبان من ذلك وقالوا : « ما رأينا أحداً قط أشبه في وصف الحواريين من هذا الرجل »^(٢) . وقال صفرونيوس باكياً « إن دولتكم باقية على الدهر ، فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة »^(٣) .

كما تجلّى حرصه على أموال النصارى في تصرفه - لدى وصوله القدس - عندما علم بأن المسلمين قد استولوا على كرم من العنب يقع قرب المدينة ، وكان تحت يد الروم وقد غلبهم المسلمون عليه ، وكان الكرم لرجل من النصارى ، فأخذ المسلمون يأكلون من عنب ذلك الكرم ، فأسرع النصراني إلى عمر بن الخطاب شاكياً ، فدعا عمر ببرذون له فركبه عرياناً من العجلة ، ثم خرج يركض به ليردّ المسلمين عن الكرم ، فلقى في طريقه أبا هريرة يحمل فوق رأسه عنباً ، فقال له الخليفة عمر : « وأنت أيضاً يا أبا هريرة ؟ » . فقال أبو هريرة : « يا أمير المؤمنين ، أصابتنا مخمصة شديدة ، فكان أحق من أكلنا من ماله من قتلنا » . وعند ذلك استدعى عمر رضى الله عنه صاحب الكرم ، وطلب منه أن يقدر ثمن محصوله ، لأن الناس كانوا قد أكلوه ، فقدره الذمي ، ودفع له عمر ثمنه ، فما كان من الذمي إلا أن أسلم^(٤) .

وصف المصادر النصرانية لدخول الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه القدس :

وأذكر هنا ما أورده مؤلفا كتاب (تاريخ القدس ودليلها) وهما نصرانيان ، نقلاه بدورهما عن كتاب للآباء الفرنسيسكان وهم من أكثر الفئات تعصباً للنصارى ، فقد ذكرا بأن عمر بن الخطاب عندما قدم إلى القدس « استطلع أبا عبيدة على ما كان من أمر القتال ، فقص عليه أبو عبيدة تفصيلاً لما جرى ، وما أصاب المسلمين وأهل القدس من الضيق والشدة ، فبكى عمر ، وأمر فوراً بأن يبلغوا البطريرك قدومه ، ففعل أبو عبيدة ما أمره

(١) ابن عساکر : ٧ : ٢٢٦ .

(٢) ابن عساکر : ٧ : ٢٢٦ .

(٣) ابن عساکر : ٧ : ٢٢٦ .

(٤) مجير الدين : ١ : ٢٥٣ .

به الخليفة . وعند ذلك خرج صفرونيوس ومعه الرهبان والصلبان ووجوه النصارى ، فلما انتهوا إليه ، خف للقائهم ، وقد حياهم بالسلام ، واقتبلهم بمزيد من الاحتفاء والإكرام . وبعد أن تجاذب والبطريق أطراف الحديث ، في شأن المعاهدة والتسليم ، أخذ قرطاساً وكتب لهم وثيقة أمانهم كما طلبوا . وقد رفض عمر عند دخوله المدينة أن يصلى في كنيسة القيامة وصلى على مقربة منها . وعندما فرغ من صلاته قال للبطريك : أيها الشيخ لو أنني أقمت الصلاة في كنيسة القيامة ، لوضع المسلمون عليها أيديهم في حجة إقامة الصلاة فيها ، وأني لأبى أن أمهد السبيل لحرمانكم منها ، وأنتم بها أحق وأولى «^(١)» .

وصف المصادر الإسلامية لدخول المسلمين مدينة القدس :

أما المصادر الإسلامية فتذكر أن الخليفة كتب للبطريك صفرونيوس عندما حضر لاستقباله على جبل الزيتون كتاباً ، أمنهم فيه على دمائهم وأمواهم وكنائسهم ، إلا أن يحدثوا حدثاً عاماً ، شريطة أن يدفعوا الجزية^(٢) . وقد ذكرت المراجع الإسلامية والنصرانية ، نصوصاً مختلفة لهذا العهد الذي عرف بالعهد العمرية لا مجال للتفصيل فيها . ثم دخل الخليفة يرافقه قادة المسلمين وأربعة آلاف جندي منهم ، لا يحملون إلا السيوف في أعمادها خوفاً من الغدر ، فزار كنيسة القيامة وصلى على مقربة منها ، ثم طلب من صفرونيوس أن يدلّه على مسجد داود عليه السلام ، الذي أسرى بالرسول ﷺ إليه حيث صلى فيه وعُرجَ به منه إلى السماء . فطاف به صفرونيوس على عدة أماكن ، وعمر ينظر إليها ثم ينكرها ، لمخالفتها للوصف الذي وصفه الرسول ﷺ يوم سرى به ، فلما وصل به صفرونيوس إلى ساحة المسجد الأقصى ، وكانت مليئة بالزبل ، نظر عمر يميناً ويساراً ثم كبر قائلاً : « هذا والله مسجد داود عليه السلام الذي وصفه لنا رسول الله ﷺ » فأزال المسلمون الزبل عن المكان ، فصلى فيه وقيل طلب من المسلمين ألا يصلوا فيه حتى تصيبه ثلاث مطرات^(٣) .

المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب في ساحة المسجد الأقصى :

قال عمر بن الخطاب لكعب الأحمري : « يا أبا اسحق ، أتعرف موضع الصخرة ؟ » . فقال كعب : « اذرع من الحائط الذي يلي وادي جهنم ، كذا وكذا ذراعاً ، ثم احفر فإنك

(١) خليل طوطح ورفيقه : ٢٣-٩ ، انظر الأباء الفرنسيسكان : السير السليم من يافا إلى أورشليم القدس ١٨٩٠ م .

(٢) اليعقوبي : ٢ : ٤٦ .

(٣) مجير الدين : ١ : ٢٥٥ .

تجدها» . وعندما حفر عمر ومن معه ظهرت الصخرة . وقيل إن عمر رضى الله عنه عاد فسأل كعباً : « أين ترى أن نجعل المسجد ؟ - أوقال القبلة - » قال كعب : « اجعله خلف الصخرة ، فتجتمع القبلتان ، قبله موسى عليه السلام ، وقبله محمد ﷺ » . فقال له عمر - بعد ان صكه بيده في صدره - : « لقد ضاهيت اليهودية بأبا اسحق ! خير المساجد مقدمها . فنجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبله مساجدنا صدورها . إذهب ، إليك عني ، فإننا لم نؤمر بالصخرة ، وإنما أمرنا بالكعبة . وما الصخرة إلا قبلة منسوخة » (١) .

مكان المسجد :

قال الواقدي : لقد خط عمر مسجده إلى الجنوب الغربي من الصخرة المشرفة (٢) . وذكر البكري وابن حبيش والمقريزي في الخطط وجمال الدين في مثير الغرام ونقل عنه السيوطي أن عمر بنى مسجده أمام الصخرة المشرفة (٣) . وذكر مجير الدين أن بداخل المسجد الأقصى في صدره من جهة الشرق مجمع معقود بالحجر وأشيد به محراب ، ويقال لهذا المجمع جامع عمر ، لأنه من بقية بناء عمر عند الفتح (٤) . وذكر كروزيل بأن المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب كان مكان المسجد الأقصى اليوم ، ونقل ذلك عن كليرمنت غانو (٥) .

وصف المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب :

لم يشر البلاذري (ت ٨٦٨ م) ، والطبري (ت ٩١٥ م) ، واليعقوبي (ت ٨٧٤ م) ، وابن الفقيه (ت ٩٠٣ م) . إلى المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب عندما تعرضا لفتح القدس ، ووصفا الحرم القدسي في أيامه الأولى ، وهذا أمر يدعو إلى الاستغراب .

وقد وصفه الواقدي فقال : « وخط عمر بن الخطاب مسجده إلى الجنوب الغربي من الصخرة وصلى وأصحابه به صلاة الجمعة . وكان البناء من الخشب ، ويتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصلي ، وغادر القدس بعد أن أقام بها عشرة أيام (٦) .

(١) الواقدي : ١ : ٢٤٢ ، الطبري : ١ / ٢٤٠٩ عن رجاء بن حيوة عن شهد الفتح .

(٢) الواقدي : ١ : ٢٤٢ .

(٣) ابن البطريق : نظم الجواهر ٢ : ١٧٠ .

(٤) مجير الدين : ١ : ٣٦٧ .

(٥) Greswell L. P.11

(٦) الواقدي : ١ : ٢٤٢ .

وأقدم وصف لهذا المسجد أورده أحد السائحين الفرنجة إلى الشرق وهو الأسقف اركولف ، اسقف غاليا (فرنسا اليوم) ، حيث زار القدس بقصد الحج عام ٦٧٠م أي بعد الفتح الإسلامي بحوالي اثنين وعشرين عاماً فقط . فقال إن عمر بن الخطاب بنى بساحة الهيكل مسجداً مربع الشكل ، يتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصلي ، ويقع إلى جوار الحائط من الشرق ، وهو مبني من بقايا أعمدة وجذوع أشجار ، وغير مسقوف . كما ذكر لي سترانج بأن المؤرخ الرومي ثيوفانوس (٧٥١-٨١٨ م) قد وصف المسجد الذي بناه عمر فقال : « إن الخليفة عمر بن الخطاب بدأ يبني مسجده في منطقة الهيكل سنة ٦٤٣م (٢٢ هـ)^(١) ، لهذا ظل الغربيون والنصارى عامة يطلقون إسم (مسجد عمر) على المسجد الأقصى ، مع أن (مسجد عمر) عند المسلمين هو المسجد الصغير المقام أمام كنيسة القيامة على المكان الذي صلى فيه عمر بن الخطاب عندما فتح القدس .

خاتمة :

وبعد فهذه عجالة سريعة ، وصورة خاطفة ومشهد قصير في مدته ضيق في مساحته ، ولكنه كملايين المشاهد الخالدة مليء بالمفاخر التي حققها سلفنا الصالح ، صحابة النبي ﷺ . فكان أن فتحت عليهم المشارق والمغارب ، ودانت لهم الجبابرة ، وعم على أيديهم نور الإسلام أنحاء المعمورة . فكانوا قدوة للعالمين في تمسكهم بعقيدتهم ، والتزامهم بتعاليم دينهم ، وفي وحدتهم وتناصحهم وجهادهم ، بعد أن كانوا في جاهليتهم مضرباً للمثل في الفرقة ، والفردية الأنانية ، والذل ، وما ذلك إلا بإرادة الله وفضل الإسلام . والله الموفق .

المصادر والمراجع

- ١ - ابن البطريق ، اوثيشيوس الاسكندري (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ) : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . بيروت ١٩٠٤ م .
- ٢ - ابن حنبل ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن محمد بن محمد . . . بن هلال (١٦٤-٢٤١ هـ) : المسند ، تعليق أحمد محمد شاكر . القاهرة ١٩٤٦ م .
- ٣ - ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، أبو عبد الله : الطبقات الكبرى . بيروت ١٩٥٧م

- ٤ - ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله . . . الدمشقي الشافعي ، أبو القاسم (٤٩٩-٥٧١ هـ) : تاريخ دمشق وأخبارها (التاريخ الكبير) . دمشق ١٣٢٩ هـ .
- ٥ - الأزدي ، محمد بن عبد الله . . . البصري ، أبو إسماعيل البصري : فتوح الشام . كلكتا ١٨٥٤ م .
- ٦ - البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (القرن الثالث الهجري) : فتوح البلدان . نشر صلاح المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ ، انساب الاشراف . القاهرة .
- ٧ - Greswell (K.A.C.) : Early Muslem Architecture Ymmayyads 622-750 Lsted. Oxfod 1940 .
- ٨ - خليفة بن خياط ، أبو عمر بن خياط بن أبي هبيرة . . . الليثي ، العصفري ، الملقب بشهاب (القرن الثالث الهجري) تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق أكرم ضياء العمري . بغداد ١٩٦٧ م .
- ٩ - خليل طوطح ، وبولس شماده : تاريخ القدس ودليلها . القدس ، بدون تاريخ .
- ١٠ - Strange (Guy Le) : Palestine Under The Muslims : London 1980 .
- ١١ - الطبري ، أبو جعفر ، محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠ هـ) : تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٠-١٩٦٩ م .
- ١٢ - مجير الدين العليمي ، عبد الرحمن بن محمد . . . العليمي المقدسي (٨١٠-٩٢٧ هـ) : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل . عمان ١٩٧٧ م .
- ١٣ - مسلم ، الإمام مسلم أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم الفشيري (٢٠٦-٢٦١ هـ) : الجامع الصحيح . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة ١٩٥٥ م .
- ١٤ - الواقدي ، أبو محمد عبد الله بن عمر ١٣٠-٢٠٧ هـ : فتوح الشام . عمان ١٩٧٥ م .
- ١٥ - ياقوت ، بن عبد الله الرومي الحموي (٥٧٥-٦٢٦ هـ) : معجم البلدان . بيروت ١٩٥٥ م .
- ١٦ - اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح ، العباسي المعروف بابن واضح ، وابن اليعقوبي (المتوفى ٢٨٤ هـ) : تاريخ ابن واضح . النجف ١٣٥٨ هـ .

الإسلامُ والمسلمون في إنجلترا ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم

- ٢ - للدكتور محمد إبراهيم الهيم الجبوري
أستاذ بالدراسات العليا

مشاكل المسلمين : بعد أن عرفنا أن المسلمين في إنجلترا يبلغون زهاء المليون ونصف ، وأنهم اتخذوها وطناً لهم ، فإننا نتساءل :

كيف يباشرون عباداتهم اليومية في تلك البلاد وكيف يحصلون على طعام حلال لا شبهة فيه ؟ وكيف تتعرف الأجيال الناشئة في وسط هذا المجتمع الغريب عن الإسلام على مبادئ الدين وسلوكه وأخلاقه ومنهج حياته ؟

في الحقيقة إن كل سؤال من هذه الأسئلة يمثل مشكلة تواجه كل مسلم يستقر في هذه البلاد ، ويحاول أن يجد لها حلاً ، وبعض هذه المشاكل قد وجدت لها حلول كاملة ، وبعضها الآخر اهتدت إلى حلول جزئية تحتاج إلى متابعة .

١ - فبالنسبة لمشكلة الطعام الحلال : لقد حلت هذه المشكلة ، بواسطة المحلات والمطاعم الإسلامية المنتشرة في كل مدينة وحى وقرية يسكنها مسلمون ، وقد يدرك ذلك إخواننا الذين يترددون على لندن من وقت لآخر .

٢ - وأما بالنسبة لأماكن العبادة : فقد واجهها المسلمون باتخاذ أماكن للعبادة مؤقتة أو دائمة ، وسبيلهم إلى ذلك يبدأ بتجمع السكان المسلمين في كل حى ، ثم يؤلفون جمعية من أنفسهم تتخذ لها مقراً مؤقتاً في الحى ، وغالباً ما تبدأ باستئجار أحد المنازل تجتمع فيه لتدارس أمورها ، ثم تخصص جانباً منه للصلاة وجانباً للاجتماعات ، وجانباً لتعليم الأطفال إن أمكن ، وينمو هذا الاتجاه بسرعة أو ببطء حسب نشاط القائمين على الجمعية ، وغالباً ما ينتهى بشراء مكان خاص يتخذ مسجداً ، وتقوم من حوله أوجه النشاط الأخرى ، وعن هذه الطريقة أصبحت لا تجد حياً في مدينة لندن أو سواها من المدن التي يقطنها المسلمون إلا وبه مسجد يصلى فيه المسلمون ، ويباشرون أنشطتهم الدينية الأخرى ،

وترتب على ذلك أن أقيمت مساجد جديدة على الطراز الإسلامي كما هو الحال في المركز الإسلامي ومسجد لندن المركزي ، وهو أكبر المؤسسات الإسلامية هناك ، وسعود الحديث عنه ، ومسجد ويمبلدن ، ومسجد شرق لندن ، ومسجد نور الإسلام بكارديف ، ومسجد ساوث شيلد ، ومساجد برينجهام ومنشستر ، وليفربول وشيفيلد وسواها كثير .

وأحيانا يشتري المسلمون كنيسة أو معبدا يهوديا ثم يحولونه إلى مسجد كما هو الحال بالنسبة لبرستول ونيوكاسل ، وأماكن متعددة في لندن ، ومن ألطف ما يذكر في هذه المناسبة أن عددا من التجار السوريين يقيمون في مدينة منشستر كانوا أول من اشترى كنيسة وحولوها إلى مسجد وأطلقوا عليه اسم الجامع الأزهر تيمنا بالأزهر ودوره في نشر الثقافة الإسلامية . وأحيانا يشتري المسلمون بناية ويحولونها إلى مسجد ، وهذا هو الغالب في الأماكن التي تتخذ مساجد في انجلترا الآن لأن تكاليفه أقل من إقامة مبنى جديد ، وحسبك أن تعلم أنه يوجد في لندن وحدها الآن قرابة مائتي مكان للصلاة منتشرة هنا وهناك ، وبهذه الوسائل حلت هذه المشكلة . وقد أصبح من المؤلف الآن أن ترى في مدن انجلترا المختلفة مآذن المساجد مرتفعة هنا وهناك ، وليس غريبا أن أصبح مسجد لندن المركزي أحد المعالم الرئيسية للمدينة ، وقد تكلف بناؤه الجديد أكثر من خمسة ملايين جنيه استرليني ، ويتألف البناء من المسجد الذي يتسع من داخله لأكثر من ألفي مصل . يرتفع العدد إلى سبعة آلاف حينما يستعمل الطابق السفلي والرحبات المحيطة بالمسجد من الغرب والشمال والشرق ، ويلمس الزائر للندن في الصيف هذه الأعداد الضخمة فعلا تحضر صلاة الجمعة في المسجد الذي يقدم صورة صادقة للأخوة الإسلامية الخالصة تلتقي في رحاب بيت من بيوت الله .

ويضم المبنى أيضا مكتبة إسلامية ضخمة صممت لتسع خمسة وسبعين ألف كتاب عن الإسلام باللغات المختلفة ، وكان الأمل معقودا أن تتخذ هذه المكتبة مركز انطلاق للدراسات الإسلامية في قلب أوروبا يقوم على توجيهها علماء مسلمون ، ولعل ذلك يتحقق قريبا إن شاء الله تعالى .

ويضم المبنى أيضا إدارة المركز الإسلامي وصلات الاجتماعات التي تعقد فيها الندوات والمؤتمرات ، ويستقبل فيها وفود الزوار من الراغبين في التعرف على الإسلام ، وعادة ما يكون هؤلاء من طلاب المدارس العليا والجامعات حيث يستمعون إلى محاضرة عن

الإسلام يعقبها نقاش حول بعض القضايا وموقف الإسلام منها ، وأحيانا يسبق ذلك أو يلحقه عرض أحد الأفلام الذى يقدم صورة إسلامية حضارية أو تاريخية أو عبادية .

ومن معرفة الفضل لأهله أن نذكر هنا أن المغفور له جلالة الملك فيصل قد أسهم بالنصيب الأكبر فى تكاليف إقامة هذا البناء ، وأن المغفور له جلالة الملك خالد قد وقف على المسجد والمركز مبلغ مليون ومائتى ألف جنيه استرليني يستغل فى بعض المشاريع النافعة وينفق من ريعه على احتياجات المسجد ونشاطات المركز التى تزيد سنويا عن مائتى ألف جنيه استرليني .

ومن طريف ما يذكر هنا أن أقدم مسجد أقيم فى لندن كان فى حديقة أحد القصور المطلة على نهر التيمس ، أقامته سيدة إنجليزية تدعى ليدى استانلى هوب Lady Stanly Hope منذ حوالى ثمانين عاما ، كانت معنية بالبحث فى تاريخ طائفة الدروز ، ورحلت إلى دمشق ، وأقامت فى ضيافة إحدى الأسر السنية هناك ثم استضافت فيها بعد رب الأسرة فى لندن ، وأقامت له مسجدا فى حديقة القصر حتى يؤدى صلواته فيه أثناء إقامته بلندن ، وقد حافظ أحفاد هذه السيدة على المسجد وظلوا يفتحونه لصلاة العيدين فى كل عام ، ومنذ اثنى عشر عاما عرض القصر للبيع ، وجاء مالكوه إلى المركز الإسلامى يعلنون عن رغبتهم فى أن يشتريه أحد المسلمين حتى يحافظ على المسجد ، إلا أننا للأسف لم نوفق فى ذلك الوقت إلى من يرغب فى شرائه من المسلمين . ولست أدرى ماذا آل إليه أمره الآن .

ج - أما كيف تربي الأجيال المسلمة الناشئة : فهذه هى المشكلة التى يتوقف على النجاح فى علاجها مستقبل الإسلام فى هذه البلاد وقد تجسم الإحساس بهذه المشكلة بعد أن نشأت أجيال ولدت فى انجلترا وشعر الآباء بالحاجة الملحة فى تنشئة أبنائهم حسب تعاليم دينهم ، ولم يشعر الجيل الأول القادم إلى تلك البلاد بهذه المشكلة ، لأنه قدم إليها بعد ما استوى عوده ، ونشأ فى بلاده على الأخلاق الإسلامية ، والسلوك الإسلامى ومرن على القيام بواجباته الدينية ، فلم يكن من السهل أن تجرفه التيارات والاتجاهات المخالفة لما ألفه فى بلاده وتربى عليه ، بل إن عددا منهم كان يبنى مسجدا صغيرا فى حديقة منزله مماثلا للمساجد فى بلده التى عاش فيها ونشأ وكان إذا اضطر لبيع المنزل يشترط على المشتري أن يحافظ على المسجد ويقيه مفتوحا للمسلمين فى الصلوات الخمس ، رأيت هذا المثل فى مدينتين ساحليتين من ضواحي كارديف تسمى إحداهما نيوبورت يعنى الميناء الجديد ، وتسمى الثانية بارى أيلند يعنى جزيرة بارى ، لذلك لم يكن هناك خوف على هؤلاء الذين

قدموا ولهم من الحصانة الدينية ما يحميهم من المغريات .

فلما نشأت أجيال جديدة ليست وثيقة الصلة ببلادهم الأولى ، ولا يستطيعون أن يتحدثوا لغة الآباء إلا بصعوبة بالغة بدت في الأفق دلائل الخطر التي تهدد الأجيال الناشئة بالضيق ، فتحرك الآباء والمهتمون بأمر الدعوة الإسلامية هناك ، وأخذوا في البحث عن علاج لهذه المشكلة ، قبل أن يستفحل خطرها ، وتستعصى على الحل . وسارت الحلول في اتجاهات متعددة ، تمثلت في افتتاح فصول في آخر الأسبوع في أماكن تجمعات المسلمين يتعلم فيها أبناءهم الضروري من أمور دينهم وتسمى هذه الفصول مدارس آخر الأسبوع Week and Schools واستطعنا أن نرتفع بعدد تلاميذ هذه الفصول في لندن وحدها في فترة ما إلى ألفى تلميذ ، وحاولت بعض الجمعيات الإسلامية أن تهيب فترة يومية لأبناء المسلمين في المساجد والجمعيات الإسلامية بعد انتهاء اليوم الدراسي ، وقام آخرون بالاتصال بمديري المدارس الحكومية التي يوجد بها تلاميذ مسلمون ، وخصصت لهم أوقات محددة -حوالي عشرين دقيقة في الصباح قبل بداية اليوم الدراسي مرتين أو أكثر أسبوعياً يسمح فيها لأحد المدرسين المسلمين بالتحدث إلى التلاميذ المسلمين بالمدرسة عن الإسلام ، وهو جهد قليل الجدوى على الرغم من الإخلاص البادى في القائمين عليه ومما لاشك فيه أن هذه المحاولات تعكس اهتمام الآباء بمصير الأبناء إلا أنها ليست كافية لمواجهة المشكلة والتغلب عليها ، وذلك لأن الأوقات المخصصة للدراسة ليست مناسبة لأنها إما أن تكون بعد أن يقضى التلميذ يوماً مرهقاً في المدرسة يحتاج بعده إلى الراحة والاستجمام . أو أنها في يوم الراحة الأسبوعية وهو ضروري من الناحية التربوية لاستمرار نشاط التلميذ في الإقبال على دروسه بدون ملل أو سأم ، أو أنها في أوقات مبكرة قبل بداية اليوم الدراسي مما يجعلها ثقيلة على الأطفال غير محببة إليهم وآثارها النفسية في هذه الحالات معروفة للجميع هذا بالنسبة للوقت أما بالنسبة للأمكنة فإن كثير من القائمين على هذه الفصول لم تساعد إمكانياتهم المادية والتربوية على تهيئة الاستعداد الكافي الذي يناسب مستويات هذه البلاد وطبيعتها وتبدو الآثار الضارة لهذا التفاوت في الاستعدادات حينما يقارن الطفل بين ما يجده في مدرسته التي يشارك فيها الآخرين من أبناء الشعب الانجليزي ، وبين هذه الفصول التي يتلقى فيها تعليمات باسم الإسلام مما يجعله يحس بالفرق بين ما ينتسب للإسلام وما ينتسب إلى سواه ، وهذا يسبب خطراً نفسياً يتعرض له أطفال المسلمين في تلك البلاد .

وبالنسبة للمدرس والكتاب فلم يكن هناك مدرس متخصص أو منهج متكامل ، وقد دعانا ذلك إلى الاستعانة بعدد من طلاب الدراسات العليا بين المسلمين ليقوموا بعملية

التعليم ، وأما موضوع الكتاب فقد أمكن التغلب على النقص في المنهج بإعداد سلسلة من الكتب المدرسية باللغة الانجليزية تقدم المعلومات الضرورية للناشئة المسلمين من سن الخامسة حتى الخامسة عشرة .

وعلى الرغم من كل ذلك فإن المشكلة لاتزال قائمة تحتاج إلى حل عاجل ، ومن استعراض هذه النماذج التي أشرنا إليها نرى أن مدارس آخر الأسبوع أكثرها فائدة ، وقد أشرف المركز الإسلامي في لندن على إدارة أعداد منها في لندن وضواحيها وقدم المساعدات المالية والثقافية للقائمين عليها في الأماكن المختلفة ، ولكن ذلك كله لا يقدم حلا جذريا لهذه المشكلة .

لكل هذه الظروف وانطلاقا من الإحساس بالخطر المقبل ، ومحاولة تأمين مستقبل النشء المسلم في تلك البلاد إلى جانب ما لاحظناه من أن عددا من أسر المسلمين في الشرق العربي والإسلامي يبعثون بأبنائهم إلى المدارس الانجليزية الخاصة ويقدمون في سبيل ذلك نفقات باهظة ليتلقى أبنائهم تربية تختلف في أهدافها ومناهجها وقيمها عن أهداف الإسلام وقيمه ومناهجه فإذا ما أكملوا دراستهم وعادوا إلى بلادهم شعروا أنهم غرباء بين أهليهم وذويهم وعاشوا في صراع معلن أو خفي والخاسر في كل الحالات هو العالم الإسلامي لهذا رأينا أن نتقدم بمشروع إنشاء مدرسة إسلامية كاملة تحقق للنشء المسلم ما نريد ، وتحميه من الضياع وتكون نموذجا يحتذى لمن يريد أن يشارك في هذا المجال ويتلخص المشروع فيما يلي :

١ - تتكون المدرسة من مراحل التعليم المختلفة من الروضة إلى نهاية المرحلة الثانوية .

٢ - تزود المدرسة بكل ما تستلزمه التربية الحديثة من استعدادات من ملاعب وصلات اجتماعات ودور للعرض وحمامات للسباحة إلى جانب المسجد الذي ترتبط المدرسة به ارتباطا وثيقا ، ويراعى في مواعيد الدراسة عدم تعارضها مع أوقات الصلاة .

٣ - يدرس الطلاب المناهج الانجليزية كاملة ، مضافا إليها دراسة الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخا وحضارة وأخلاقا وسلوكا ، ودراسة اللغة العربية وآدابها دراسة تمكن الطلاب من إتقانها فهما ونطقا وكتابة .

٤ - إعطاء عناية خاصة للقرآن الكريم والسنة النبوية وتقديم جوائز لمن يثبت تقدما في حفظ الكتاب والإمام بالسنة .

٥ - إعداد مساكن خاصة بالطلاب ، ومعلوم أن هذا الاقتراح لو أخذ في تطبيقه فسيكون هناك مدارس خاصة بالبنات على نفس المستوى ونتيجة هذا الاقتراح حينها يطبق أن المتخرج من هذه المدارس سيكون من الممكن بالنسبة له الالتحاق بأى جامعة فى أى بلد إسلامى أو عربى بدون إحساس بوجود أى فرق بينه وبين الطلاب الآخرين لأن ما درسه من العلوم الإسلامية والعربية سيهيىء له ذلك على أحسن وجه ، فإذا التحق بجامعة فى بلد أوروبى لا يخشى عليه من الاندفاع وراء الدعوات البراقة لأنه قد تلقى من الدراسات الإسلامية والعربية ما زوده بزيادة كاف للصمود فى وجه الإغراءات السلوكية والفكرية التى تعج بها الحياة فى تلك البلاد .

وقد قدم نص المشروع كاملا إلى مجلس أعضاء المركز الإسلامى بلندن منذ أكثر من اثنى عشر عاما ، ولكنه لازال ينتظر من يوفقه الله فيضعه موضع التنفيذ ، ومن الممكن الحصول على نسخ منه لمن يريد وياحبذا لتوثبت الجامعة الإسلامية تحقيقه ، فسيكون ذلك بلا شك حسنة تضاف إلى حسناتها المتعددة .

وإنى على يقين أن هذا المشروع لورأى النور بصورة شاملة فلن يكون هناك خطرا على ناشئة الإسلام فى تلك البلاد .

هذه هى المشكلات الرئيسية التى تواجه المسلم هناك وقد بقيت بعض المشكلات السهلة الحل مثل عقود الزواج حسب الشريعة الإسلامية ، وقد نظم ذلك منذ البداية وأصبح واحدا من المهام الرئيسية التى يباشرها المركز الإسلامى فى لندن والمراكز المماثلة فى المدن الأخرى وإيجاد مقابر خاصة بالمسلمين وإجراء مراسم الدفن والغسل حسب الشريعة الإسلامية .

مهمة المؤسسات الإسلامية :

أ - تهتم المؤسسات الإسلامية فى تلك البلاد بالدرجة الأولى بالحفاظ على أبناء المسلمين وحمائهم من الدوبان فى المجتمع الأوروبى ، وذلك عن طريق التعليم واللقاءات والندوات والاهتمام بالمناسبات الإسلامية والإعداد الخاص لها مثل شهر رمضان والاحتفال بالعيدين الفطر والأضحى والأيام الهامة فى تاريخ المسلمين ، والهدف من ذلك هو ربط الناشئة بتاريخهم ، ومن الوسائل التى تعكس هذا الاهتمام طبع مواقيت الصلاة على مدى العام وإعداد إمساكية شهر رمضان ، وإعداد تقاويم إسلامية يبين فيها التاريخ الهجرى مع التاريخ الأفرنجى .

ب - إعداد ونشر المطبوعات الإسلامية التي يحتاج إليها المسلمون والراغبون في التعرف على الإسلام من غير المسلمين ، وقد كنا منذ حوالي خمسة عشر عاما نعاني نقصا كبيرا في تقديم مطبوعات إسلامية باللغة الإنجليزية تمثله الصورة التالية : كنا نملك في مكتبة المركز عددا محدودا من ترجمة معاني القرآن الكريم يطالع فيها من يتردد على المكتبة ، فإذا جاء راغب في الازدياد من المعرفة بالإسلام لم نجد ما نقدمه له إلا الكتب العربية وهو لا يعرف العربية ، وحدث ذات يوم أن كنت في أحد الشوارع التي تقام فيها الأسواق أيام السبت من كل أسبوع ، فوجدت قسيسا يدعو الناس إليه ويوزع عليهم نسخا من الإنجيل مطبوعة طبعا أنيقا باللغة الإنجليزية ، وأغراني المنظر وأنا وصاحبي فتقدمنا منه ، فدفع بنسخة إلى كل منا ، ولما تفرس وجوهنا أدرك أننا لسنا من أهل البلاد فسألنا عن لغتنا الأصيلة وما كاد يعرف أنها العربية حتى مد يده إلى أحد الرفوف فاستخرج نسختين من الإنجيل باللغة العربية ، ونسختين من أسطوانات عليها تراتيل باللغة العربية أيضا وأخذني العجب من استعداد هؤلاء الناس ونشاطهم ، وأخذت أقارن في نفسي بين اهتمام هؤلاء بالترجيع لباطلهم ، وبين تهاوننا في إيضاح الحق الذي بين أيدينا ، وعدم قيامنا بما يجب علينا نحو الدعوة إلى عقيدتنا أو اتخاذ الاستعداد الضروري لتقديم بيان لمن يسأل أو يريد أن يعرف .

والدليل على هذا الفرق تلك الصورة التي عرضتها من الواقع الذي لمستته ، وفيها تقدم الكنيسة نسخ الإنجيل إلى من تلقاه عرضا باللغة العربية في قلب لندن ، ويعجز المركز الإسلامي هناك أن يقدم ترجمة لمعاني القرآن الكريم لمن يريدتها . وكلما زار المركز أحد الفضلاء من المسلمين قصصت عليه هذه القصة ، ولكن الله تداركنا برحمته ، فلم نلبث إلا قليلا حتى أخذت تتوارد على المركز مئات النسخ من ترجمة معاني القرآن الكريم ، وكان السيد حسن الشربتلي صاحب النصيب الأوفر في ذلك العمل جزاه الله خيرا ، وقد غادرت المركز منذ قرابة أربع سنوات ، وبه آلاف النسخ والحمد لله غير ما كنا نبعث به لكل طالب فردا أو مؤسسة أو هيئة ، ويندر أن تجد مدرسة أو جامعة أو مركزا من مراكز الثقافة أو سجنا إلا وتجد في مكتبة كل منها عددا من نسخ ترجمة معاني القرآن الكريم والكتب الإسلامية الأخرى .

وأصبح من الممكن لأي راغب في التعرف على الإسلام أن يجد من المطبوعات الإسلامية باللغة الإنجليزية ما يقدم له صورة وافية عن مبادئ الإسلام وعقائده وعباداته .

ج - استقبال وفود الطلاب أو المؤسسات الراغبة في التعرف على الإسلام من شباب المعاهد والجامعات وأعضاء الهيئات والجمعيات ويقدم لهم برنامج يبدأ بعرض فيلم عن الإسلام يتناول موقفا تاريخيا أو صورة حضارية أو يقدم عرضا لبعض العبادات في الإسلام كالحج مثلا ، ثم يعقب ذلك حديث عن الإسلام ، تدور بعده مناقشة حول النقاط التي يرغب الحاضرون في مزيد من الاستيضاح عنها سواء حول ما شاهدوه أو سمعوه أو كان من القضايا التي يريدون أن يعرفوا موقف الإسلام منها وبخاصة ما يتعلق بالزواج أو الطلاق أو حقوق المرأة في الإسلام أو نظرة الإسلام إلى أهل الديانات الأخرى وكيفية تعامله معهم .

وقد تبين من واقع التجربة أن عرض فيلم لبعض المشاهد الإسلامية يعتبر وسيلة ناجحة في جذب انتباه أبناء تلك البلاد . وقد لوحظ أن كثيرين ممن يحضرون في هذه الوفود يبعثون بعد عودتهم مباشرة في طلب مطبوعات إسلامية يستعينون بها في إعداد بحوث عن الإسلام في معاهدهم ، وبخاصة هؤلاء الذين ينتسبون إلى المدارس العليا التي تسمى High Schooles .

د - وأحيانا توجه هذه المؤسسات الدعوة إلى أحد العلماء المسلمين للتحدث إلى طلابهم عن الإسلام بالصورة التي قدمنا تفصيلا لها ، وقد يستبد العجب بالكثير منا حينما يعلم أن الكنائس أيضا كثيرا ما توجه الدعوات إلى المتخصصين للحديث عن الإسلام في صالات اجتماعاتها إلى جمهور المترددين على الكنيسة ، لأنهم يرون في ذلك وسيلة إلى جذب أكبر عدد ممكن للتردد على الكنيسة .

هـ - استقبال الراغبين في التعرف على الإسلام واعتناقه ، وتنظيم لقاءات متعددة بهم ينم خلالها عرض شامل لمبادئ الإسلام ، ثم يزودن بعدد من الكتب الإسلامية لدراستها ، ومناقشتهم في محتوياتها في اللقاءات التالية ، وعادة ما ينتهي كل ذلك بدخول هؤلاء في الإسلام وحصولهم على وثيقة من المركز بدخولهم في الإسلام .

وقد لوحظ أن أعداد هؤلاء الراغبين في اعتناق الإسلام في تزايد مستمر في السنوات الأخيرة ، وأن أغلبهم من الشباب من الجنسين ، ويتضح من المناقشات التي تدور مع هؤلاء ضعف ارتباطهم بالدين المسيحي وعدم اقتناعهم بما تسير عليه الكنيسة من طقوس لا تمس القلوب . وإنما تهتم بالشكليات فقط ، ولقد حاولت الكنيسة إغراءهم بالتردد عليها حتى إنها لجأت إلى بعض الأساليب التي تنفر منها الأديان ، وسهلت التقاء الفتى بالفتاة ، ولا عليها بعد ذلك أن تكون الكنيسة موثلا للعشاق والمراهقين .

والحقيقة أن انصراف الشباب عن الكنيسة قد دفع الكثيرين من علماء اللاهوت إلى البحث عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى موقف الشباب ، واضطروا إلى إعادة النظر في المسيحية ككل ، ومن الغريب أنهم وصلوا بعض ما قرره الإسلام منذ البداية بالنسبة للعقيدة المسيحية من أنها غير مقنعة حتى انتهوا إلى اعلان أن فكرة ألوهية المسيح فكرة خرافية ، ودعوا إلى تطوير العقيدة المسيحية لتتنشى مع الواقع وتقبلها العقول ، وقد وصلوا إلى هذه النتيجة من خلال بحوث عكفوا عليها وسجلوها ونشروها في كتاب طبع عام ١٩٧٦م بعنوان The Myth of God In Carnate وترجمته خرافة الإله المتجسد ، ولاشك أن مثل هذه الاتجاهات والبحوث تعكس الأزمة التي تمرّ بها الكنيسة ، وهذا يتطلب منا أن نتقدم بذكاء لنقدم البديل الذى يقنع العقل ، ويملأ القلب ، ويلبى هواتف الروح ، ويقدم المنهج العملى الذى يحقق التوازن النفسى بالمواءمة بين حاجات الجسد ، ورغائب الروح عملا بقول الله تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ وقول النبى ﷺ : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، حينئذ تجد الحياة طريقها السوى ، وتخلو من المادية القاسية الجافة التى تमित نوازع الخير فى الإنسان ، وتفيض منابع الحب فيه وتقضى على الرهينة السلبية التى تعتبر هروبا من الحياة لا يتفق مع المقصود من حكمة خلقها . ﴿ هو الذى أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ .

والحق الذى لا مرية فيه أن الطريق مهياً أمام الإسلام ، ولكن العقبة الحقيقية تكمن فى المسلمين أنفسهم ، ويوم أن يغيروا من أوضاعهم سيتغير كل شىء ، كما يقول الحق سبحانه : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

و- وتقوم المؤسسات الإسلامية فى انجلترا بدور اجتماعى فعال ، تابع من منطلق الأخوة الإسلامية ، فهناك العديد من الأسر المسلمة التى تتلقى معونات مادية تساعدها على التغلب على مشاق الحياة ، وتحفظ لها ماء وجهها ، وهناك كذلك الكثير من الطلاب الذين انقطعت بهم السبل يجدون من المؤسسات الإسلامية وبخاصة من المركز الإسلامى عوناً صادقا يتحمل عنهم نفقات دراساتهم عند الأزمات التى يمرون بها ، وتستغل حصيلة الزكاة فى القيام بهذه الالتزامات إلى جانب ما يقدمه القادرون من أهل الخير واليسار للإنفاق منه فى هذه الحالات .

نظرة إلى المستقبل : تقوم حركة نشيطة الآن فى أنحاء انجلترا تهدف إلى بناء مساجد ومراكز إسلامية ، وهى حركة يسودها فى الغالب الإخلاص ، ولكنها ينقصها التخطيط

وحسن القيادة ، وقد يترتب على انعدام التخطيط وحسن القيادة أن تضيق أموال المسلمين وتنفق في غير الهدف الذي جمعت من أجله ، إذ كثيرا ما أدى التنافس الشخصي أو التعصب لبلد أو إقليم أو جماعة إلى تعطيل أعمال هامة كان من الممكن أن يستفيد منها المجموع ، ولم يخل الجوال الإسلامي هناك من انتهازيين يريدون ركوب موجة التدين ، والتظاهر بالغيرة الإسلامية لتحقيق نفع مادي لأنفسهم ، ولهذا تجد أعدادا ضخمة من الرسائل والطلبات تقدم إلى الحكومات والمؤسسات الإسلامية في العالم العربي تطلب مساعدات مادية لإقامة بعض المشروعات الإسلامية ، وقد تكون الحقائق الواقعة لهذه المشروعات أقل بمراحل مما هو مسطر في الكتابات أو تكون مجرد فكرة فقط يبغى صاحبها من ورائها أن يجد وسيلة للسفر والوجهة عند بعض المسئولين ، وضمانا لأن توجه المساعدات التوجيه الصحيح أضع الاقتراحات التالية :

أ - أن تنشأ لجنة تسمى لجنة المساجد والمؤسسات الإسلامية يمثل فيها أعضاء من سفارات الدول التي تقدم المساعدات المالية للأغراض الإسلامية وعضو من المركز الإسلامي بلندن ويحال إلى هذه اللجنة كل الطلبات التي تأتي من الجمعيات لطلب المساعدة لتدرسها وترى مدى جدتها وأهميتها ، وتحول في الوقت نفسه الدول والمؤسسات المبالغ التي ترصدها للعمل الإسلامي في ذلك البلد مثلا إلى نفس اللجنة ، وتعطى صلاحيات توزيع ما تراه مناسبا على أصحاب هذه الطلبات حسبما يبدو من الدراسة التي تجريها حول المشروع ومدى أهميته للمسلمين والاطمئنان إلى استقامة القائمين عليه وجديتهم . وأعتقد أننا نستطيع بهذه الطريقة أن نؤدى خدمة جلية للمسلمين في تلك البلاد ونوجه أموال المسلمين إلى الوجهة النافعة .

ب - أن تعد لجنة أخرى من المهتمين بأمر التعليم والثقافة الإسلامية ، وتضع خطة منظمة لإقامة مدارس إسلامية على غرار الاقتراح السابق تعدله ميزانية خاصة ، وتتولى اختيار الأساتذة الصالحين للتدريس بهذه المدارس ، وهذا اللون من المدارس موجود في بلادنا للجاليات غير الإسلامية التي تعيش في العالم الإسلامي فلماذا لا نقيم لأبناء المسلمين مدارس مماثلة .

وعن هذا الطريق نكون قد خطونا الخطوة الأولى في تأمين مستقبل الأجيال القادمة وتزويدهم بثقافة إسلامية كافية إلى جانب ما يتلقونه من معارف العصر وعلومه ، والواقع أن هذا هو العمل الباقي الذي أخبر عنه النبي ﷺ حين قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

ج - إقامة دار نشر متخصصة تقوم بطبع الكتب الإسلامية وإصدار صحف ومجلات إسلامية للكبار والصغار على السواء من رجال ونساء ، وتتعب ما ينشر عن الإسلام والعالم الإسلامي فتقر الصحيح وترد على غير الصحيح .

د - إقامة مصرف إسلامي وشركات بناء إسلامية يقوم المصرف بالأعمال التجارية والاستثمارية حسب شريعة الإسلام ، ويحمي التجار المسلمين من المضاربات غير المأمونة ، ومن التعامل بالربا مع البنوك الأجنبية .

وقد دفعني إلى تقديم هذا الاقتراح حوار دار بيني وبين أحد التجار المسلمين في لندن ، قال لي فيه : إنه يكون أحيانا أمام بعض الصفقات التجارية ، ويحتاج إلى التقدم لشرائها ، ولكنه ليس في يده مال سائل في ذلك الوقت ، فهل يلجأ إلى البنك يقترض منه بالفائدة ليتم صفقته ؟

فقلت له : إن الفائدة ربا ، والربا حرام .
فعلق قائلا : وماذا نضع ، وسيؤول الأمر أن نترك المجال للتجار غير المسلمين ، إذا أخذنا بما تشير به .
فقلت له : إن ذلك لا يبرر أن يتعامل بالفائدة .
فتساءل : وما الحل إذن ؟

فأجبت : إن علينا أن ننشئ شركات استثمار وبنوك إسلامية تقدم العون للتجار المسلمين في هذه الحالات ، وتدخل شريكا معهم حسب ما هو معروف في المضاربة في الفقه الإسلامي ، وأعتقد أن الأوان قد آن لتحقيق ذلك ، فإن المال بيد المسلمين كثير ، وسبل الكسب الحلال ميسر للجميع .

أما شركة البناء الإسلامية فاقترحتها نابع من الظروف التي يعيش في ظلها المسلمون في إنجلترا ، فقد يرغب أحدهم في شراء مسكن له ولأولاده ، ولكنه ليس لديه من الثمن إلا بعضه ، فيتقدم إلى شركة البناء التي تدرس الموضوع من جانبها ، وتعرف مستوى دخل الشخص وقيمة البيت ، فإن اقتنعت قبلت أن تدفع باقى الثمن ، وتمكن الشخص من استغلاله نظير مبلغ يدفع شهريا لمدة عشرين عاما مثالا يؤول المسكن بعده إلى المشتري ، فإذا ذهبت تحسب المبلغ الذى استردته الشركة وجدته قد زاد أضعافا مضاعفة على المبلغ الذى دفعته ، وقد نصحننا المسلمين أن لا يتعاملوا بهذه الطريقة ، ونرى أن البديل لذلك أن

تمشأ شركات مباني إسلامية يتوفر لديها رأس المال ، وتكون على استعداد لأن تحل محل شركات البناء الأجنبية ، ولكن من منطلق إسلامي ، يهيم لها ربحا حلالا ، ويريح المسلم من التعامل بالربا ، وكيفية ذلك أن يتقدم الراغب في الشراء إلى الشركة فتجرى الدراسات اللازمة للاطمئنان إلى سلامة الإجراءات . فإذا اقتنعت قبلت أن تدخل مع المشتري بصفة شريك حسب المبلغ الذي تقدمه ، ويتم البيع على هذه الصفة ، ثم تمكن الشركة المشتري من استغلال المسكن نظير مبلغ يدفع شهريا ، تحتسب نسبة منه إيجار نصيب الشركة ، ويعتبر القدر الباقي سدادا من ثمن نصيب الشركة ، فإذا استوفى الأجل الذي اتفق عليه آل لمنزل كله إلى ملك المشتري ، وبذلك ترباح الشركة ربحا حلالا ، وينجو المسلم من استغلال الشركات الأجنبية له استغلالا ربويا ، ويتحقق بذلك التعاون بين أفراد المجتمع لمسلم وهيأته ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

والذي لا ريب فيه أننا لو أخذنا في الاعتبار هذه الخطوات جميعها لأمننا مستقبلا زاهرا للإسلام والمسلمين في الغرب ، وصدق الله العظيم : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أأهل بلغت ، اللهم فاشهد .



المسافر المنار

الدكتور عبد الله بن أحمد قاري
رئيس جمعية الفقه بالدرجات العليا

التبشير بالانجيل وسنة المعوقين :

في هذا اليوم نشرت جريدة «كومباس» الصادرة في جاكرتا عدد «٣٦» في ٢ أغسطس «السنة ١٦» نشرة مقتضبة عن نتائج المؤتمر الدولي لمجلس الكنائس البروتستانتية تتضمن أربع مسائل :

الأولى : التضامن مع الشعب الأندونيسي : (أغلبية الشعب مسلمة) والمؤتمر مسيحي دولي ، وحقد المسيحيين وسعيهم الحثيث في القضاء على الإسلام والمسلمين معروفان . فما معنى التضامن مع الشعب الأندونيسي وهل المقصود - هنا - الشعب الذي يخططون له ليكون في المستقبل مسيحيا أو أغلبية مسيحية؟ . هذا ما يبدو .

الثانية : التبشير بالانجيل : (والتبشير حاصل ولكن الظاهر ان المقصود مضاعفة الجهد في ذلك حسب الخطط المرسومة) .

الثالثة : تجديد الكنائس وتعميرها وتوحيدها .

الرابعة : مسائل عامة : ومنه اقرار البانتشاسيلا (الشعار الذي تضمن المبادئ الخمسة) وسيأتي قريبا إن شاء الله شرح هذا الشعار من منشورات الحكومة الأندونيسية التي توزع في طائرتها وما تيسر من التعليق عليه لبيان هدفه وموقف العلماء هناك منه وفهمهم له . ومن الأمور التي أقرها المؤتمر ان السنة المقبلة ١٩٨١ هي سنة المعوقين .

ويرى القاريء من هذه الأمور المقتضبة جدا أن التبشير بالانجيل مقترن بمغريات من المادة: تعمير الكنائس وتجديدها وسنة المعوقين والمعوقون كثيرون في كل شعب من شعوب العالم، والمعوق يضيق من بقاءه في الأرض عندما يكون فقيرا وأسرته فقيرة ويضيق

مه أسرته ومجتمعه ويتمنى لو نزل به الموت وتتمنى أسرته ذلك .

والصابرون على البلاء هم المؤمنون حقا وأين هم هؤلاء المؤمنون حقا؟ . لذلك يتمنى المعوق: الأعمى المشلول، المقعد . . . بأن الذى يهتم به وينفق عليه ويكسوه ويعلمه ويؤنسه يشعر بأن له عليه فضلا كبيرا وأنه يجب أن يكافئه، والنصرانى بينى الملاجىء هؤلاء المعوقين والمستشفيات والمدارس وما الذى يمكن أن يقدمه هذا المعوق من مكافأة لهذا المتفضل عليه المحسن الكريم، وما الذى يريد المحسن من هذا المعوق من مكافأة؟! .

ان المكافأة التى يريد هذا النصرانى هى ان يتنازل هذا المعوق (المسلم) عن إسلامه أولا، وأن يكون بعد ذلك نصرانيا. وهذا المعوق الذى كشرت الدنيا فى وجهه ونال هذه العناية من هذا النصرانى جاهل بدينه لا يعرف قيمة عقيدته ويسهل عليه أن يلبي رغبة من أحسن إليه فيتنازل عن عقيدته فى سبيل أنه ينال عاطفة كانت مفقودة .

ثم سيري أن الشهوات فى الدين الجديد مباحة له، لا قيد ولا عيب .

نعم : الانجيل وسنة المعوقين، وهذا يعنى أن الدعوة إلى النصرانية يرافقها خدمات اجتماعية مغرية فأين هذا الذى يصدر من أعداء الدين مما يقدمه دعاة الإسلام والمؤسسات الإسلامية: أين مدارسهم؟ . أين مستشفياتهم؟ . أين ملاجئهم؟ . أين مساجدهم؟ . أين مؤسساتهم الثقافية؟ . أين . أين . أين؟؟؟ . قد يجب محجب ذاكرة بعض المراكز الإسلامية النيلية أو بعض المساجد أو بعض المساعدات الخفيفة .

ولكن الذى يجب أن يعلم أن ذلك شىء لا يذكر بجانب ما يبذله أعداء الحق وانصار الباطل . فليتنق الله المسلم الذى عنده ما يقدر على الاسهام به فى أبواب الخير التى تحصن المسلمين من دعوات أعداء الله الهدامة وليقدم فى سبيل الله ما استطاع بما منحه الله ليبتليه فيه ويجازيه عليه .

لعل جنيا أدخل السحور : « ٢٢ / ٩ / ١٤٠٠ هـ » :

نام عبيد الله الأربعة كلهم، ولعلى كنت آخرهم نوما فى هذه الليلة وكان من عادة الأخ عبد الله باهرمز أن يطلب من مديرى الفندق أن يبعثوا لنا بطعام السحور فى الساعة الثالثة صباحا وما فاتنا السحور طيلة أيام رمضان إلا هذه الليلة . قام الشيخ عبد القوى قبل آذان الفجر بثلاث دقائق تقريبا فأيقظنى قائلا: ذهب الوقت . فقامت مسرعا إلى الماء

فشربت . وشرب هو . وقلت له : اتصل بصاحبنا فاتصل هاتفيا ونادى المؤذن بالصلاة . فقال عبد الله : السحور موجود عندنا هنا في الحجرة لا أدري من أدخله ومن فتح الباب !! ثم أخذ عبد الله وعبد البر كل منهما ينسب إلى الآخر فتح الباب للفرّاش الذى أدخل السحور . فقال عبد الله : أنت فتحت الباب له ثم نمت ولم توقظنا . فقال عبد البر : بل أنت أنا ماقت من نومى - وكان الباب مقفلا - فقلت : لعل جنيا غير مسلم أدخل السحور وأراد الاضرار بنا فلم يوقظنا من النوم . وقد فات السحور فلا داعى للنزاع . ثم قلت للأخ عبد الله : الاحتمال القوى أنك أنت كنت مستغرقا في النوم وفتحت الباب ورجعت لتنام (شوية) حسب اصطلاح الشيخ عبد القوى فلم تفق إلا بايقاظنا أما عبد البر فإن نومه ثقيل يستبعد قيامه قبلك والله أعلم بالصواب . قال عبد الله : كأن الله أراد لكم أن يكون آخر ما تذوقون في أندونيسيا الشاهى السعودى والقهوة السعودية . قلت والماء الأندونيسى .

إلى هونغ كونغ :

وفي الساعة السابعة إلا ربعا ذهبنا إلى مطار جاكرتا ، وبعد الفراغ من الجمرک والجوازات ودعنا الأخ عبد الله فدخلنا إلى قاعة الانتظار ثم صعدنا إلى الطائرة التى أقلعت فى الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين ، وجالت بنا فوق جاكرتا . ذات المنازل القصيرة المسنمة ، وترى العمارات الكبيرة متناثرة هنا وهناك .

ملحوظات

وحيث أن هذه النظرة من نافذة الطائرة إلى مدينة جاكرتا عاصمة الشعب الأندونيسى هى النظرة الأخيرة فى هذه الرحلة فانه لابد من ابداء بعض الملحوظات لهذا الشعب المسلم .

الملحوظة الأولى : البانتشاسيلا :

١ - ان هذا الشعب هو أكثر الشعوب الإسلامية عددا ، ومنظمات هذا الشعب الإسلامية - على قلة امكاناتها - تكافح وتناضل من أجل نشر مبادئ الإسلام وتثبيت قواعده لالتفاف هذا الشعب حوله والولاء لله ورسوله وللمؤمنين ، الولاء الذى يجب أن يتميز به المسلم عن غيره وإلا لما كان هنالك فرق بينه وبين غيره ممن تعدد ولاءاتهم قال تعالى : ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون﴾ . وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم ان

الله لا يهدى القوم الظالمين ﴿١﴾ . وهذا الولاء يجمع المسلمين في كل أقطار الأرض فالمؤمن في انجلترا والمؤمن في أمريكا والمؤمن في مكة ولدى المؤمن في باريس ولندن والشعوب الإسلامية بعضها ولدى بعض لا فرق بين شرقى وغربى ولا بين عربى وعجمى . وعندما كان هذا الولاء محققا في الإسلام كانوا كلهم أعداء لأعداء الله يدعونهم إلى الله ويجاهدون من كفر بالله حتى كان الابن يقتل هو وأبوه في معركة واحدة وكذلك الأخ وأخوه والقريب مع قريبه مهما كانت القرابة حتى جعل الله كل علاقات الإنسان من مال وقرابة وغيرهما في كفة ، وجعل تعالى طاعته والجهاد في سبيله ومحبته في كفة من رجح الكفة الأولى على الثانية كان فاسقا بعيدا عن هدى الله مستحقا لوعيده في الدنيا والآخرة ، ومن رجحت كفة الله على علاقته كلها كان وليا لله مهتديا مستحقا نصره ورضوانه ، كما قال تعالى : ﴿٢﴾ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴿٣﴾ .

وعندما كان الولاء محققا في المجتمع الإسلامي حقق الله لهم العزة والنصر والغلبة على أعدائهم على الرغم من كثرتهم وكثرة عددهم وعندما ضاع هذا الولاء وحلت محله ولاءات أخرى لشعارات جاهلية باسم الأرض ، أو باسم الجنس أو باسم أى مبدأ آخر تفرقت كلمة المسلمين فصارت كل طائفة توالى هذه الأرض أو هذا الجنس أو هذا المبدأ أدلهم الله وأذهب شوكتهم وأنزل الرعب في قلوبهم بدلا من أنزاله في قلوب أعدائهم .

وقد أدرك أعداء الله الكافرون أن ولاء المسلمين بعضهم لبعض إذا تحقق أخضع الله به لهم راية الكفر ورفع لهم راية الإسلام ، وإذا تشتت هذا الولاء دب فيهم الضعف والوهن وكانوا أذنانا لغيرهم من أمم الكفر فوضعوا خططهم لايجاد شعارات كثيرة تتعدد لها ولاءات الشعوب كما وضعوا شعارات كثيرة في داخل الشعوب تتعدد لها ولاءات الأحزاب وقد نجحوا في ذلك ايما نجاح عندما جعلوا العرب وهم حملة رسالة وأهل الولاء الأصيل لله ولكتابه ورسوله وللمؤمنين يتركون الدعوة إلى الولاء لكلمة التوحيد وينادون بالولاء للجنس أو القوم ورفعت راية القومية العربية بدلا من الجامعة الإسلامية وهكذا أصبح لكل شعب من شعوب المسلمين راية قومية يدعون لها ويلتفون في الظاهر حولها هذا تركى وهذا هندي ، وهذا افريقى وهذا أندونيسى حتى أصبح بعض المنتسبين للإسلام لورأى كتاب الله يداس بالاقدام أو كلمة لا إله إلا الله يستهان بها لم يتحرك قلبه ولم يتغير وجهه غضبا لذلك ولكنه لو رأى علم بلاده وقد رسم فيه حيوان أو غيره ينزل من مكانه ضاق بذلك ذرعا وغضب وعمل

كل ما يقدر عليه للانتقام من فاعل ذلك بعلم بلاده .

والحكام الذين لا يريدون الإسلام أو يخافون من انتشاره وسيطرة أحكامه على نفوس شعوبهم يحاولون إيجاد كل الوسائل لإيجاد شعارات ومبادئ وطقوس يخلونها محل لا إله إلا الله محمد رسول الله ويدعون طوائف شعوبهم على اختلاف أديانهم لموالاة بعضهم بعضاً على أساس تلك الشعارات أو المبادئ ويوهمونهم أن في ذلك عزتهم وقوتهم وأن ولاءات الدين تغرق الشعوب وتضعفها . وهذا المعنى هو الذى يظهر المراد بأول مبدأ من المبادئ الخمسة التى تضمنها شعار: «البانتشاسيلا» على الرغم من التحفظ الذى يبدو فى أسلوب الشارح باللغة العربية .

المبدأ الأول : الربانية للمتفردة، قال المعلق: «ولقد وضع الشعب - مبدأ الإيمان بالربانية المتفردة - فى المقام الأول من فلسفة حياته ويعتقد الشعب طائفة من الأديان، فهناك من يدينون بالإسلام، وهناك من يدينون بالنصرانية، ومن يدينون بالهندوكية، أو البوذية أو غير ذلك من المعتقدات .

المبدأ الثانى : الإنسانية العادية المهدبة، والمقصود بها ولاء الإنسان لأخيه الإنسان بصرف النظر عن الدين والعقيدة والخلق - وهى دعوى نظرية يصعب تطبيقها على الرغم من اصطدامها بأصل من أصول الإسلام وهو موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه - وأول ما تصطدم به هو :

المبدأ الثالث : الذى هو الوحدة القومية الأندونيسية، فالوحدة ليست إنسانية وإنما هى أندونيسية وكل قوم يدعون وحدة منسوبة إلى أرضهم أو جنسهم كالوحدة القومية العربية، ثم الوحدة المدعاة بين شعبيين، ثم الوحدة المدعاة لشعب بعينه .

المبدأ الرابع : سلطة الشعب الموجهة بالحكمة والحصافة فى الشورى النيابية، وهذا المبدأ يصطدم اصطداماً مباشراً مع مبدأ الطاعة المطلقة لله وحده ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، فالسلطة فى الدين الإسلامى لله وحده وإن كان أولوا الأمر يجتهدون فى تطبيق النصوص الإسلامية إذا لم يرد بصفة معينة، كما أنهم يجتهدون فى قياس ما لم يرد فيه نص على ما ورد فيه نص، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ .

المبدأ الخامس : العدالة الاجتماعية لكافة الشعب الأندونيسى ، وهذا المبدأ مبني على المبادئ الأولى التي منها المبدأ الرابع الذي يجعل السلطة للشعب - والمقصود أفراد من الشعب يغلبهم الهوى والجهل فيظلمون الشعب ويسمون ظلمهم عدالة .

وبعد أن أشار إلى هذه المبادئ صرح بأنها هي الأساس والمنطلق في السياسة والاقتصاد والثقافة والتربية والتعليم ومختلف النشاطات الاجتماعية الأخرى . فالشعار بهذا المفهوم هو مصدر النشاط الأندونيسى ، وكأنه يقول إذا كان المسلم مأمورا أن يقول : ﴿ قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ . فان الأندونيسى مسلما وغير مسلم يجب أن يقول ان نشاطي كله (للبنتشاسيلا) .

وقد رحب بهذا الشعار غير المسلمين ، كما نص أن المؤتمرين النصارى أيدوا البنتشاسيلا في مؤتمره .

أما المسلمون فمنهم الجاهل الذي لا يفرق بين الجمرة والتمرة إلا بعد الندم ولات ساعة مندم . . . ومنهم الذي ضعف إيمانه فيحاول التوفيق بين هذه المبادئ وبين الإسلام بطرق معوجة وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنهم من ينكرو ويصرو لو أحاطت به الاخطار ويقول : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ . كما قال إبراهيم ومحمد ﷺ .

ومن الأدلة الواضحة ان هذا الشعار قصد به صرف المسلمين عن ولاء الله ورسوله والمؤمنين . أن رئيس الجمهورية (سوهارتو) يصرح في كل مناسبة أن أندونيسيا لا دينية ومن ذلك تصريحه في مؤتمر الإعلام الإسلامى الذى نظمته رابطة العالم الإسلامى فى جاكرتا . فقد قال : أننا نرحب بكم فى أندونيسيا وان كانت دولتنا لا دينية والشعار يمثل ذلك ويدل عليه .

وهذا يوجب على علماء الإسلام ان تكون تربيتهم لأبناء المسلمين مبنية على أصل العبودية المطلقة لله تعالى الذى له وحدة الألوهية المطلقة وأن يؤصلوا فى نفوسهم معنى الموالاتة والمعاداة فى الله التى أهتم بها علماء السلف وألفوا فيها المؤلفات لعلمهم بما يترتب على ذلك من ترابط المسلمين وقوتهم .

الملحوظة الثانية :

ان الجمعيات والمنظمات الإسلامية تبذل جهودا قوية لتحسين أبناء المسلمين من

الكفر بأنواعه: النصراني والشيوعي والخرافي على الرغم من قلة الامكانيات المادية، والذي يؤخذ على كثير من علماء هذه الجمعيات السكوت عن كثير من المنكرات التي حرمها الإسلام، إذ يكتفى الكثير منهم بالمواعظ العامة ولا يمسون الجوانب السلوكية كالسفور بالنسبة للمرأة، والاختلاط - اختلاط الرجال والنساء - في المدارس والجامعات والمجامع العامة مع وجود الاغراء ووسائل الفتنة وغير ذلك فيما لايجوز السكوت عليه، كما أن بعض المؤسسات على الرغم من قيامها على أساس الإسلام - يوجد هذا الاختلاط فيها وكذلك اللباس غير ساتر. وهذا ما رأيت في كثير من المقاطعات التي زرتها ووجدنا بعض الشباب المتحمس يشكو من سكوت كبار علمائهم عن هذه الأمور وينتقدونهم .

الملحوظة الثالثة :

ان وجود ثقة المسلمين في أندونيسيا - وربما في غيرها من الشعوب الإسلامية - في البلدان العربية جعلهم ينظرون إلى العرب الذين يزورونهم نظرا احترام ومحبة، وقد يدعوهم ذلك إلى الاقتداء بهم وكثير من العرب الذين يزورن تلك البلدان لا يلتزمون بأوامر الإسلام ولا يجتنبون نواهيه وقد يظن الجهال في الشعوب الإسلامية ان تصرفات هؤلاء العصاة من الإسلام .

ومما ذكره بعض الشباب منكرا له أن بعض كبار الموظفين من بعض البلدان العربية المهمة كان يصحب معه قرينته التي ماكان لباسها يختلف عن لباس المرأة النصرانية أو غير المتزمة بالدين والخلق وكان هؤلاء الشباب مستائين جدا من هذا التصرف الذي كانوا يودون أن يحصل عكسه وهو الالتزام بالإسلام، وأدابه ليكون ذلك حافزا للفتيات الأندونيسيات على الاقتداء به .

ومما يدل على ثقة المسلمين بالشعوب العربية ان الطلبة الذين يجيدون اللغة العربية يتجمعون أمام الجدران التي تعلق عليها الصحف العربية لقراءتها بشغف مع أن تلك الصحف يصدر أكثرها من دول عربية معادية للإسلام وصحفها تحمل أفكار زعمائها .

لهذا كله فانه ينبغي أن تهتم الدول التي تدين بالإسلام ببيع الكتب الإسلامية والجرائد والمجلات الإسلامية لتملأ الفراغ الذي جعل لصحف أعداء الإسلام رواجاً هناك .

ويجب كذلك أن يتقى الله زوار تلك البلدان من الشعوب العربية ولاسيما الشعوب

التي ينظر إليها المسلمون في العالم انها قدوة فيلتزموا بالإسلام ولا يكونوا دعاة شر وفساد بأعمالهم السيئة .

الملحوظة الرابعة :

ينبغي للجامعات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية في الشعوب العربية أن تقوى صلاتها بالجامعات والمؤسسات الإسلامية في أندونيسيا بتبادل الزيارات والاكتثار من المنح الدراسية الشاملة بمعنى أن يكون الطلاب من جميع مناطق الجزر الأندونيسية لا من منطقة دون أخرى، وان كان لا يمنع ذلك أن تكون الكثرة من بعض المناطق لاعتبارات راجحة . وكذلك ينبغي أن تخصص اعانات مالية لمساعدة تلك الجامعات والمؤسسات وكتب علمية مفيدة وغير ذلك مما يرفع معنويات المسلمين هناك الذين يواجهون تيارات مدعومة من دول ومؤسسات ضد مبادئ الإسلام .

الملحوظة الخامسة :

ينبغي أن تختار كتب ورسائل إسلامية مفيدة وترجم وتطبع في داخل أندونيسيا لتوزع على الجمعيات والمؤسسات الإسلامية هناك بدون مقابل أو تباع في الاسواق بأثمان مستطاعة .

وأقترح الكتب الآتية : ويمكن اقتراح غيرها :

(١) كتاب العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) السياسة الشرعية له .

(٣) الحسبة في الإسلام له .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم له .

(٥) كتاب الصلاة لابن القيم .

(٦) مفتاح دار السعادة له .

(٧) زاد المعاد له .

(٨) تحفة الودود في أحكام المولود له .

(٩) جامع العلوم والحكم لابن رجب .

(١٠) الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (وقد ترجم كتاب التوحيد الشيخ

عارفين أحد علماء سورابايا ويمكن النظر في هذه الترجمة فإذا كانت صحيحة طبعت وهو

كتاب مطبوع أخذنا منه نسخة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) .

- (١١) مبادئ الإسلام للأستاذ المودودي .
 (١٢) تذكرة دعاء الإسلام له .
 (١٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للأستاذ أبي الحسن الندوي .
 (١٤) رسالة التعاليم للأستاذ البنا .
 (١٥) رسالة إلى أي شيء ندعو الناس له .
 (١٦) خصائص التصور الإسلامي لسيد قطب .
 (١٧) معالم في الطريق له .
 (١٨) منهاج التربية الإسلامية (بقسميه) لمحمد قطب .
 (١٩) كتاب التوحيد بجزئيه له .
 (٢٠) كتب توحيد الخالق باجزائه الستة للزنداني :

ويتوحيد الخالق سبحانه - استودعك الله يا أندونيسيا، راجيا أن تهيمن كلمة الله على كل جزء من أجزائك ويحملها كل قلب من قلوب أبنائك مجاهدا في سبيلها مواليا من ولاها معاديا من عادها: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ .

عروس تهديها عرائس

وأخذت الطائرة تهب الجونها، فوق المحيط الهادي، الذي كانت قوافل السحاب تتناثر بيننا وبينه، فظهر بها كبساط أزرق مائل إلى الخضرة، وشبه أبيض، وكنا نشاهد قوافل الأمواج الهائجة صفوفًا يتبع بعضها بعضًا، كما كانت السحب الخفيفة الحمل طائرة فوق الطائرة سائرة إلى حيث أمرها الله، وبدا القمر على يسارنا على شكل نصف دائرة، والسحب العالية تحجبه عنا تارة وتكشف نفسها عن وجهه تارة أخرى .

حقا لقد كانت مناظر عجيبة، ولقد شبهت طائرتنا، وهي تسير في هذا الجوبالعروس التي تهديها عرائس، وهي جميلة، وكل واحدة منهن أجمل وزاد جمالها على جمالهن بسبب وقوعها في وسطهن مثل البدر الذي أحاطت به هالته .

وكنت لا أدري إلى أين ألتفت لأتمتع بتلك المناظر التي قد لا تحصل لمسافر - هكذا مجتمعة - شمس ساطعة، وسحب جميلة متفرقة، على بحر أمواجه هائجة ترى من بعد

تصفوف المصلين ذوو اللباس الأبيض ، وقمر يداعبه السحاب فيحجبه تارة ويكشف عنه أخرى ، الله أكبر ما أعظم خالق هذا الكون الجميل المنسق الذي يتعاون تناسقه على جماله ، ولو أن بنى البشر تعاونوا فيما بينهم على حياة سعيدة في هذه الدنيا ، فأثر بعضهم بعضا ، وكف بعضهم ظلمه عن بعض وبذل كل واحد وسعه في إيجاد الأمن والاستقرار واجتهد أولياء الله في نشر دينه واعلاء كلمته فأمن الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم لاكتمل الجمال جمال الحياة البشرية وجمال الكون العظيم : ﴿ أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾ .

وبدأت تظهر بعض الجزر المستديرة التي تشبه قصعات الطعام الموضوعة على طاولة مكسوة بالجوخ الأخضر ، وصغارها تبدو كعيون البقر ، والمحيط الهادئ يحتضنها من جميع جوانبها ولم يغمرها يا الله ما الذي يمنعه عنها غير خالقها وخالقه .

وظهرت جزر مكسوة بالغابات : جبالها وسهولها ، وهي تفاخر البحر المحيط بها بملابسها الموشاة بالزهور المختلفة ، وكأنها تقول له : إذا كنت تجود للناس بأسماكك ولآلئك بعد أن يقتحموا الصعاب ويتجشموا الأخطار ومنهم من لا ينجو من قسوتك وعنقوانك على الرغم من اتعاب أنفسهم في اتخاذ وسائل الوصول إليك ، فاني أمد يدي بالخير لكل الناس قوتهم وضعيفهم بثمر النارجيل ، والموز والبرتقال والباباي والتفاح والأناناس بدون مشقة ولا خطر . ثم جاء قوس قزح ليشارك بالوانه الجميلة فاضاف إلى الجمال . . . جمالا . . .

الحمد لله :

وفي هذا الجوامع الممتع المريح الذي يربط المخلوق بالخالق ذكرنا المضيفون بقول رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . فقد كنا فعلا - ولكن القليل منا - نتمتع بالفطرة ونشعر بالغبطة والسرور ، ولكن المضيفين بدأوا يغلقون النوافذ من أجل عرض فيلم الرحلة (وأفلام الرحلات كلها ثقيلة علينا) الثقيل ولعل القارئ يدرك من عاطفتي مع الكون ورغبتى في صحبته باستمرار ان غلق النافذة بالنسبة لى يعتبر سجنا .

وأخذت أقرأ بعض الجرائد السعودية التي حصلت عليها من مكتب الأخ الشيخ عبد العزيز العمار في جاكرتا ، وكان الفيلم قدرا في ميزان ذوى العقول ولا سيما عند المسلم ، ولذلك

قال الشيخ عبد القوي: يعملون هذا وهم في الجوما يخافون من ربهم، قلت: ان الله يمهلهم ولا يمهلهم وهو من ورائهم محيط .

وبعد أن قرأت بعض أخبار الجرائد ومقالاتها أخذتني غفوة سمعت على أثرها الشيخ عبد القوي وهو يقول: الحمد لله، فنظرت إلى الفيلم فوجدت أنه انتهى . فقلت مثل هذا الشيخ: الحمد لله، وفتحت النافذة ورجعت إلى كتاب الله المنظور .

وعلى الرغم من بعد المسافة بيننا وبين البحر فان أثر هياجه كان واضحا في بياض الماء الذي كان كل صف منه يتبع الآخر على أثر ارتطام أمواجه بعضها ببعض .

﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ :

رأيت باخرة كبيرة، وهي تمخر عباب المحيط، وقد امتد وراءها انخفاض واضح كأنه واد بين جبلين - وهو الأثر الذي حدث من شقها طريقها في البحر - فأحسست بطارق ينبهني إلى آيات الله القرآنية الواردة في تسخير الله تعالى لهذا الإنسان السماء والبحر وغيرها، كقوله تعالى: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الإنسان لظلوم كفار﴾ . وقوله تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس أن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ . إلى قوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في الأرض والفلك تجرى في البحر بأمره ان في ذلك لآية لقوم يذكرون، وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ .

ان حكمة الله في هذا التسخير لهذه النعم لهذا الإنسان هي ان تعم رحمته خلقه وان يشكر هذا الإنسان الخالق المنعم: ﴿ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ .

ولكن هذا الإنسان - إلا من شاء الله - كلما زاده الله من نعمه زاد طغيانه وتمرده . ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الإنسان لظلوم كفار﴾ .

ويرى العاقل هذا الظلم وهذا الكفران في هذا الإنسان في السفر في الجووف في البحر وفي البر، وفي الحضرة في كل مكان . قد غفل - أومات قلبه - عن التفكير في نعم الله التي يجب أن تطرق قلبه في كل وقت ليعود إلى المنعم فيعبده ويشكره .

وعدد البواخر التي شاهدتها في المحيط في هذه الرحلة أكثر من عشر كانت الأولى أكبرها .

مظاهرة عارمة :

وكان منظر السحاب في هذا اليوم - يأخذ بالألباب - وقد شبهته بعدة تشبيهات حسب الحالة التي رأيته عليها :

فشبهته مرة بصفوف المصلين الذين اجتمعت حشودهم في مصلى العيد في الصحراء - كما هي السنة - كل إنسان بجانب صاحبه، وكل صف وراء أخيه وهكذا كان السحاب : كل سحابة بجانب أختها وكل صف من السحاب وراء الصف الذي قبله . ورأيته تارة على هيئة نخيم الحجيج في منى وقد ربطت كل خيمة في وتد أختها وبين كل جملة من الخيام وأخرى ممر .

ثم بدأ لى - تارة أخرى - كأنه مدينة واسعة، ذات قصور عالية متناسقة خططت شوارعها بحكمة واتقان، إلا أنه لا يوجد في تلك الشوارع الزرقاء إلا تتابع الأمواج الهادرة، ومساحة هذه المدينة لا تقاربها مساحة أى مدينة من مدن العالم البشرية .

وأخر قافلة رأيته كانت تشبه أسرابا من الطائرات الحربية تحلق فوق هذه الأجواء الواسعة إلا أنها لا تلقى قنابل النابالم المحرقة، ولا تقذف الصواريخ المدمرة وإنما كانت - في ذهني - تقذف بالحق على الباطل فيدمغه . وكأنها في مظاهرات عارمة ضد الملحدين : ﴿ ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

وشاهدت جزيرة صغيرة من اليابس تحيط ببحيرة صغيرة من الماء وأمواج المحيط الهادى تتلاطم حولها، وهما على هيئة قذيفة صاروخية هكذا .

جزيرة صغيرة ←←
بحيرة صغيرة ←←
المحيط الهادى ←←

ورأيت خضرة على اليابسة تشبه العشب لم أتبين ماهي لبعدها . والظاهر أن البحر يغمر هذه الجزيرة عندما يشتد هياجه ، فتغدو كلها من قاعه ، ويولى عنها عند جزره وهدوئه - النسبي - فتتكشف مرتفعاتها ويبقى البحر الصغير - البحيرة - في وسطها .

في مطار هونغ كونغ :

ثم أخذت الطائرة في الهبوط رويدا رويدا فرأينا الجبال القريبة من هونغ كونغ في وسط البحر ورأينا القوارب الصغيرة وهي تتحرك في البحر في كل اتجاه مثل الاسماك . وهبطت الطائرة في مطار هونغ كونغ في الساعة الواحدة إلا عشر دقائق بتوقيت جاكرتا الثانية إلا ربعا بتوقيت هونغ كونغ فكانت مدة الطيران أربع ساعات كاملة .

دبر نفسك :

ودخلنا قاعة الجوازات فكان امامنا في الصلاة هو شيخنا في اللغة وقف الشيخ عبد القوي امام الموظفة فرطنت باللغة الانجليزية - بلهجتها الصينية السريعة التي يختلط على السامع مخارج حروفها - فلم يفهمها ، فختمت له ومشى ، فقلت له : لا تبعد عنا لانا لا نستطيع التفاهم معها - أصلا - فقال : دبر نفسك ، وبدأت ترطن لى فناديته فجاء فتكلمت بكلام لم يفهمه فاشارت إليه ان يعود إلى مكانه وقالت لى : نوانجلس فهزرت لها رأسى فختمت جوازى وجواز الابن عبد البر ونذرت صوما ، وقلت عندئذ للشيخ عبد القوي : لقد كادت الرؤوس تتساوى - أى فى اللغة .

أخافتهم الغترة عند الدخول :

ذهبنا إلى قاعة الجمرک فتسلمنا عفشنا وأخذ الموظفون يفتشون كل شىء بدقة ، وكان الموظف - على الرغم من التفتيش الدقيق - يسأل أعندكم سلاح . والشيخ يقول له : نو . قلت له : لا تجبه يكفيه ما يفعل .

وبعد أن فرغ من تفتيش الحقائق وكدنا نفارقه نظر إلى عبد البر فرأى رأسه مغطى بالغترة - أما الشيخان فكانا مكشوفى الرأس - فأخذ الموظف يمر بيديه على رأس عبد البر متحسسا ، وكأنه ظن أن تحت هذا الغطاء مفرقات أو غيرها من الاسلحة ، فاقتربت أنا من الموظف وأشرت له إلى رأسى - أى فتش رأسى أيضا ، فابتسم وفهم اننا نستغرب تفتيش الرأس .

الفندق قبل السيارة :

خرجنا من قاعة المطار فلم نجد أحدا ينتظرنا وكنا قد اتصلنا من جاكرتا بمنزل الأخ «مظهر السيد» (باكستاني مقيم في هونغ كونغ يشتغل بالتجارة) الذي كنت قد التقيت به في المرة الأولى عندما كنا في طريقنا من اليابان بعد زيارة أمريكا . ووقفنا ننتظر سيارة أجرة وكنا كلما أشرنا لسائق تجاوزنا إلى غيرنا من الواقفين ، فاستغربنا ذلك . وبعد وقوف طويل كان يأتينا بعض الشباب يسألنا ماذا تريدون؟ . فنقول : نريد استئجار سيارة فيتركنا ويذهب يوقف سيارة لغيرنا ويضع له أثاثه في صندوق السيارة بنفسه ويفتح له الباب وإذا ركب أغلقه وودعه . فأخذنا نتساءل : ما سبب صدور الناس عنا أهو لباسنا العربي؟! .

ثم قلت لشيخنا القارى - شيخ اللغة الانجليزية - انظر إلى هذه اللافات التي يقف لناس تحتها فتأتيهم السيارة بسهولة ويجدون من يحتفى بهم دوننا ، فنظر فوجد أسماء فنادق . من أختار أحدها وقف تحت لافتته فجاءته السيارة التابعة لذلك الفندق فتوصله إليه ، فقلت : اذن يجب أن نختار الفندق قبل السيارة ، فأختر لنا ما تشاء فاخترنا فندق «امباسدور» وعندها يسر الله عسرنا ، وكان من فنادق الدرجة الأولى .

جوهرة في مزبلة :

ونزلنا في هذا الفندق ، واتصلنا بالأخ مظهر السيد الذى وعدنا بالمجيء إلينا ، فاسترحنا ، وجاءنا في الساعة السادسة ونزلنا إلى السوق لشراء بعض المأكولات للأفطار وذهينا إلى مسجد كولون الذى هدم ليبنى من جديد ، وهو فى دور التأسيس ، وقد شاركت فيه رابطة العالم الإسلامى فى اعانته وشارك غيرها من الكويت وبعض تجار المسلمين فى هونغ كونغ ولازالوا يجمعون له المساعدات لأنه سيبنى من طابقين وكان قد بنى قبل ثمان عشرة سنة بتتبه بريطانيا للمسلمين الذين شاركوا فى فتح البلدان لها مع جيشها وهم من الهند والباكستان ، وكنت زرت هذا المسجد قبل ثلاث سنوات . وكان إمامه شيخا باكستانيا كبير السن ذكر لنا حاجته إلى بناء جديد وضمنت التقرير الذى قدمته للجامعة الإسلامية هذا لطلب وبعثت بصورة منه إلى فضيلة الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى ، ولعله على أثر ذلك قدمت المساعدة من الرابطة .

وقد منحت الحكومة فى هونغ كونغ المسلمين قطعة أرض بجوار المسجد مباشرة اعارة يؤدون فيها صلاتهم حتى يتم بناء المسجد وقد بنوا على هذه القطعة مسجدا مؤقتا من الخشب وغطوه بغطاء من البلاستيك ليقبهم من حر الشمس والمطر .

وعندما وصلنا إلى هذا المسجد وجدنا المسلمين مجتمعين وقد وضعوا سفر الإفطار على بسط المسجد وضعوا القصعات على تلك البسط ووضعوا أمام كل واحد من المصلين الذين لا يقلون عن ثلاثمائة مصل حبات تمر وشيئا من الفاكهة - برتقال أو تفاح - وخبزا محشو بخضرة ولحم (سمبوسة) وقعب نحاس ملىء بشربة أرز وعدس ولحم ورحبوا بنا وفرحوا عندما رأونا ونحن فرحنا أيضا بهذا الجمع الغفير من المسلمين يفطرون كلهم في مكان يصلون بعد الإفطار وراء امام واحد والبيئة التي تحيط بهذا المسجد كلها بيئة كفر ترى فيها النساء العاريات والأخلاق الفاسدة والغفلة عن الله وعن اليوم الآخر فكان وجود هذا المسجد في هذا المكان بهذه الأوصاف مثل الجوهرة المرمية في مزبلة ولعل هذه الجوهرة تحول تلك المزبلة كلها إلى جواهر في يوم من الأيام وما ذلك على الله بعزيز .
فقد كانت الأرض كلها مابلة عندما بعث رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله في مكة المكرمة .

راحت تتعجب فدخلت تلعب :

هذا مثل يمى حفظته وأنا صغير ، ومعناه - في الأصل - خرافي فهناك مرض يسمى بمرض الزار، إذا مرض شخص أى مرض أقعده في منزله جاء بعض المرتزقين وأوهموه بأن شيطان الزار قد أصابه بهذا المرض ولا بد من ذبح بعض الحرفان ودعوة الناس للأكل منها لاسيما هيئة شيطان الزار الذين هم رئيس الهيئة - رجل أو امرأة - وضاربو الدفوف وصاحب المزمارة والمصفقون ويحضر المريض - أو تحضر الهيئة عنده إن كان لا يستطيع هو الحضور - فيأخذ ضاربو الدفوف في ضرب دفوفهم ، ويأخذ صاحب المزمارة في زمره ، ويصفق المصفقون ، ويبدأ المريض يهز رأسه شيئا فشيئا ، وبعد أن يسخن جسمه تشتد حركته فيرقص ويغيب عقله ويقال أنه عندئذ يحضر شيطان الزار ثم يتقدم شيطان الأنس رئيس هيئة الزار ويغمز بعض أجزاء جسمه ويتحدث مع المريض والمريض يأتي بألفاظ غريبة وكأنه يتحدث على لسان شيطان الزار، ويخبر عن الأسباب التي جعلته يدخل الضرر على المريض ويشترط شروطا لابتعاده عنه يضمن له رئيس هيئة الزار تحقيقها ثم يصحو المريض ، وقد يشفيه الله ابتلاء وقد ينتقل إلى الدار الآخرة مشركا بالله معتقدا أن الجن تنفع وتضر ، وتمرض وتشفى . هذه نبذة مختصرة لوصف مرض الزار وليس هذا هو المقصود ، والظاهر أن القارئ قد ضاق صدره لادخال هذا المرض ووضع في هذا المكان من هذه الرحلة وتعب في ربط هذا الكلام بالعنوان ، فليصبر على ذلك وإليه بيان المراد .

تستأذن بعض النساء من أولياء أمورهن لحضور حفلة الزار لتتفرج وهي ليست مريضة، وعندما تقف في الصف تنظر إلى المريض وهو يرقص فترتعش هي وتدخل تفعل مثل ما يفعل المريض (فقيل راحت تتعجب فدخلت تلعب) فصار ذلك مثلاً يضرب لمن قلده شخصاً أو حاكاه في أمر ما كان ينبغي له أن يحاكيه أو يقلده لاستغناؤه عن ذلك. وقد انطبق هذا المثل على الشيخ عبد القوي - والمثل يحكى كما هو ولا يغير - فقد اجتمع حولنا بعض الباكستانيين والهنود الذين يتحدثون باللغة العربية المفهومة، ولم يكونوا يظنون أن الشيخ يتحدث اللغة الأردنية فتبادلنا الحديث معهم قليلاً ثم لم يقدر الشيخ أن يستمر في التحدث معهم باللغة العربية فانطلق يتكلم باللغة الأردنية ولا سيما عندما كان بعض المتحدثين باللغة العربية يترجمون لبعض أصدقائهم باللغة الأردنية فأوقفت الشيخ عن التحدث بلغته. وقلت له: اعطهم فرصة ليتمرنوا على اللغة العربية وذكرت عندئذ في نفسي هذا المثل وسجلته في مذكرتي: (راحت تتعجب فدخلت تلعب).

الجوهياً للدعوة الإسلامية في الصين الشيوعية :

التقينا بشاب عربي مسلم جاء لتوه من الصين الشيوعية، فاشتقنا لنسمع منه عن المسلمين في الصين، وكان هذا الشاب قد تلقى بعض العلوم التجريبية في الصين، فسألناه أن يحدثنا عن أحوال المسلمين في الصين، فأعطانا خلاصة للحالة التي كانوا عليها في عهد ماوتسي تونغ، فقال: لقد كانوا في عهده مضطهدين مطاردين غير مسموح لهم بدخول المساجد والصلاة فيها بل هدمت كثير من مساجدهم وقتل الكثير منهم.

أما الآن فقد حصل شيء من التسامح من الحكومة الجديدة، وسمحوا للمسلمين أن يقيموا شعائر دينهم في مساجدهم، بل إن الحكومة رمت لهم بعض المساجد المتهدمة كما سمحت لهم بتداول المصحف الشريف وكتبهم الدينية بل سمحت الحكومة ببناء الكنائس والمساجد وقد شرع المسيحيون في بناء عشرين كنيسة في بيكين.

ولو أن المسلمين في الدول العربية وغيرها أمدوا إخوانهم المسلمين الآن في الصين بالمصاحف المطبوعة والمسجلة والكتب الإسلامية والعربية وساعدوهم في بناء المساجد لكان ذلك خيراً من التأخر لأن المسلمين في الصين سيصابون بخيبة أمل إذا أبطأ إخوانهم عن مساعدتهم وهم يرون المسيحيين تنهال منهم الاعانات والمساعدات على بنى دينهم.

وقال الأخ المذكور: إن الجو الآن مهياً للدعوة الإسلامية في الصين ولكنه يحتاج إلى خطة مدروسة وأسلوب مناسب لحالة الانفتاح الاقتصادي في الصين، ولو وجد دعاة

مسلمون على هيئة تجار فإنهم يقدرون على الاتصال بالمسلمين ومساعدتهم وتفقيهم في دينهم .

وقال ان المصاحف والكتب يمكن بعثها إلى بعض تجار المسلمين الصينيين في هونغ كونغ وهم يبعثونها إلى أقربائهم في الصين ويمكن بعثها إلى جامع بيكين مباشرة .

زرع المسلمون وحصد غيرهم : « ٢٣ / ٩ / ١٤٠٠ هـ »

جاء إلينا الأخ يوسف كريم ، وهو صيني مولود في هونغ كونغ . وشاب نشيط متحمس لدينه الإسلامي ، جاء إلينا في الساعة العاشرة صباحا وكانت معه شابة مسلمة مشهورة - أيضا - بالنشاط الإسلامي ولها كتابات في المجلات والجرائد عن الإسلام ، وبدأنا نتشاور في كيفية اللقاء بالمنظمات الإسلامية واعضاءها في لقاء واحد يتم في مسجد كولون بعد عصر غد الثلاثاء ، وطلبوا مني عنوانا لموضوع محاضرة تلقي في هذا الاجتماع فاخترت لهم هذا العنوان : « أثر الإيمان في حياة الإنسان » .

وطلبت منا الأخت ربيعة أن نتصل بالسيدة سعاد الفاتح السودانية التي كانت تعمل عميدة لكلية البنات في الرياض لما بلغها عنها من تحمس للإسلام وثقافة إسلامية طيبة ، قالت : ان وجودها هنا سيساعدنا كثيرا على اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مبادئ دينها .

وقالت المناسبة لدعوتها هي أننا نريد أن ننظم ندوة عن المرأة في الإسلام بمناسبة الاحتفال بالهجرة ، وتقوم ربيعة بعمل سكرتيرة لجنة الاحتفال هذا الذي تشترك فيه جميع المنظمات الإسلامية .

وقال الأخ يوسف كريم : أننا نعاني عدم وجود من يقوم بتدريس اللغة العربية لأبناء المسلمين ، والشيخ صلاح السوداني لا يكفي وحده وعندنا الكلية الإسلامية لو أن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة منحتها مدرسين لأفادوا فيها ، فسألت عن هذه الكلية وعن نشأتها وطلابها وأساتذتها ومناهجها ، فأخبرت أن الذي أسسها رجل مسلم صيني اسمه قاسم تويت وهو رئيس الجمعية الإسلامية الصينية في هونغ كونغ وقد التقينا به فيما بعد وأنه أسس هذه المدرسة ، في الأصل - لأبناء المسلمين ولكن لجهل المسلمين وعدم وجود مدرسين متفهمين في الدين منهم يضعون المنهج الإسلامي ويدرسون مواده . تسلمت المدرسة السلطات الحكومية - لا قهرا ولكن خداعا من جانبها وعجزا من جانب المسلمين - ووضعت مناهجها مثل مناهج بقية مدارسها وأساتذتها من رجال الحكومة نصارى أو صينيين وأكثر طلابها من غير المسلمين ، ونسبة المسلمين فيها ١٠٪ فقط .

قلت : لقد زرع المسلمون وحصد غيرهم ، ويجب أن تبدلوا جهدكم في تعديل المناهج وإيجاد المدرسين المسلمين ليقوموا بتدريس الطلاب الدين الإسلامي وتكثروا من أبنائكم في المدرسة حتى تؤثروا أنتم في غيركم بالمنهج والكتاب والمدرس لا غيركم يؤثر فيكم كما هو الشأن الآن .

قال الأخ يوسف : نحن لا نقدر على ذلك بدون مساعدة منكم فانقلوا رغبتنا إلى المسؤولين في المملكة العربية السعودية في أن يساعدونا بمدرسين لأبنائنا وكتب إسلامية ووضع مناهج .

وقال الأخ يوسف : ادخلت الآن في مناهج المدرسة هذه مادة التاريخ الإسلامي ويدرستها الأستاذ صلاح شيخ ومن تدريسه لها يستطيع أن يعطي الطلبة فكرة عن مبادئ الدين الإسلامي وهي مادة يدرسها المسلمون وغير المسلمون . وقال : توجد في هونغ كونغ ثلاث جامعات : جامعة هونغ كونغ الأم ، وجامعة صينية يشترك فيها الصينيون والأوروبيون ، وجامعة أمريكية تبشيرية كاثوليكية ولم يعترف بشهاداتها إلى الآن ، ويستفيد الأوروبيون من الجامعة الصينية بل يكادون يسيطرون عليها .

وكثير من الشباب الإسلامي تكون صلتهم بالمنظمات الإسلامية ونشاطاتها الإسلامية جيدة ولكنهم عندما يدخلون في هذه الجامعات ينزلون عن اخوانهم وقد لا نراهم إلا بعد تخرجهم وذلك بسبب الواجبات الملقاة عليهم في الدراسة وخشية فشلهم فيها وهم هنا لا بد أن يتعبوا أنفسهم ليحصلوا على وسيلة جلب رزقهم .

وقال : ان المنظمات هنا لها كامل الحرية في نشاطاتها لا فرق بين المنظمات اليهودية والنصرانية والصينية ، وكذلك المنظمات الإسلامية فتستطيع أي منظمة أن تقوم بأي عمل دون أن تصطدم بالمنظمات الأخرى ، واليهود هم الذين يسيطرون على الاقتصاد العام ورئيس الجهاز التعليمي يهودي . والبوذيون أغنياء بالأراضي والعمارات .





أختي العزيزة « هل » :

هذه هي الرسالة الحادية عشرة أبعث بها إليك لأحدثك فيها عن الصيغة الثانية من هذه الصيغ التي تدخل فيها أختك همزة الاستفهام على (لا) النافية للفعل المضارع، وهذه الصيغة هي «أفلا تتقون» وقد وردت في اثنتي عشرة آية من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ . الآية (٦٥) من سورة الأعراف .

الآية الثانية قوله تعالى : ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ . الآية (٣١) من سورة يونس .

الآية الثالثة قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ . الآية (٢٣) من سورة المؤمنون .

الآية الرابعة في قوله تعالى : ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٣١) فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ . الآيتان : (٣٢-٣١) من سورة المؤمنون .

الآية الخامسة في قوله تعالى : ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم (٨٦) سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾ (٨٧) . الآيتان : (٨٧-٨٦) من سورة المؤمنون .

الآية السادسة في قوله تعالى : ﴿وإذ نادى ربك موسى أن أنت القوم الظالمين (١٠) قوم فرعون ألا يتقون﴾ (١١). الآيتان : (١٠-١١) من سورة الشعراء .

الآية السابعة في قوله تعالى : ﴿كذبت قوم نوح المرسلين (١٠٥) إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون﴾ (١٠٦). الآيتان : (١٠٥-١٠٦) من سورة الشعراء .

الآية الثامنة في قوله تعالى : ﴿كذبت عاد المرسلين (١٢٣) إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾ (١٢٤). الآيتان : (١٢٣-١٢٤) من سورة الشعراء .

الآية التاسعة في قوله تعالى : ﴿كذبت ثمود المرسلين (١٤١) إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون﴾ (١٤٢). الآيتان (١٤١-١٤٢) من سورة الشعراء .

الآية العاشرة في قوله تعالى : ﴿كذبت قوم لوط المرسلين (١٦٠) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون﴾ (١٦١). الآيتان : (١٦٠-١٦١) من سورة الشعراء .

الآية الحادية عشرة في قوله تعالى : ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين (١٧٦) إذ قال لهم أخوهم شعيب ألا تتقون﴾ (١٧٧). الآيتان : (١٧٦-١٧٧) من سورة الشعراء .

الآية الثانية عشرة في قوله تعالى : ﴿وإن إلياس لمن المرسلين (١٢٣) إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ (١٢٤). الآيتان : (١٢٣-١٢٤) من سورة الصافات .

هذه الصيغة : «أفلا تتقون» جاءت في الآيات المتقدمة على لسان رسل يخاطبون بها أقواما كافرين .

وقد سُمّي معظم هذه الآيات أسماء الرسل الذين قالوا هذه الصيغة وأسماء الأقسام الذين خاطبوا بها، ولم ترد هذه التسمية في ثلاث آيات، ولكن سياق المعنى في الآية الثانية والآية الخامسة يدل على أن القائل لهذه الصيغة هو محمد ﷺ خاطب بها المشركين من قريش .

أما الآية الرابعة فليس فيها ولا فيما اكتنفها من الآيات ما يدل على اسم الرسول القائل لها ولا اسم القوم الذين خاطبوا بها .

وهمة الاستفهام في هذه الصيغة تفيد الإنكار والتوبيخ :

لقد أنكروا هؤلاء الرسل على أولئك الكافرين الذين خوطبوا بهذه الصيغة، أنكروا عليهم تركهم تقوى الله تعالى والخشية من عقابه، ووبخوهم على ذلك .
وقبل أن أنتقل بك إلى الصيغة التالية أحب أن أنبهك على أشياء :

لعلك تسألين وتقولين إن هذه الصيغة التي جاءت في الآية السادسة على لسان موسى يخاطب بها قوم فرعون جاءت بياء الغيبة «ألا يتقون» ولم تجيء بتاء الخطاب «ألا تتقون»، ثم إنه لم يذكر قبلها (قال) أو (قل) كحال هذه الصيغة في آياتها الأخرى، فكيف يصح أن تقولى قالها موسى يخاطب بها قوم فرعون؟! .

لقد أجاب الطبرى في تفسيره عما تسألين، فقد جاء فيه عند تفسيره لهذه الآية :
﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾ . . . ومعنى الكلام قوم فرعون فقل لهم ألا يتقون، وترك إظهار (فقل لهم) للدلالة الكلام عليه، وإنما قيل «ألا يتقون» بالياء، ولم يقل «ألا تتقون» بالتاء لأن التنزيل كان قبل الخطاب . . . اهـ .

والشئ الثانى أن هذه الصيغة جاءت فى خمس آيات من آياتها الاثنتى عشرة بصورة «أفلا تتقون» بالفاء فاصلة بين همزة الاستفهام و«لا» النافية، وهذه الصورة لا نزاع فى أن الهمزة فيها للاستفهام، والفاء عاطفة، و«لا» نافية للفعل المضارع .

أما الصورة الأخرى التى جاءت عليها هذه الصيغة وهى «ألا تتقون، ألا يتقون» بدون فاء فاصلة بين الهمزة و«لا» فقد وقع فيها النزاع والخلاف :

جاء فى البحر المحيط لأبى حيان فى تفسيره لهذه الآية : ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون﴾ جاء فيه : «والظاهر أن (ألا) للعرض المضمن الحض على التقوى، وقول من قال إنها للتنبية لا يصح، وكذلك قول الزمخشري : إنها للنفي دخلت عليها همزة الإنكار» اهـ .

وجاء فى الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين عند تفسير هذه الآية : «وفى السمين أن (ألا) للعرض، وقال الزمخشري : إنها لا النافية دخلت عليها همزة الإنكار، وقيل هى للتنبية» اهـ .



وعبارة الزمخشري في تفسيره لهذه الصيغة في هذه الآية : «ويحتمل أن يكون (لا يتقون) حالاً من الضمير في الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه ، فأدخلت همزة الإنكار على الحال ، وأما من قرأ (ألا تتقون) على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم» اهـ .

وتفيد عبارة الزمخشري هذه أن الهمزة هنا تفيد الإنكار على كلتا القراءتين : القراءة بياء الغيبة والقراءة بتاء الخطاب .

والرأى - فيما يبدو لى - مع الزمخشري ، لأن هذه الصيغة جاءت اثنتى عشرة مرة ، خمس منها بالفاء ، وهذه لا نزاع فى أن الهمزة فيها للاستفهام و(لا) نافية ، وفاء العطف الفاصلة بين الهمزة ولا النافية هى التى تقضى بذلك .
وسمع منها بدون فاء ، وهذه تحتمل أن تكون (ألا) فيها مكونة من همزة الاستفهام ولا النافية وتحتمل أن تكون (ألا) كلمة واحدة تفيد العرض .

ولما كان القائل لهذه الصيغة فى آياتها جميعاً واحداً وهم الرسل ، وكان المخاطب بها واحداً وهم الكفار ، وكانت الحال البلاغية التى تقتضى أسلوباً معيناً من القول واحدة وهى كفر المخاطبين وتكذيبهم الرسل وإنكارهم البعث ، لما كان الأمر كذلك كان الصواب أن تحمل هذه الصيغة فى آياتها جميعاً على معنى واحد هو الاستفهام الذى يفيد التوبيخ والتقريع والإنكار .

ثم إننا إذا نظرنا إلى هذه الصيغة التى وقع فيها الخلاف فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبِّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴾ . وجدنا أن هذه الصيغة قد سبقت بها لم تسبق به فى الآيات الأخرى ، فقوله تعالى ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبِّكَ مُوسَى ﴾ يدل على عظم ما نودى موسى من أجله ، وهذا الأمر ﴿ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ يوحى بالقوة والشدة والإسراع ، ثم إن وصف القوم بالظالمين وأنهم قوم فرعون يدل على سخط عليهم وغضب . فمن ذا الذى يتوقع بعد هذا كله أن يكون ما حمله موسى إلى قوم فرعون غير ما يدل على الإنكار والتقريع والتوبيخ . إن العرض وحتى لو ضمن معنى التحضيض يأباه كل الإباء سياق الكلام المتقدم الموحى بالسخط عليهم والغضب ، وأخذهم بالشدة والغلظة والعنف .

الشيء الثالث : أصل (تتقون) فيما يتخيله علماء الصرف (تَوْتَقِيُونَ) ، على وزن تفتعلون ، استثقلت الضمة على الياء فحذفت ، فالتقى ساكنان : الياء التى هى لام الكلمة وواو الجماعة ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، وضمت القاف التى قبلها لمناسبة واو

الجماعة، ثم إن الواو التي هي فاء الكلمة أبدلت تاء لوقوعها قبل تاء الافتعال ثم أدغمت في تاء الافتعال، فصارت الكلمة تتقون على وزن تفتعون؛ والفعل المجرد لهذا الفعل المزيد هو: وقى يقى .

أختى العزيزة : «هل» :

انتقل بك الآن إلى الصيغة الثالثة من هذه الصيغ التي تدخل فيها أختك همزة الاستفهام على «لا» النافية للفعل المضارع، وهذه الصيغة هي «أفلا تتذكرون»، وقد وردت هذه الصيغة في تسع آيات من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : ﴿وَحَاجُّهُ قَوْمَهُ قَالُوا مَا نَجِدُكَ فِي اللَّهِ وَمَا نَرَى لَكَ بِاللَّهِ مِنَ الْخَشْيَةِ﴾ . الآية (٨٠) من الأنعام .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن قوم إبراهيم عليه السلام جاءوه يجادلونه في توحيد الله سبحانه وتعالى وفي نبذ الأصنام التي يعبدونها من دون الله، ويخوفونه أن تمسه هذه الأصنام بسوء .

فأجابهم إبراهيم عليه السلام منكرًا عليهم هذا الحجاج والجدال قائلاً : أتحتاجونني في توحيدى الله تعالى وإخلاصى العمل له دون سواه وقد هدانى إلى أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له!!! .

أما أصنامكم هذه التي تعبدونها من دون الله وتخوفونني إذاها فلا أخافها، إنها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها الأذى، فمن أين لها القدرة على الإيذاء!!! .
إنها لا تضر ولا تنفع إلا أن يشاء ربي بي شيئاً فإنه ينالني، فهو القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، قد وسع علمه كل شيء فلا تخفى عليه خافية .

ثم ختم محاجته بقوله «أفلا تتذكرون» وهو استفهام إنكار وتوبيخ :
ينكر عليهم ويوبخهم ألا يتعظوا ويتدبروا هذا الأمر الذي وقع فيه الحجاج والجدال، وكأنه يقول لهم : أفلا تتعظون أيها الأغبياء الجاهلون وتعقلون فتدركوا أن هذه الأصنام لا تفقه ولا تعقل ولا تملك نفعا ولا ضرا ولا تستحق العبادة، وأن الله العالم بكل شيء والقادر على كل شيء والخالق الرازق الذى بيده ملكوت كل شيء هو وحده الذى يستحق العبادة .

الآية الثانية قوله تعالى : ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ . الآية (٣) من سورة يونس .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن ربكم أيها الناس هو الله المعبود بحق ، وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش مدبراً أمر ملكه على أكمل وجه ، لا يشاركه أحد في التدبير ، ولا يصيب تدبيره خللٌ واضطراب ، ولا يشفع عنده يوم القيامة إلا من يأذن له . ذلكم أيها الناس هو الله الذي خلق هذا الخلق العظيم ودبر أمور هذا العالم أكمل التدبير ، ذلكم هو ربكم الحق الذي ينبغي أن تخلصوا له العبادة وأن تفردوه بالربوبية وأن تتقربوا إليه بالطاعات ، وليس هناك من شيء يستحق أن يُعبد من دون الله ولا أن يُتخذ شريكاً له .

وفي ختام هذه الآية قال تعالى : ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ . وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على المشركين ويوبخهم أن لا يفكروا في خلقه العظيم خلق السموات والأرض ، وفي تدبيره المحكم لأمر خلقه فيدركوا ما هم فيه من خطأ فاحش وضلال بعيد وإشراك بالله بغير حق ، ومن عبادة من لا يضر ولا ينفع ولا يقدر على شيء ، فيدركوا ذلك وينيبوا إلى الله جلّت قدرته وعظم تدبيره ويوحده ويفردوه بالعبادة .

الآية الثالثة قوله تعالى : ﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ . الآية (٢٤) من سورة هود

تتضمن هذه الآية الكريمة شبه الكافر والمؤمن : فالكافر الذي عمي قلبه فلم ير الحق والهدى والإيمان ، وصمّت أذنه عن سماع الفهم والتدبير لآيات القرآن ، يشبه الإنسان الأعمى الأصم الذي لا يبصر بعينه الطريق الذي يوصله إلى غايته ، ولا يسمع بأذنه كلاماً ينتفع به في حياته ، ووجه الشبه إخفاق كل منهما في الوصول إلى ما فيه النفع والخير والفلاح .

والمؤمن الذي أراه الله الحق والإيمان ، وفهم وتدبر بسمعه آيات القرآن ، يشبه الإنسان البصير السميع الذي يرى بعينه طريقه الذي يوصله إلى غايته ، ويسمع بأذنه كلاماً ينتفع به

في حياته ، ووجه الشبه فوز كل منهما بما فيه النفع والخير والفلاح .

والتشبيه في الموضوعين من تشبيه المعقول بالمحسوس ، وهذا هو الغالب على تشبيهات القرآن الكريم ، لأن المشبه به المحسوس أوضح تصويراً للمشبه وأدق ، وأشد تأثيراً في النفوس وأعمق .

ومن هذين التشبيهين يتبين أن الكافر والمؤمن ليسا سواء عند الله تعالى فشتان ما بين الضلال والهدى ، وشتان ما بين الكفر والإيمان .

وفي ختام هذه الآية قال تعالى : ﴿ أفلا تذكرون ﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على الكافرين ويوبخهم أن لا يتدبروا ويفكروا في حال كل من الكفر والإيمان وما بينهما من اختلاف وتباين ، في أيهما الخير والفلاح ، وفي أيهما الشر وسوء المنقلب ، فيرتدعوا عما هم فيه من الضلال إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان .

الآية الرابعة في قوله تعالى : ﴿ ويأقوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقور بهم ولكنى أراكم قوما تجهلون (٢٩) ويأقوم من ينصروني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ﴾ (٣٠) . الآيتان : (٢٩-٣٠) من سورة هود .

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن نوحا عليه السلام قال لقومه : يا قوم أنا أدعوكم إلى عبادة الله وحده لا تشركون به شيئا ، ولا تظنوا أنى أطمع من وراء ذلك في مال تعطونني إياه أجرا على ذلك ، إنما أجرى على الله تعالى ، فهو الذي يثيبني وعنده حسن الجزاء .

أما هؤلاء الذين تزعمون أنهم أرادلكم وتطلبون مني أن أطردهم وأعرض عنهم فما أنا بطاردهم ، وكيف أطردهم وقد آمنوا بالله لا يشركون به شيئا ، ثم إنهم ملاقور بهم ، وأى شرف أعظم من هذا اللقاء؟! .

ولكنى أراكم قوما تجهلون أن لهم فضلا عليكم وزلفى عند الله بهذا الإيمان ، وأن أموالكم وأحسابكم ليست بالتي تقربكم عند الله شيئا .
ومن يمنعني يا قوم من عقاب الله إن طردتهم وهم المؤمنون به الملاقون له المقربون عنده؟! .

وفي ختام هذه الآية قال لهم ﴿ أفلا تذكرون ﴾ وهو استفهام إنكار وعتاب :

ينكر نوح عليه السلام على قومه ويعتب أن لا يتدبروا أمرهم وأمر المؤمنين من قومهم فيدركوا أن الإيمان بالله وباليوم الآخر ونبذ الآلهة التي تعبد من دون الله هو الفوز والفلاح

والعلو والشرف، وأن الإِشراك بالله وإنكار البعث والحساب هو الخسران المبين .

الآية الخامسة في قوله تعالى : ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون (٣) خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٤) والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون (٥) ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون (٦) وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم (٧) والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون (٨) وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين (٩) هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (١٠) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون (١١) وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢) وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون (١٣) وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٤) وألقى فى الأرض رواسي أن تيد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون (١٥) وعلامات وبالنجم هم يهتدون (١٦) أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴿ (١٧) . الآيات : (٣-١٧) من سورة النحل .

تبين هذه الآيات الكريمة خلائق عظيمة خلقها الله تعالى لعباده، ونعمًا جلييلة أنعم بها سبحانه وتعالى عليهم، وفى ختام هذه الآيات جاءت الآية الكريمة : ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ .

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة التباين بين من يخلق وينشئ ويبدع ابتداء وهو الله جل وعلا وبين من لا يخلق شيئًا ألبتة ولا يستطيع أن يخلق وهى الأصنام ممن يعبد من دون الله .

وفى ختام هذه الآية جاء قوله تعالى : ﴿أفلا تذكرون﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على الناس الذين لا يفرّدونه بالعبادة ويوبخهم على غفلتهم وجهلهم وسوء نظرهم وعدم تنبههم لأمر واضح جلي يدرك بأقل تفكير، ويعرف بأدنى تذكر، وهو أن من يخلق هذه الخلائق العظيمة وينعم بهذه النعم الجلييلة هو المستحق لأن يفرّد بالعبادة، وأن من لا يخلق شيئًا ولا يستطيع أن يخلق هو شئىء لا يستحق عبادة ما أبدا .

الآية السادسة في قوله تعالى : ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون (٨١) قالوا إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (٨٣) قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾ (٨٥). الآيات : (٨٥-٨١) من سورة المؤمنون .

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن المشركين من كفار مكة قالوا مثل ما قال أسلافهم الأقدمون الذين كذبوا من أرسله الله تعالى إليهم ، قالوا لهم إذا متنا وبليت أجسامنا وصارت ترابا وعظاما ، أئنا لمبعوثون من قبورنا أحياء كما كنا من قبل الممات؟! إن هذا لن يكون .

وتتضمن أيضا أن المشركين من كفار مكة قالوا للرسول ﷺ أنت يا محمد تعدنا أننا سنبعث بعد الممات ، وهذا وعد قد وعده آباؤنا من قبل أناس قالوا عن أنفسهم إنهم رسل الله ، فما هذا الوعد إلا أكاذيب سطرها الأولون في الكتب .

وتتضمن أيضا أن الله سبحانه وتعالى قال لرسوله ﷺ : قل يا محمد لقومك المكذبين بالبعث : «لمن ملك هذه الأرض ومن فيها من الخلائق إن كنتم تعلمون ذلك؟» .

ثم أعلمه الله سبحانه وتعالى أن قومه سيقولون في جواب هذا السؤال مقرّين : إنها ملك لله وحده ، ثم أخبره سبحانه وتعالى أن يقول لهم بعد أن يجيبوا هذا الجواب : «أفلا تذكرون» وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر عليهم أن لا يتدبروا ويعقلوا أن من قدر على خلق هذه الأرض ومن فيها بدءاً وإبداعاً قادر على إعادتهم إلى الحياة مرة ثانية خلقا سوياً كما بدأهم أول مرة .

الآية السابعة قوله تعالى : ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ . الآية (٤) من سورة السجدة .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، فهو المتفرد بهذا الخلق العجيب العظيم ، فليس لكم أيها الناس من ناصر ينصركم منه إن أراد بكم ضرا ، وليس لكم من شفيع يشفع لكم عنده إن عاقبكم على مخالفتكم أمره .

وفي ختام هذه الآية الكريمة قال تعالى : «أفلا تتذكرون» وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على الكافرين ويوبخهم أن لا يفكروا في قدرته العظيمة المبدعة وفي تفردته بتدبير أمور خلقه لا شريك له ، فيدركوا أنه وحده المستحق للعبادة ، وأن من دونه لا يستحقون شيئا .

الآية الثامنة في قوله تعالى : ﴿ فاستفتهم ألبك البنات ولهم البنون (١٤٩) أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون (١٥٠) ألا إنهم من إفكهم ليقولون (١٥١) ولد الله وإنهم لكانذبون (١٥٢) أصطفى البنات على البنين (١٥٣) مالكم كيف تحكمون (١٥٤) أفلا تذكرون ﴾ (١٥٥) . الآيات : (١٤٩-١٥٥) من سورة الصافات .

مما تضمنته هذه الآيات الكريمة أن مشركى قريش كانوا يقولون إن الملائكة بنات لله ، وقد وبخهم الله سبحانه وتعالى بأنهم لا يرضون الإناث لأنفسهم فكيف يرضون ذلك الله رب العالمين .

ومما تضمنته أيضا تبيان كذبهم بأنهم لم يحضروا ولم يروا خلق الله تعالى للملائكة حين خلقهم فمن أين عرفوا أنه جل وعلا قد خلقهم إناثا ، وكيف يحكمون بهذا الحكم دونها حجة ولا برهان .

وفي ختام هذه الآيات قال تعالى : «أفلا تذكرون» وهو استفهام توبيخ وإنكار :
يوبخ الله سبحانه وتعالى مشركى قريش وينكر عليهم أن لا يتدبروا ما يقولون ، وأن لا يفكروا فيما يحكمون ، فيعرفوا ما فى قولهم من خطأ وجهل وما فى حكمهم من إفك وبهتان ، فيرجعوا عن الضلال ويثوبوا إلى الرشد .

الآية التاسعة قوله تعالى : ﴿ أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ . الآية (٢٣) من سورة الغاشية .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن من اتخذ معبوده ما تمواه نفسه ، وأضله الله على علم منه بأنه لا يهتدى ولو جاءتة كل آية ، وختم على سمعه فلا يسمع آيات الله ويتدبرها ويدرك ما فيها من نور وهداية ، وختم على قلبه فلا يفقه به حقا ، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر آيات الله المنبثة فى جنبات الأرض وآفاق السماء الدالة على قدرته ووحدانيته فيعلم أنه لا إله

إلا هو، إن من كان على هذه الصفة لن يستطيع أن يهديه أحد من بعد الله تعالى .

وفي ختام هذه الآية جاء قوله تعالى : «أفلا تذكرون» وهو استفهام توبيخ وإنكار :
يوبخ الله سبحانه وتعالى أولئك المشركين وينكر عليهم أن لا يتدبروا أن معبوداتهم من دون الله لا تنفعهم إن أراد الله بهم ضراً، وأنها لا تغني عنهم من الله شيئاً، وأنه وحده الهادى إلى الصراط المستقيم، وأنهم لن يجدوا لأنفسهم من دونه ولياً مرشداً .

أختى العزيزة «هل» :

في ختام هذه الرسالة أحب أن أنبهك على أن هذه الصيغة قرئت في بعض آياتها بتاءين «أفلا تذكرون» وفي معظم آياتها بتاء واحدة «أفلا تذكرون»، وما جاء بتاءين فعلى الأصل، والتاء الأولى هي تاء المضارعة، والتاء الثانية هي تاء تفعّل الزائدة في الفعل الماضي، وحين يجتمع تاءان في أول مضارع تفعّل يجوز أن لا تخففيهما فتبقيان على حالهما، ويجوز أن تخففيهما فتحذف إحدى التاءين، وقد اختلفوا أيهما المحذوفة. فرأى سيبويه: أن المحذوفة هي الثانية لأن الثقل منها نشأ، ولأن حروف المضارعة زيدت على تاء تفعّل لتكون علامة دالة على معنى المضارعة فهي أولى بالبقاء. وقال الكوفيون: المحذوفة هي الأولى، وجوز بعضهم الأمرين .

ومهما يكن من أمر فقراءة التاءين جاءت على الأصل، وقراء التاء الواحدة جاءت على التخفيف .

أختى العزيزة :

أستودعك الله تعالى، وأسأله جل وعلا أن يعين على رسالة قادمة يكون فيها الخير والرشاد .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . . .

أختك

همزة الاستفهام

مراجع ماجاء في هذه الرسالة

(أ) المراجع على وجه الإجمال :

- ١ - تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري - الطبعة الثالثة - الناشر: الحلبي بمصر .
- ٢ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي . الناشر: مكتبة ومطابع النصر احديثة بالرياض .
- ٣ - تفسير أبي السعود . الناشر: دار المصحف - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة .
- ٤ - الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين . الناشر: الحلبي بمصر .
- ٥ - تفسير ابن كثير . الناشر: الحلبي بمصر .
- ٦ - تفسير الكشاف للزمخشري . الناشر: الحلبي بمصر .
- ٧ - تفسير القرطبي «نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية» . الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .
- ٨ - شرح شافية ابن الحاجب للرضي - تحقيق محمد نور حسن وزميليه . الناشر: محمود توفيق ، مطبعة حجازي بالقاهرة .

(ب) المراجع على وجه التفصيل :

- ١ - مراجع صيغة «ألا تتقون» في آياتها الاثنتي عشرة :
- الآية الأولى (٦٥) الأعراف: تفسير أبي السعود (ج ٣ ص ٢٣١) . تفسير البحر المحيط: (ج ٤ ص ٣٢٣) . تفسير الطبري: (ج ٨ ص ٢١٥) .
- الآية الثانية: (٣١) يونس: أبو السعود: (ج ٤ ص ١٤) . البحر حيط: (ج ٥ ص ١٥٤) . الطبري: (ج ١١ ص ١١٤) . القرطبي: (ج ٨ ص ٣٣٥) .
- الآية الثالثة: (٢٣) المؤمنون: أبو السعود: (ج ٥ ص ١٣٠) البحر المحيط: (ج ٦ ص ٤٠٢) . الطبري: (ج ١٨ ص ١٦) .
- الآية الرابعة: (٣٢) المؤمنون: الطبري: (ج ١٨ ص ١٩) .
- الآية الخامسة: (٨٧) المؤمنون: الطبري: (ج ١٨ ص ٤٧) . البحر المحيط: (ج ٦ ص ٤١٨) . القرطبي: (ج ١٢ ص ١٤٥) . حاشية الجمل: (ج ٣ ص ٢٠٠) .
- الآية السادسة: (١١) الشعراء: الطبري: (ج ١٩ ص ٦٤) القرطبي: (ج ١٣ ص ٩١) . البحر المحيط: (ج ٧ ص ٧) . الزمخشري: (ج ٣ ص ١٠٦) أبو السعود: (ج ٦ ص ٢٣٦) حاشية الجمل: (ج ٣ ص ٢٧٣) .
- الآية السابعة: (١٠٦) الشعراء: البحر المحيط: (ج ٧ ص ٣٠) . الطبري: (ج ١٩ ص ٩٠) . أبو السعود: (ج ٦ ص ٢٥٤) القرطبي: (ج ١٣ ص ١١٩) .
- الآية الثامنة: (١٢٤) الشعراء: البحر المحيط: (ج ٧ ص ٣٣) . الطبري: (ج ١٩ ص ٩٢) .

الآية التاسعة : (١٠٢) الشعراء: الطبري: (ج ١٩ ص ٩٩) .
 الآية العاشرة: (١٠٠) الشعراء: الطبري: (ج ١٩ ص ١٠٥) .
 الآية الحادية عشرة : (١٧٧) الشعراء: الطبري: (ج ١٩ ص ١٠٧) . القرطبي: (ج ١٣ ص ١٣٥) .
 الآية الثانية عشرة : (١٢٤) الصافات: الطبري (ج ٢٣ ص ٩١) . أبو السعود: (ج ٧ ص ٢٠٣) .

٢ - مراجع صيغة «أفلا تذكرون» في آياتها التسع :

الآية الأولى : (٨٠) الأنعام: البحر المحيط: (ج ٤ ص ١٧٠) . الطبري: (ج ٧ ص ٢٥٣) .
 أبو السعود: (ج ٣ ص ١٥٥) . ابن كثير: (ج ٢ ص ١٥٢) .
 الآية الثانية : (٣) يونس: البحر المحيط: (ج ٥ ص ١٢٤) . الطبري: (ج ١١ ص ٨٣) . ابن
 كثير: (ج ٢ ص ٤٠٦) . الزمخشري: (ج ٢ ص ٢٢٥) .
 الآية الثالثة : (٣٤) هود: البحر المحيط: (ج ٥ ص ٢١٣) . أبو السعود: (ج ٤ ص ١٩٩) .
 الطبري: (ج ١٢ ص ٢٥) . حاشية الجمل: (ج ٢ ص ٣٩٠) .
 الآية الرابعة : (٣٠) هود: البحر المحيط: (ج ٥ ص ٢١٨) . أبو السعود: (ج ٤ ص ٢٠٣) .
 الطبري: (ج ١٢ ص ٣٠) .
 الآية الخامسة : (١٧) النحل: البحر المحيط: (ج ٥ ص ٤٨١) . الطبري: (ج ١٤ ص ٩٢) .
 أبو السعود: (ج ٥ ص ١٠٤) .
 الآية السادسة : (٨٥) المؤمنون: البحر المحيط: (ج ٦ ص ٤١٨) . أبو السعود: (ج ٦ ص ١٣٠) .
 الطبري: (ج ١٨ ص ٤٧) . حاشية الجمل: (ج ٣ ص ٢٠٠) . القرطبي: (ج ١٢ ص ١٤٥) .
 ابن كثير: (ج ٣ ص ٢٥٣) . الزمخشري: (ج ٣ ص ٤٠) .
 الآية السابعة : (٤) السجدة: أبو السعود: (ج ٧ ص ٨٠) . الطبري: (ج ٢١ ص ٩١) .
 القرطبي: (ج ١٤ ص ٨٦) . ابن كثير: (ج ٣ ص ٤٥٦) .
 الآية الثامنة : (١٥٥) الصافات: البحر المحيط: (ج ٧ ص ٣٧٧) . أبو السعود: (ج ٧ ص ٢٠٨) .
 الطبري: (ج ٢٣ ص ١٠٦) . القرطبي: (ج ١٥ ص ١٣٤) .
 الآية التاسعة : (٢٣) الجاثية: الطبري: (ج ٢٥ ص ١٥١) . القرطبي: (ج ١٦ ص ١٦٩) .

٣ - مرجع ما ورد من صرف في صيغة «أفلا تتذكرون» :

شرح شافية ابن الحاجب للرضي: تحقيق محمد نور حسن وزميليه: (ج ٣ ص ٢٩٠) .

★ ★ ★ ★ ★

حَدِيثٌ مَعَ الْبُلْبُلِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ زُرِّيَّانُ الْغَامِرِيُّ
وكيل عمادة شؤون الطلاب بالجامعة

يفيض على القلب طيب النسم
عهدنا ترددها من قدم
غناؤك مازال أم بي صمم
لقد زال عهد الرضا وانصرم
من العيش فيه ويخشى النقم
سواي يشاركني في النغم
وغنيت من كل لحن لهم
وتصفى له عربها والعجم
وأدركني الليل يهدي الظلم
فزاد بظلمته وادلهم
ليطلع فجر يضيء الأكم
عهدت فلم يبق فيها علم
ويحكي نهاية من قد ظلم
ولم يبق من بعد إلا الرخم
وغربان تبحث بين الرمم
تقاد لأعدائها كالنعم
وترمى الموائيق لا تحترم
وأما الهوى فأجابوا نعم
ومن قد مضى قبلهم من أمم
وحل بهم من عظيم النقم
وفيها الهداية والمعتصم

ايا بلبل الروض اين النغم
واين الأغاريد تلك التي
فقد غاب صوتك عنى فهل
فقال وفي مقلتيه الدموع
وجاء زمان يحار اللبيب
لقد كنت اشدوا وما في الحمى
تثقلت من فوق غصن لغصن
وصوتى يردد في العالمين
أمنت فمنت لرجع الصدى
فقلت: أيا ليل هل تنقضى
أما آن ياليل أن تنجلي
افقت إذا الأرض غير التي
سوى طلل يندب السابقين
فأين صقور الحمى هاجرت
وبوم يعشش بين الخراب
أمن بعد أن قادت العالمين
تقول فمن يستمع قولها؟!
إذا ما دعوا للهدى أدبروا
أما قرأوا سيرة السابقين
وكيف انتهى منهم الظالمون
وأي الكتاب وهدى الرسول

وتنذر بالويل من قد ظلم
 يذوب لها القلب مما ألم
 فإن يشك عضو تداعى الألم
 وشد على بعضه فاحتكم
 ففى كل واد جرى منه دم
 عليه ايدى الردى فانهدم
 واضحوكة تعلى كل فم
 وفيه التنافس إلا القيم
 يرون النصوص لهم متهم
 فأين الشهامة أين الشيم؟
 وأوقف سرى وشد القدم
 لقد بح صوتى وجف القلم
 وتبقى صريع الأسى والألم
 يشع بأنواره فى القمم
 وقد كظم الحزن ثم ابتسم
 دنا جرحنا للشفاء والتأم
 لقاء بطيبة أرض الحرم
 على الخير والكل منهم عزم
 تحيط بها حالكات الظلم
 عدو ينادى عدوا هلم
 وهذا حقوق دعا نقتسم
 إلى الفى سبيل الهوى كالغنم
 تقاذفه اليم يم ليم
 فعاث بهم موجهها والتطم
 وعضوا جميعا اكف الندم
 وما كان من زلة للقدم
 أمانة علم، فأعلوا الهمم
 لأفئدة بالظى تضطرم

طريق النجاة لمن رامها
 وبعد اجتماع نرى فرقة
 وأمتنا جسد واحد
 وصرح تماسك بنيانه
 ولكنه اليوم جسم جريح
 واهمل بنيانه فاعتدت
 وبعد السيادة العوبه
 ترى كل شىء غلا سعره
 نصحت وأدركت من نصحهم
 وقلت لغيرى ألا تنصحون
 ترامى لسمعى صوت حزين
 وقال وفى عينه دمعة
 ايا بلبل الروض لا تياسن
 فقد لاح فى الأفق فجر يضىء
 فأصغى إلى: أحقا نقول؟
 فقلت له خفف الروع قد
 أما تبصر الجمع قد ضمهم
 وفى مهبط الوحي حين التقوا
 ايا قادة العلم فى أمة
 تداعى عليها الأعادى فكم
 فذا طامع حاسد غيره
 وهذا الغشاء وقد ساقهم
 والقى بهم فى بحور الضلال
 وسارت بهم فى عميق البحار
 فخافوا وكل بكى نفسه
 ألا فاذكروا اليوم تفريطكم
 ايا قادة العلم هملتكم
 ففى جمعكم أمل يرتجى

تطاع فيكم الا حققوا
وأدوا الأمانة في همة
فما قام حق واربابه
إذا باطل قام في غفلة
افاق له الحق في عزة
فتحيا البلابل في روضها
مناها فكم مسها من سقم
تكونوا منارا لمن بعدكم
يرون المقيم له متهم
من الحق ثم انتشى وانتقم
فعاد لادراجه وانهمزم
وتهتف فيه بشكر النعم

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَأَنْتُمْ عِزٌّ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ

وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ^{الأنفال} (٤٦)



من تراثنا السعري العاصر

المواخاة بين المرءاجرين والأنصار

للشاعر أحمد محمد

حييت من أسرة، بوركت من دار
يدعو البنين فلبّوا غير أغمار^(١)
واستحصد الحبل من شد وإمرار^(٢)
يحمى الذمار، ويرعى حرمة الجار
وليس يعطيه إن أعطى بمقدار
ويبذل المال في يسر وإعسار
في صورة الفرد، فانظر قدرة الباري
يا عصابة الله من صحب وأنصار
بين القبائل دين الجهل والعار
دنيا صفت بعد أقذاء وأكدار
تشقى النفوس بداء منه ضرار
يومي إليكم بآمالٍ وأوطار^(٤)
تطغى على أمم شتى وأقطار؟
ولن أسالم منهم كل جبار
رمى الضعاف بأنياب وأظفار؟
أقطارها بين آثامٍ وأوزار^(٥)
إذا تكشّف عن وجه لها عار؟
تستفرغ الكبر من هامٍ وأبصار
هل يخلق الله قوماً غير أحرار؟
بواحدٍ غالب السلطان قهار؟

الأسرة أجمعت في الدار واحدة
مشى بها من رسول الله خير أب
تأكد العهد مما ضمّ ألفتهم
كلّ له من سراة المسلمين أخ
يطوف منه بحقٍ ليس يمنعه
يجود بالدم، والآجال ذاهلة
هم الجماعة، إلا أنهم برزوا
صاح النبيّ بهم، كونوا سواسية^(٣)
هذا هو الدين، لا ماهاج من فتن
ردوا الحياة فما أشهى مواردها
الجاهليّة سُمّ ناقعٍ وأذى
تأهبوا، إنّ ديناً قام قائمه
أما ترون رياح الشّرك عاصفةً
لن أترك الناس فوضى في عقائدهم
أكلها ملك الأقوم مالّكهم
الشّرّ غطى أديم الأرض فارتكست
أخفى محاسنها الكبرى، فكيف بكم
لأنزلن ذوى الطغيان منزلةً
ظنوا الضّعاف عبداً، بئس ما زعموا
ما غرهم إذ أطاعوا أمر جاهلهم

(١) غير أغمار: غير حاقدين .

(٢) استحصد: قوى والإمرار: القتال .

(٣) سواة .

(٤) الأوطار: الحاجات ويومي يشير .

(٥) أديم الأرض وجهها ارتكس الرجل والشىء انتكس .

يرمى العروش إذا استعصت ويبعثها
بعثت بالحق يهدى الجاحمين كما
أدعوا إلى الله بالآيات واضحة

فمن أبى فدعائى كل ذى شطب
الله أكبر. هل فى الحق معتبة
ألم يكن أخذ الميثاق من قدم
إن الألى اتخذوا الأصنام آلهة
يستكبرون على من لا شريك له
راحوا يجلونها من سوء ما اعتقدوا
لكل قوم إله يؤمنون به
النار أعظم سلطاناً ومقدرة
سبحانه من إله شأنه جليل
لأكشفن عن الأبصار إذ عميت
ما للسراحين بد من مصارعها
ضموا القوى، إلهادنيا الجهاد بدت
لابد من غارة للحق بأسلة
خير الذخائر أبقاها، ولن تجدوا
لا تنقضوا العهد، إن الله منزله
قالوا: عليك صلاة لله إن بنا
أخيت بين رجال يصدقون إذا
جنود ربك، إن قلت: اعصفوا اعصفوا
من كل منغمس فى النفس مرتجس

مبثوثة فى جناحى عاصف ذار^(١)
يهدى الحيارى شعاع الكوكب السارى
تهدى الغوى وتنهى كل كفار

ماضى الرسالة فى الهامات بتار^(٢)
لمستخف بعهد الله غدار؟
فما المقام على كفر وإنكار؟
على شفا جرف من أمرهم هار
ويسجدون على هون لأحجار
والله أولى باجلال وإكبار
ما يبتغى الله من إيمان فجار؟
فى رأى عبادها، أم خالق النار؟
يهدى النفوس بآيات وآثار
ما أسدل الجهل من حجب وأستار
إذا انتضت سطوات الضيغم الضارى^(٣)
أشراطها، وترأى زندها الوارى
وجحفل من جنود الله جرار
كالعهد يرعاه أخيار لأخيار
على لسان رسول منه مختار
ما الله يعلم من عزم وإصرار
زلت قوى كل خداع وختار^(٤)
يرمون فى الحرب إعصاراً باعصار^(٥)
وكل منبجس بالبأس فوار^(٦)

(١) من ذرت الريح إذا هاجت التراب .

(٢) الشطب الطرائق فى السيف والبتار القاطع .

(٣) السراحين الذئاب والضيغم الضارى الأسد المفترس .

(٤) الختار الغدار .

(٥) الإعصار الريح العاتية تثير السحاب، أو التى يكون فيها برق ورعد .

(٦) ارتجست السياء رعدت، والسحاب صوت. وانبجس الماء ونحوه تفجر، والنقع الغبار يثور من حدة المعركة .

الرأى العام فى المجتمع الإسلامى

بإسناد من زبىر الكلى فى
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

الرأى العام فى المجتمع الإسلامى —

الحمد لله رب العالمين وبه أستعين والصلاة والسلام على نبيه الكريم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بأحسان إلى يوم الدين وبعد :
فقد رأيت أن أكتب فى الرأى العام فى المجتمع الإسلامى من خلال النقاط التالية :

- ٢ — تعريف الرأى العام .
- ٢ — تكوين الرأى العام والمؤثرات فيه .
- ٣ — وظيفة الرأى العام .

الرأى العام :

تعريفه : وردت تعاريف متعددة للرأى العام منها : « أنه ميول الناس نحو قضية ما ، إذا كان هؤلاء الناس من فئة اجتماعية واحدة »^(١) .

ومنها : « أنه الحكم الذى تصل إليه الجماعة فى قضية ما ذات اعتبار ما » .

ومن هذين التعريفين يتبين أن الرأى العام هو نتيجة أمور عديدة منها :

- ١ — أن تكون هناك قضية مطروحة .
- ٢ — أن تكون مناقشات وافية حول القضية المطروحة .
- ٣ — أن يكون « الحكم » الذى تصل إليه الجماعة أو « الرأى » متفقاً مع :^(٢)
أ — عقيدة الأمة .

(١) E.S.Bo gardus. the Making of Public opinio - P.5

والإعلام والدعاية نظريات وتجارب . د : محمد عبد القادر حاتم (ص : ١٢٣) .
(٢) المرجع السابق .

ب — ملبياً لحاجاتها محققاً لمصلحتها .

ومن الجدير بالذكر أن الرأي العام الذى ينشده الإسلام في المجتمع الإسلامي هو الرأي العام الصالح المتفق مع عقيدة الأمة وقيمها .

ومن الأهمية بمكان أن نقول إن هذا الرأي العام هو ثمرة ارتباط أفراد المجتمع الإسلامي برباط ثقافي موحد مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن شأن أفراد أن يرجعوا إلى حكم الله فيما يعرض لهم من حوادث ، وأن ينطلقوا من القيم الإسلامية مهتدين بهديها ليكون الرأي العام فيها وليد عقيدتهم ، راجعاً إلى هدى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

تكوين الرأي العام :

يتكون الرأي العام في المجتمع الإسلامي نتيجة للاطار الثقافي الذى وضع القرآن الكريم حدوده، وبينته السنة المشرفة، والمبادئ الإسلامية التالية من شأنها أن تبين معالمه :

١ - من مبادئ الإسلام أن يرجع المسلم في أموره كلها إلى حكم الله قال تعالى : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ . (الأحزاب : ٣٦) .

٢ - من مبادئ الإسلام ألا يتسرع المسلم بالحكم على شىء قبل معرفة حكم الله به قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ . (الحجرات : ١) .

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية : «أى لا تتسرعوا في الأشياء بين يديه ، أى قبله بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعى حديث معاذ - رضى الله عنه - حيث قال له النبي (ﷺ) حين بعثه إلى اليمن : «بم تحكم؟» . قال : بكتاب الله تعالى ، قال (ﷺ) : فإن لم تجد؟ قال : بسنة رسول (ﷺ) ، قال : فإن لم تجد؟ قال - رضى الله عنه - : أجتهد رأياً ، فضرب في صدره وقال : «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله (ﷺ) لما يرضى رسول الله (ﷺ) . » . رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه - قال ابن كثير : فالغرض منه أنه أحر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ، ولو قدمه قبل البحث عنها لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله (١) .

(١) تفسير ابن كثير : (٤/٢٠٦) . ط دار الفكر .

٣ - حدد الإسلام المصدر الوحيد لتلقى الثقافة وهو الكتاب والسنة، ولا يجوز للمسلم أن يشوه فكره بثقافة مغايرة، وعلى أولى الأمر في المجتمع الإسلامي أن يحموا أفراد المجتمع من منابع الفكر الغريب المنحرف، حتى لا تقع الأمة في مدارس فكرية مختلفة، فيحصل الانقسام، والفرقة، والتفكك، ومن المناسب هنا أن نذكر غضب رسول الله (ﷺ) واستنكاره عندما رأى صحيفة من التوراة بيد عمر بن الخطاب - رضی الله عنه - وبين أن موسى عليه السلام لو كان حياً لما وسعه إلا أن يتبع رسالة خاتم الرسل ومكمل الرسالات السابقة برسالته محمد (ﷺ) .

المؤثرات في تكوين الرأي العام في المجتمع الإسلامي :

في ظل هذه المبادئ والأسس التي رسمها الإسلام للمجتمع، نجد أن الإسلام دعا إلى قيام المؤسسات التوجيهية التي تربي أفراد الأمة تربية إيمانية صالحة على عقائد الإسلام وقيمه واتجاهاته ليكون الرأي العام في المجتمع الإسلامي الثمرة المباركة لهذه المؤسسات وهي :

(١) المسجد :

كانت إقامة المسجد العمل الأول الذي بدأ به رسول الله (ﷺ) في المدينة المنورة .

رسالة المسجد في الإسلام :

وليس المسجد في الإسلام مكاناً للعبادة فحسب، أنه مدرسة توجيه وارشاد يلتقى فيه أفراد الحي كل يوم خمس مرات فيستمعون كتاباً واحداً هو القرآن الكريم ويتلقون توجيهاً واحداً من هدايته، ويستشعرون رابطة الوحدة والأخوة التي تجمعهم وهم صفوف مستوية مترابطة تقتدى بإمام واحد .

(٢) العلماء :

وفي المسجد تلقى دروس العلم، ويلتقى أبناء الحي يتلقون ثقافة واحدة من هدى الكتاب والسنة وشروح العلماء .

وفي المسجد يلتقى أبناء الحي وتدور بينهم المناقشات حول قضاياهم الاجتماعية والاقتصادية التي من شأنها أن توحد رأيهم وتجمعهم على طريق سواء .

وللعلماء والعاملين الذين يتصفون بغزارة العلم، والزهد، والصدق والاخلاص والجرأة في قول الحق دور كبير في تكوين الرأي العام وتوجيهه نحو الخير .

فالعالم العامل حين يكون قدوة حسنة بعلمه ونزاهته وزهده وجرأته وصدقه واخلاصه جديراً به أن يؤثر بالجهامير ويقودها، ولقد حفل تاريخنا الإسلامي بالأمثلة العديدة لهذه القيادة التي قاد بها العلماء الرأى العام لمواجهة بدع المعتزلة في خلق القرآن وتأثير الفلسفة اليونانية في الفكر الإسلامي وضرب هذا الاتجاه الفلسفى ضربة قاصمة بعلمه وصبره وجهاده وثقة الناس به الإمام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه - والشيخ العزبن عبد السلام - رضى الله عنه - قاد الرأى العام في المجتمع الإسلامى لمواجهة الحاكم الذى تعاون مع الصليبيين ضد المسلمين، ولمواجهة الانحراف في المجتمع والفساد الذى كان وراءه بعض الافراد .

والإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وتلميذه ابن القيم قاد الرأى العام وأذكى شعلته لمواجهة التتار من جهة . ولمحاربة البدع والافكار الدخيلة في المجتمع من جهة أخرى، وكان جهاده في ميدان الفكر كجهاده في ميدان المعركة يعطى الصورة الكريمة للعالم المسلم القادر على قيادة الجماهير بعلمه وموقفه، بقلمه وجهاده، حتى لا ينفصل العلم عن الموقف، ولأن الناس لا ينظرون إلى العلماء بالقابهم ووظائفهم ورتبهم فحسب، وإنما ينظرون إليهم بسيرتهم وحسن اقتدائهم برسول الله (ﷺ) جهاداً ودعوة .

(٣) فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

والعلماء في المجتمع الإسلامى هم المسؤولون بالدرجة الأولى عن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وللقيام بهذه الفريضة آثارها الكبيرة في إيجاد الرأى العام لصالح في المجتمع الإسلامى، ولهذا كانت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم مبينة هذه الفريضة داعية الأمة إلى القيام بها. ومنها :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ . (آل عمران : ١٠٤) .

ومن صفات المؤمنين الصالحين أنهم : يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة﴾ . (التوبة : ٧١) .

— وهناك مؤثرات أخرى في تكوين الرأى العام، عمل الإسلام على توجيهها وربطها بقواعده ومبادئه وهى :

(أ) البيت : وقد أشار القرآن الكريم إلى الذرية الصالحة التى تتبع الوالدين على

طريق الإيمان ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم﴾ . (الطور: ٢١) ،
وأشار إلى خطر انفصال الولد عن أبيه والأسرة عن بعضها إذا انحلت عرى الإيمان فقال :
﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو
أبناءهم أو إخوانهم﴾ . (المجادلة: ٢٢) .

وفي الحديث الشريف : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو
ينصرانه^(١) . «وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» .

(ب) المدرسة : وهى بيوت العلم التى حرص الإسلام على أدائها لرسالتها مهتدية
بقواعد الإسلام ومبادئه فى المنهج، والكتاب، والعلم، وحذر أشد التحذير من انحرافها عن
الكتاب والسنة، ووجه لأن تكون العلوم المختلفة خادمة العقيدة والإيمان بالله ووحدانيته،
حتى لا يتناقض ما يقرأه الطالب فى درس التربية الإسلامية عما يقرأه فى المباحث الأخرى،
ولتكون الثقافة الواحدة التى يتربى عليها أفراد المجتمع فى المدارس ثقافة واحدة، توحد
الفكر ولا تمزقه، وتساعد على إيجاد رأى عام واحد صالح يخدم أهداف الإسلام ويرعى
مبادئه .

لقد أثمرت الثقافة الإسلامية الواحدة التى تلقىها الأمة فى المسجد والمدرسة وحدة فى
الاتجاه العام والرأى العام جعل أبناءها فى العصور السالفة على اختلاف تخصصاتهم
العلمية فى الحديث، والتفسير، والفقه واللغة، والفلك والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة
أبناء ثقافة واحدة، تسلك طريقهم، وتوحد خطاهم فى المجتمع، وتصنع وحدتهم وتقييم
أواصر التعاون فيما بينهم . وحين وقع الانفصال بين الجامع والجامعة، وبين المدرسة
والمسجد، وبين مصادر التوجيه، والدين، وأخذت تتسرب للأمة الثقافات المتعددة نتيجة
الغزو الفكرى الاجنبى، وسيطرة المستشرقين وتلاميذهم على معظم الجامعات فى البلاد
الإسلامية . . . وانتقل هذا التأثير المنحرف إلى المناهج والكتب المدرسية فى مراحل الدراسة
الابتدائية والاعدادية والثانوية فى بلاد المسلمين، حين حصل هذا وقع الانفصال بين ثقافة
الأمة وشخصيتها الحضارية المستمدة من دينها وتاريخها وأصولها . وأصبح الرأى العام يتأثر
تأثراً كبيراً بقيمة جديدة وثقافات غريبة أوجدتها مراكز التوجيه المنحرفة . وأصبحت مهمة
العلماء صعبة شاقة، ورسالتهم كبيرة ضخمة لايجاد التغيير فى المجتمع، والعودة إلى قيادة
الأمة والرأى العام فيها من جديد .

(١) متفق عليه .

بالإضافة إلى المؤثرات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى التى شغلت الناس بالمادة
عن الله وعبادته .

٤ - من مبادئ الإسلام أن يرجع المسلم إلى العلماء المشهود لهم بالصدق والنزاهة
للتعرف على أحكام الله ، ومتابعتهم قال تعالى : ﴿فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا
تعلمون﴾ .

﴿ولورده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ .
(النساء : ٨٣) .

٥ - من مبادئ الإسلام أن الذى يصيب مسلماً بسوء يصيب المجتمع كله ، ومن هنا
-حرم الإسلام الاشاعات الباطلة ونزلت الآيات فى حديث الافك تربية للأمة وتطهيراً للرأى
العام فيها وصيانة له من الانحراف والجرأة على الباطل بدون بينة^(١) .

٦ - من مبادئ الإسلام فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والآيات كثيرة تدل
على وجوبها .

وسائل الإعلام والتوجيه المختلفة :

لوسائل الاعلام من إذاعة وتلفزيون وصحافة أثرها فى ايجاد الرأى العام ، فالرأى العام
هو أساس الإعلام . . . فهدف الإعلام الأول ايجاد الرأى العام أو توجيهه نحو قضية ما أو
وجهة نظر مطلوبة وتأثير الإعلام فى الرأى العام راجع إلى اتصاله المباشر بالجمهور على
اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الثقافية .

ورجل الإعلام الناجح هو الذى يعرف نفسية الجمهور ورغباتهم ويحاول توجيهها
إصالح فكرته ومؤسسته .

ودخول وسائل الإعلام كل بيت بغير استئذان ، وعرضها للفكرة بوسائل الاقناع
المختلفة فى أوقات النهار المختلفة يجعل لها التأثير البالغ على عقول الجمهور ويجاد الرأى
العام فى الأمة .

ومن هنا كانت خطورة أجهزة الإعلام وأهميتها البالغة إيجاباً أو سلباً ، ومن هنا كان
على العلماء فى البلاد الإسلامية واجب كبير فى توجيه هذه الأجهزة والسيطرة عليها حتى
تكون معبرة عن عقيدة الأمة وحضارتها ، داعية إليها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا
يقضى أن تكون لهذه الأجهزة رسالة وفلسفة واضحة تلتقى مع رسالة أجهزة التوجيه

(١) نزلت «١٨» آية فى سورة النور فى هذا الموضوع .

الأخرى في المجتمع وهي : المسجد والمدرسة والصحافة والكتاب ، حتى لا تتناقض هذه الأجهزة ولا يهدم جهاز ما بينيه الآخر، ولا تحدث الصراع والتمزق في نفوس أبناء الأمة . كما يقتضى حسن اختيار العاملين في هذه الأجهزة كفاءة وديناً وخلقاً ليكون رجال الإعلام القدوة الحسنة لما يدعون إليه الناس بسيرتهم وخلقهم ، ولتكون دعوتهم مؤثرة فاعلة في الجماهير .

إن انفصال رجل الإعلام عن قيم الإسلام وأخلاقه بسيرته وسلوكه جريمة كبرى في أى بلد إسلامى تجعل من اللص «محافظة على بيت المال» . «والمجرم» مسؤلاً عن حفظ الأمن .!!

كما تقيم الهوة السحيقة بين أجهزة الإعلام وثقة الناس بها . ومن هنا كان من أعظم الواجبات التى يجاهد لتحقيقها العلماء انفاذ أجهزة الإعلام من التوجيه الفاسد المنحرف فى البلاد الإسلامية . والقيام بمسؤولياتهم فى توجيه الأمة من خلالها بلغة العصر وأسلوبه وكفاءته .

(٣) وظيفة الرأى العام :

للرأى العام فى المجتمع الإسلامى وظائف عديدة من أهمها :

- ١ - رعاية تطبيق الاحكام الشرعية .
- ٢ - حراسة المبادئ الإسلامية وصيانتها ومساندة هيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى هذا المجال
- ٣ - حسن استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها فى الكتاب والسنة عن طريق اعطاء الثقة بأهل الحل والعقد من العلماء والعاملين .
- ٤ - رفع الروح المعنوية للأمة وتقوية أواصرها وتعاونها .
- ٥ - استثارة مشاعر الأمة للقيام بواجب معين .

١ - رعاية تطبيق الأحكام الشرعية :

الأمة الإسلامية مخاطبة جميعها بتطبيق الأحكام الشرعية ، والخطاب فى القرآن فى هذا المجال يتناول أفراد الأمة جميعاً . فقله تعالى فى سورة النور مثلاً : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ . موجه لكل فرد فى الأمة . ونظراً لأن الأفراد لا يستطيعون القيام بهذه المسؤلية متجمعين فلا بد أن يختاروا من يقوم عنهم بهذه المهمة وهو الحاكم أو الإمام فالحاكم فى الدولة الإسلامية وكيل الأمة فى اقامة أحكام الله المطلوبة منهم جميعاً .

ومن هنا كان للرأى العام سلطانه فى دعوة الحكومة لتطبيق أحكام الله تعالى والتقييد بها وعدم الخروج عنها إلى قوانين وضعية أو مشاريع مستوردة .

يقول الإمام النسفى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ . والخطاب للأئمة لأن اقامة الحد من الدين ، وهى على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام منابهم (١) .

٢ - حراسة المبادئ الإسلامية وصيانة قيمتها فى المجتمع :

ومن هذا المبدأ كانت مسؤلية الأمة عامة عن حراسة مبادئ الشريعة وقيمتها ، وكان الرأى العام فى المجتمع الإسلامى ذا سلطان قوى فى حراسة هذه المبادئ ورعاية هذه القيم وصيانتها .

وقد وجه القرآن الكريم الأمة الإسلامية ودعاها مجتمعاً متعاونة لترفع صوتها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومساندة العلماء الذين يقومون بهذه المسؤلية . والأمر بالمعروف يعنى الأمر بما قرره الكتاب والسنة من مبادئ وقيم وأحكام للمجتمع ، والنهى عن المنكر يعنى النهى عما نهى عنه الكتاب والسنة من معاصى تعتبر خروجاً عن المبادئ الإسلامية وقيمتها .

ومن المناسب ايراد النصوص التالية من الكتاب والسنة التى تصور حرص الإسلام على مساندة تعاليمه وأحكامه بسلطان الرأى العام المسلم :

(١) قال الله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ . (آل عمران : ١٠٤) .

(٢) عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ : « مثل القائم فى حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » (٢) .

فالرأى العام مدعو هنا للتوجيه واصلاح الخطأ وانقاذ نفسه مع انقاذ المرتكبين للخطأ ،

(١) تفسير النسفى : (٣/٣٢٣) .

(٢) رواه البخارى والترمذى : الترغيب والترهيب (٤/٤٠٥) .

إن الحديث الشريف يجذر الجماعة من شعور «اللامبالاة» وعدم الاهتمام بقضايا الجماعة العامة بحجة أن الذين يرتكبون الفساد قوم غيرهم .

(٣) والمسلم . . مدعول للجهاد والتضحية في سبيل نصرة أحكام الشريعة إذا انتهك حرمتها حاكم ظالم . عن جابر - رضی الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه ، فقتله» (١) .

إن الجمع بين حمزة بن عبد المطلب - رضی الله عنه - الذي أبلى بلاء حسناً في قتال المشركين والتنكيل بهم حتى قضى شهيداً في غزوة أحد ، وبين من جهر بكلمة الحق في وجه إمام ظالم ، يصلنا بطبيعة المعركة التي خاضها حمزة - رضی الله عنه - في وجه الجاهلية وظلمها ، ويخوضها إخوان حمزة في طريق العمل لاستئناف الدولة الإسلامية ، أو في مواجهة محاولات الظالمين لابعاد أحكام الشريعة عن التطبيق بالتدريج وبالوسائل المختلفة . إن ظهور أمثال هؤلاء الرجال في ساحات المجتمع الإسلامي ومواجهة أعداء الشريعة من شأنه الهاب مشاعر الجماهير المسلمة وضاءة الطريق أمام الرأي العام ليقول كلمته ويتحمل مسؤوليته .

(٤) ان دعوة الرأي العام في المجتمع المسلم ليقف في وجه الانحراف والفساد ومحاولات الخداع والتمويه تظهر صريحة في حديث النبي الكريم : عن ابن مسعود - رضی الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» . (٢)

(٥) ويجذر الإسلام افراد المجتمع المسلم من الجبن في نصرة الحق والوقوف في ذلة الجبن والخور أمام رأى الأكثرية الفاسدة .

عن ابى سعيد الخدرى - رضی الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يُحْقَرَنَّ أحدكم نفسه ، قالوا : يارسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال : يرى أن عليه مقلاً ، ثم لا

(١) رواه الترمذی والحاكم : وقال صحيح الاسناد / الترغيب (٤ / ص ٤) .

(٢) رواه مسلم : الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى (٥ / ٤) .

يقول فيه، فيقول الله عز وجل يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول خشية الناس: فيقول فأياي كنت أحق أن تخشى». (١)

(٦) ويحذر الله الجماعة المسلمة أن يفلت من يدها زمام الأمر فتغلب المعاصي وتنتشر الفاحشة فيستحقوا عذاب الله. وقد سألت عائشة - رضی الله عنها - رسول الله ﷺ: «أنهلك وفيما الصالحين؟ قال: نعم إذا كثرت الخبث». (٢)

وعن جرير بن عبد الله - رضی الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه، ولا يغيرون إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا». (٣)

وعن أبي بكر الصديق - رضی الله عنه - قال: يا أيها الناس انكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم...﴾ (المائدة: ١٦٠) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب عن عنده». (٤)

الرأى العام ودوره في مقاطعة مجالس المنكرات :

ومن خير ما تتجلى به حراسة الرأى العام في المجتمع الإسلامى لمبادئ الشريعة وقيمها الحكم الشرعى الذى يأمر الجماعة المسلمة وكل فرد مسلم بمقاطعة مجالس المنكرات، والأماكن التى يوصى فيها الله، والمحافل التى يستهزأ فيها بدين الله، قال تعالى :

﴿وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً﴾. (النساء: ١٤٠) إن المسلم مدعو إذا لم يستطع أن يغير المنكر بيده ولسانه، أن يغيره بقلبه والتغيير بالقلب ليس حركة انفعالية نفسية ولا تظهر أثراً إيجابياً فى زانة المنكر، بل هى حركة انفعالية نفسية عملية تساعد على التغيير بالانسحاب من مجلس يعصى فيه الله، وهذا ما عبر عنه النبى ﷺ فى حديث له: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فقلبه وذلك اضعف الإيوان» .

إن كلمة: «فبلسانه» و«فقلبه» متعلقتان بالفعل فليغيره، والتقدير: فليغيره بيده،

(١) رواه ابن ماجه : ورواته ثقات - المرجع السابق (٦) .

(٢) رواه البخارى : عن زينب بنت جحش - رضی الله عنها - المرجع السابق (٦/).

(٣) رواه ابو داود : المرجع السابق (٨/).

(٤) رواه ابو داود والترمذى .

أوفليغيره بلسانه أوفليغيره بقلبه . . . ولا يكون بالقلب تغيير إلا بحركة هي اضعف الحركات واقلها بعد اليد واللسان هي حركة الانسحاب من مجالس المنكرات ومقاطعتها

الرأى العام ودوره فى مقاطعة من عصى :

والرأى العام فى الإسلام حين يخاصم ويقاطع هدفه الإصلاح والعلاج ، لا التشهير والهدم ، وهذا ما يميزه عن المجتمعات المادية ، فالثلاثة الذين خلفوا عن الجهاد بغير عذر وأمر الرسول ﷺ الأمة بمقاطعتهم واستعمل رسول الله ﷺ سلاح الرأى العام هذا وسيلة صالحة لا يبرز أثر التخلف عن الجهاد على الأمة ، وقيام الأمة جميعها بواجب المقاطعة ، حتى أقارب المقاطع وزوجه يقاطعون .

حتى إذا حققت المقاطعة ثمرتها التربوية للمتخلفين خاصة ، وللأمة عامة نزل الحكم من السماء بإنهاء المقاطعة والتوبة على الذين تخلفوا وتابوا وأنبأوا .

قال تعالى : ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم أنه بهم رؤوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ . (التوبة : ١١٧-١١٨) (١) .

إن سلاح المقاطعة يمثل قمة التربية الإيمانية للشخصية المسلمة حين تحب فى الله ، وتبغض فى الله ، وتصل فى الله ، وتقطع فى الله ، وتحارب فى الله وتسلم فى الله .

وإن العقيدة التى توحد رأى أبنائها فى اصدار حكم على شخص بمقاطعته لانه تخلف عن الجهاد ، أو جاهر بمعصية لتمثل لنا اسلوباً من أساليب الدعوة الإسلامية فى تربية الجماعة واصلاحها ، والدارس للتاريخ الإسلامى يجد تطبيقاً كريماً لهذه المبادئ فى محيط الأسرة ، أو محيط الجماعة حين يخرج أحدهم عن الجادة ، ويجاهر بمعصية الله فيهجر فى الله ، وتعطى الأمة برأىها فيه بالمقاطعة العلنية .

وقد ظهر هذا الأسلوب فى مرحلة الدعوة الأولى فى مكة قبل الهجرة حين أمر رسول الله ﷺ بان يهجر المجالس التى لا توقر فيها آيات الله وشرائعه فقال تعالى : ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾ . (الأنعام : ٦٨) .

(١) انظر قصتهم فى صحيح البخارى كتاب المغازى وفى الطبرى (٥٨/١١) .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : «من خاض في آيات الله تركت مجالسته وهجر مؤمناً كان أو كافراً . . . وقد قال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي : اسمع مني كلمة فـعرض عنه وقال : «ولا نصف كلمة» (١) وروى عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله ﷺ : «من قرصاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» (٢) .

٣- حسن استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها، واعطاء الرأى فى قضايا الأمة المهمة :

المقصود بهذا العنوان اظهار الاهمية التى يعطيها الإسلام للرأى العام من خلال بيان الرابطة بين جمهور الأمة وأهل الحل والعقد فيها، وبيان صلاحيات أهل الحل والعقد، ودورهم فى بيان احكام الشريعة باعتبارهم ممثلين شرعيين لجمهور الأمة، ومعبرين عن رأياها العام فى أمور الشريعة، وهذا يقتضى التعريف بأهل الحل والعقد وأهم اعمالهم .

أهل الحل والعقد كما يسميهم جمهور العلماء، أو أهل الاختيار كما يسميهم الماوردى وغيره (٣) أو أهل الاجتهاد كما يسميهم البغدادى (٤) هم جماعة معينة من فضلاء الأمة يوكل إليهم النظر فى مصالحها الدينية والدنيوية ومنها اختيار رئيس الدولة، فهم المسؤولون عن تصفح احوال الذين يمكن صلوحهم لتولى هذا المنصب الخطير، والاجتهاد فى ذلك، وهذه الجماعة لا تقوم باختيار الإمام إلا نيابة عن الأمة جميعاً، فهم بمباشرتهم هذا الاختيار لا يمثلون أنفسهم، بل يمثلون الأمة كلها، ولهذا فإنه عند مبايعة أهل الحل والعقد للإمام تجب مبايعته والانقياد له على سائر افراد الأمة (٥) .

وقد بين العلماء أن أهل الحل والعقد هم : «العلماء والرؤساء، ووجوه الناس الذين يتيسر اجتماعهم» (٦) ويرى الشيخ محمد رشيد رضا أن أهل الحل والعقد هم المقصودون بأولى الأمر فى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ إِذَاعَوْا بِهِ وَلَوْرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ . (النساء : ٨٣) . وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ . (النساء : ٥٩) . وليس المراد بأولى الأمر فى الآيتين الأمراء والسلاطين كما يرى بعض العلماء بدليل أن الآية الأولى

(١) تفسير القرطبي : (١٣/٧) .

(٢) المرجع السابق، وانظر تفسير المنار (ج ٥٠٦/٧) والتحرير والتنوير (ج ٢٨٨/٧) للشيخ محمد بن عاشور .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردى (ص ٦) والأحكام السلطانية لأبى يعلى .

(٤) (٥٠٤) رئاسة الدولة فى الفقه الإسلامى . د : محمد رأفت عثمان (٢٥٦-٢٥٧) ط دار الكتاب الجامعى - القاهرة

(٥) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين محمد بن أبى العباس الرملى (٢٩٩٠/٧) .

نزلت في أولى الأمر الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ، ولم يكن هناك امرء ولا سلاطين، قال: «وما كان هناك إلا أهل الرأي من كبار الصحابة - عليهم الرضوان - الذين يعرفون وجوه المصلحة مع فهم القرآن . . .» وهكذا يجب أن يكون في الأمة رجال أهل بصيرة ورأى في سياستها، ومصالحها الاجتماعية، وقدرة على الاستنباط، يرد إليهم أمر الأمن والخوف وسائر الأمور الاجتماعية والسياسية وهؤلاء الذين يسمون في عرف الإسلام أهل الشورى وأهل الحل والعقد . . . (١) .

فيفهم من هذا القول ومما ذكره الفقهاء أن أهل الحل والعقد هم المتبوعون في الأمة الحائزون على ثقتها ورضائها لما عرفوا به من التقوى والعدالة (٢) .

أما علاقة أهل العقد والحل في الأمة فهي علاقة النائب والوكيل (٣) أما كيف ينالون هذه المنزلة فإن الأمة هي التي ترفعهم إلى هذه المنزلة باختيارها لهم صراحة أو ضمنا، وأن السوابق التاريخية تبين لنا وكالة أهل الحل والعقد عن الأمة في عصر الإسلام الأول - عصر الخلفاء الراشدين - كانت وكالة ضمنية لأنهم كانوا معروفين بتقواهم وإخلاصهم وكفاءتهم وعلمهم شهد لهم القرآن الكريم والنبى صلوات الله وسلامه عليه بالثناء العام والخاص عليهم، فما كان هناك من حاجة لقيام الأمة بانتخابهم وتوكيلهم عنها صراحة .

ومن المقاييس المهمة في معرفة نيل هذا العالم أوداك لثقة الجماهير رجوعها إليه في الفتوى، وحضورها دروسه، وترددتها على مجالسه، وأخذها برأيه، في أمور حياتهم المختلفة .

ومع ذلك فإننا إذا أخذنا في الوقت الحاضر بنظام الانتخاب المباشر لأهل الحل والعقد ضمن شروط يقرها الإسلام، منها أنه يجب أن تتوافر فيمن يرشح نفسه للانتخاب :

(أ) العدالة الجامعة لشروطها .

(ب) العلم .

(ج) الرأي والحكمة والخبرة (٤) .

وإن مثل هذا الانتخاب على هذا النحو المذكور جدير بأن يترجم ارادة الأمة صراحة وتوكيلها لهؤلاء، وهو المناسب لعصرنا لأن اجازة التوكيل الضمنى في هذا الزمن قد يفتح

(١) تفسير المنار : للشيخ السيد محمد رشيد رضا (١١/٧) .

(٢) أصول الدعوة للدكتور: عبد الكريم زيدان (١٩٩/) وتفسير المنار: (١٨١/٥) .

(٣) المرجع السابق (١٩٩/) .

(٤) الأحكام السلطانية للهاوردى (٦/)، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (٢٠٠/) .

باب شر خطير ويؤذن بالفوضى التي تضعها المزاعم الكاذبة والدعاوى الفارغة (١) .

الفرق بين سيادة الرأي العام في الإسلام والنظم الديمقراطية :

(أ) ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الأمة حين تبدى رأياً عن طريق ممثليها في قضية من القضايا فلرأيها السيادة ولحكمها النفاذ في النظم الديمقراطية الغربية، أما في الإسلام فإن أهل الحل والعقد لا ينفذ رأيهم إلا في الأمور التي لم ينص عليها الشرع . . . فإذا جاء الله بحكم فليس لجماعة من الأمة أن تعارضه وليس للأمة بمجموعها أن تبطله .

ومن هنا كانت المسائل الفقهية الخاضعة لرأي الجماعة مقيدة بأمرين :

١ - ألا يكون قد نزل فيها نص صريح .

٢ - أن يرجع أهل الحل والعقد في بيان الرأي فيها إلى أصول الشريعة ومقاصدها العامة .

(ب) أن القانون أو الحكم حين تصدره الدولة نابعاً من عقيدة الأمة ودستورها، تجدد اقتناع الرأي العام به قوياً صادقاً، وتنفيذه سهلاً ميسوراً، بينما نجد حرمان القوانين الوضعية من هذه الميزة . وخير مثال يوضح هذه الفكرة المقارنة بين تحريم الخمر في الإسلام الذي تهبأ الرأي العام لقبوله وبين تحريمه في أمريكا . . . فنجح في المجتمع الإسلامي ولم ينجح هناك .

٤ - رفع الروح المعنوية للأمة وتقوية أواصرها وتعاونها :

من أهم وظائف الرأي العام في المجتمع الإسلامي رفع الروح المعنوية عند الجماهير التي تكونه، لأن وحدة الجماعة المسلمة على رأى واحد من شأنه أن يبرز قوة هذه الجماعة وتعاونها، ويعطيها الزاد والقوة على تحقيق أهدافها مهما بلغت التكاليف .

لقد وضع القرآن الكريم القاعدة المباركة لوحدة الجماعة المسلمة على الهدف الكريم بقوله: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾ . (المائدة: ٢) .
وبقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ . (الصف: ٢) .
وبقوله ﷺ: «ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» (٢) .

(١) المرجع السابق (٢٠١/)

(٢) رواه البخارى .

وتظهر أثر هذه التربية الإيمانية للجماعة المسلمة في وحدتها وتآلفها، في وقوفها في وجه المحن والشدائد صفاً واحداً، ومن ابرز الامثلة على ذلك في تاريخ الإسلام خروج المسلمين، في اليوم التالي لغزوة أحد، للتأثر من عدوهم، ومسح آثار مصيبتهم، وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم وأتقوا أجر عظيم﴾ (آل عمران: ١٧٢).

لقد حرص الإسلام على دعم أهدافه بسلطة الرأي العام، وإيجاد روح التعاون بين أبناء الأمة الإسلامية، والتقارب بين فئات الشعب، لتتوحد اتجاهاتها، وتسيطر على مبدأ أساسى في حياة الأمة، وهو الاتفاق على الاهداف، وهذا الاتفاق يؤدي حتماً إلى نجاح الأمة في بلوغ غايتها وتحقيق أمانيتها.

إن الأذان الذى يتردد كل يوم خمس مرات، عالياً مدوياً معبراً عن أهداف الإسلام الكبيرة، وإن الصلوات التى تقام كل يوم خمس مرات جامعة للأمة موحدة لرأيها، وان الجُمع، والجماعات، وفريضة الحج التى من شأنها أن يظهر وحدة الأمة على أهدافها، وان القرآن الذى يتلى في كل صلاة جامعاً للأمة على اهدافه وغاياته، ان هذا كله جدير بأن يحقق في المجتمع الإسلامى وحدة الاهداف ووحدة الرأي العام على هذه الأهداف، ويرفع معنويات الأمة لأداء دورها الكبير ورسالتها العظيمة في الحياة، ولتأمل في روح العزة التى يصنعها الإسلام بالإيمان والعمل الصالح ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾.

﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

وإلى رفع هذه الروح المعنوية في ضمير الأمة بالتقائها على أهدافها ووحدة رأيها يشير النبى ﷺ بقوله:

«يد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار».

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (١).

إن البنيان الذى يشد بعضه بعضاً يصور لنا الروح المعنوية العالية التى يعطيها وحدة رأى العام لافراد الأمة كما يصور لنا معانى التعاون على أهداف الإسلام الكريمة في

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

الحياة، وان الجماعة التي تباركها يد الله وترعاها وتنصرها جديدة بأن تتغلب على أسباب الضعف وتحقق أسباب قوتها ونموها وازدهارها .

استشارة مشاعر الأمة للقيام بواجب معين :

في كل مسجد جامع منبر وظيفته مخاطبة الرأي العام كل أسبوع يدعو إلى واجب أو يحذر من أمر، أو يبصره بقضية لها أهميتها في حياته .

لقد سن رسول الله ﷺ للأمة كيف تكون يدا واحدة في مواجهة الاحداث، يأخذ قوتها بيد ضعيفها، وغنيها بيد فقيرها، وأنه من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

والدارسون لسيرة رسول الله ﷺ وسير الخلفاء الراشدين والتابعين لهم باحسان، يجد أن النبي الكريم كان يدعو المسلمين إلى المسجد عند كل حدث مهم يخبرهم به، أو واجب يدعوهم إليه، حين يوجه الحملات للجهاد، فيدعو إلى البذل والنفقة، كما يدعو إلى المشاركة بالجهاد .

وحين يرى طائفة من المسلمين تعاني ضائقة مالية فيدعو المسلمين إلى مساعدتهم وكذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم - فأبوبكر - رضى الله عنه - يوجه الجيوش لفتح الشام والعراق، وكلما دعا داعي لامداد جيش وجه النداء للأمة وندبها إلى الخروج مع هذا القائد أو تلك الحملة .

وفي تهيئة الأمة لقبول حكم معين كان الخليفة يوم الجمعة يعلن في الناس ويمهد لقراره ويقنع الجماهير به، ففي مسألة تحديد المهور استشار عمر الناس في المسجد فردت عليه امرأة رأيته بالآية الكريمة: ﴿وَأْتَيْتُم مِّن دُونِهَا قُلُوبًا غَافِلِينَ﴾ . فأعلن رجوعه عن رأيه وقال: «اللهم، غفرا كل الناس افقه من عمر، أخطأ عمر واصابت امرأة» (١) .

وفي الصورة المقابلة نجد خطبة الجمعة التي من شأنها أن تعالج قضايا الأمة يعرضها أولو الأمر من العلماء والحكام لتقوم بتهيئة الرأي العام لقبول القرار الذي ستتخذه الدولة أو رفضه بمناقشته وبيان مدى تحقيقه لأهداف الشريعة ومقاصدها .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) حقوق النساء في الإسلام للشيخ محمد رشيد رضا (ص ١٣) .

دَوْرُ الإِعْلَامِ فِي: النُّضَامِ مِنَ الإِسْلَامِ

الدكتور نور الدين ربيع
أستاذ بطنية الدعوة وأصول الدين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فإن التضامن الإسلامي هو المبادرة النابعة من أصول العقيدة الإسلامية، لإرساء قواعد الحياة على أسس متينة في عالم تتنازعه المطامع، وتشن فيه المبادئ الملحدة حرباً شرسة ضد التراث الحضاري الإسلامي بقيمه النبيلة، ولقد كان التضامن هو السرفيا حقت الأمة الإسلامية من مجد وسؤدد، يوم كانت متمسكة بدينها حق التمسك، آخذة بتعاليمه حق الأخذ .

وتكمن إحدى معجزات الإسلام الكبرى في قوة التضامن، عندما وحد بين قلوب القبائل المتنافرة، ثم بين الأقطار والشعوب المتباينة، وأصبح التضامن من أهم سمات الحياة الإسلامية وليست رابطة الأرض أو مكان الإقامة أو الولادة كما هو الحال في الفكر الغربي، لأن مفهوم الأمة في الإسلام يقوم على الاشتراك في وجهة عامة، فقد أشار القرآن الكريم إلى المسلمين على أنهم أمة واحدة، فلم يفرق بين شعب وشعب، ولم يخص بلداً أو قبيلة أو فئة بالأمر بالوحدة، بل كان خطابه عاماً شاملاً يضم كل من آمن بالرسالة المحمدية وتبع هديها وطريقها. قال تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (١) وقال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ (٣) وقال عز من قائل: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ (٤) .

(١) الأنبياء : ٩٢ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) الحجرات : ١٠ .

(٤) آل عمران : ١٠٣ .

ويشير القرآن الكريم إلى إعجاز الوحدة الإسلامية وعظمة ما تعنيه في مدلولها فيقول تعالى: ﴿هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ (١) .

فالأمر الألهى بالتضامن فرض جوهرى فى صلب العقيدة الإسلامية ، والأخوة هى إحدى النعم الكبرى التى من الله بها على عباده المسلمين ، وقد برأ الله تعالى رسوله الكريم من العاملين على تفرقة كلمة المسلمين وهدم وحدتهم ، فيقول جل جلاله : ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء﴾ (٢) .

ويؤكد الرسول الكريم ﷺ أهمية الأخوة الإسلامية والتضامن بين المسلمين ، ولا يدع فرصة مواتية إلا وعبر عن أهميتها فيقول ﷺ : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) .

وقال ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وقال أيضاً : (من خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها فليس منى ولست منه) .

لقد كان الرسول الكريم ﷺ يحث على الإخاء الإسلامى على مستوى الأفراد والجماعات فأوصى بالمودة بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الإخوان والجيران ، وهكذا تلتئم خلايا المجتمع التاماً متدرجاً حتى يتم بناء الأمة الإسلامية بأسرها على أسس من المحبة والود والإخاء والتضامن .

الإعلام سلاح فى يد الأعداء

فالتضامن الإسلامى فرض من فروض الإسلام على الأمة أن تنهض به ، وهو ليس مجرد عمل سياسى أو شعاراً مؤقتاً وإنما هو جزء لا يتجزأ من جوهر الدعوة الإسلامية ، ولا يستقيم للمسلمين عمل ولا حال إلا إذا تحققت أركان التضامن بينهم .

ومن واجب الدولة الإسلامية أن تحقق التضامن ، وأن تسعى إلى تثبيت أصوله وحمائته من التصدع ، ولا ينبغى أن يسعى إقليم أو قومية أو دولة لتحقيق مصالحها على حساب الوحدة الإسلامية ، إذ أن هذه الآفة هى التى حركت مطامع الدول الأجنبية فى المسلمين وشجعتها على الانفراد بكل قطر على حدة .

(١) الأنفال : ٦٢ .

(٢) الأنعام : ١٥٩ .

ولقد دبر أعداء المسلمين شتى الخطط التآمرية على الأقطار الإسلامية ولجأوا إلى مختلف الطرق والأساليب من أجل إضعاف التضامن، ووضع العقبات والعوائق للحيلولة دون اتصال المسلمين ببعضهم وتحقيق تضامنهم. وقد كان الإعلام من أهم الأسلحة المستخدمة لبت روح الفرقة والانقسام بين المسلمين، إذ أن أعداء الإسلام يعلمون تماماً أنهم ما كانوا ليحققوا ما حققوه لو أن الصف الإسلامي كان موحداً ومتماسكاً وقوياً .

الإعلام الطباعي

لقد كانت المطبعة هي السلاح الأول الذى جلبه الصليبيون والمبشرون إلى العالم العربى لشن حملاتهم التبشيرية عن طريق الكتاب والصحيفة، ففى أحد الأديرة المارونية فى لبنان وفى دير قزحيا طبع كتاب المزامير سنة ١٦١٠ بالحرف السريانى، ثم أنشأ الشماس عبد الله زاخر أول مطبعة عربية سنة ١٧٣١ بقرية الشوير اللبنانية، وتخصصت هذه المطبعة فى نشر كتب التبشير المسيحى .

وفى سنة ١٨٣٤ أنشأ المبشرون الأمريكيون من أمثال كورنيليوس فان دايك، ووليم ورتبات وغيرهما مطبعة فى بيروت لطبع الانجيل، وتزويد الجمعيات التبشيرية بالكتب الدينية، ومن المعروف أن هذه الجمعيات كانت تضم الكثير من القسس والأطباء والعلماء الذين نذروا أنفسهم للتبشير بين المسلمين فى العالم العربى .

وأنشأ المبشرون مدارس دينية ومدرسة عليا هى الكلية السورية الانجيلية التى تحولت إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت، ومن الغريب أن هذه المعاهد قد اتخذت من بيروت والقاهرة ولاهور وأنقرة، وهى من أركان العالم الإسلامى، مراكز للتبشير فى جميع أجزاء العالم الإسلامى، وبث الفرقة بين أقطاره المختلفة، وكان الإعلام الطباعي يغذى هذه الحركات التبشيرية بالكتب والصحف والمجلات والأطالس .

وخاف اليسوعيون الكاثوليك أن يتفوق الأمريكيون البروتستانت عليهم فى مضمار الإعلام التبشيرى المسيحى والدعوة الصليبية بفضل مطبعتهم، فقرروا فى سنة ١٨٤٨ إنشاء مطبعة يواجهون بها منافسيهم، فاستوردوا من فرنسا مطبعة كبيرة طبعوا عليها الكتب الدينية والأدبية والعلمية، وفى الربع الأخير من القرن الماضى أصبحت طابعات هذه المطبعة الكاثوليكية تدار بالبخار لأول مرة فى لبنان .

لقد كانت خطة الأمريكيين البروتستانت والفرنسيين الكاثوليك هي تعليم اللبنانيين والسوريين طرق التبشير وفنون الكتابة وأساليب الإعلام وأصول التحرير الصحفي، وتقنيات الطباعة لكي يصيروا دعاة لهم في جميع أنحاء العالم العربي، ثم في جميع أركان العالم الإسلامي، لبث الفرقة والانقسام بين أبنائه، والحيلولة دون تضامن العالم الإسلامي بأى شكل من الأشكال.

وبالفعل نجد أن ناصيف اليازجي وبطرس البستاني في لبنان وبلاد الشام، ثم يعقوب صروف الذي أنشأ مجلة المقتطف، وشاهين مكاروريوس وفارس نمر اللذان اشتركا في تأسيس المقطم مع خليل ثابت، بالإضافة إلى شبلى شميل وأنطون فرح، ثم سلامة موسى ولويس عوض، وهم جميعا من أنصار الاتجاهات المادية والاشتراكية، فضلا عن الترويج للمذهب الدارويني في النشوء والتطور، والهجوم على كل ما يتصل بالإسلام.

ولا يفوتنا ذكر ما لقيته الصوفية المنحرفة، من تشجيع فقد أنشأ الإيطالي (بلفنطى) مطبعته الحجرية التي طبعت بعض الدواوين الصوفية إلى جانب الكتب المسيحية، فالتبشير المسيحي يهتم بالتصوف الذى يحث على التواكل والتكاسل، ويشجع انتشار روح الفرقة بين المسلمين، ويعبر المستشرقون في كتاباتهم عن الاعجاب الشديد بالفلسفات الشرقية الغنوصية، وبالشطحات الصوفية مثل الفتوحات المكية لابن عربي وقصائد الحلاج وكتابات السهروردي وغيرها من الأفكار المدسوسة على الإسلام بما فيها من جبرية ووحدة الوجود ومذهب الحلول المنحرف الكافر.

الإعلام الصهيونى

ولقد تسابق اليهود والمسيحيون في إرساء قواعد الإعلام عن طريق إنشاء المطابع في فلسطين، ففي سنة ١٨٣٠ أنشأ نسيم باق مطبعته في القدس لطبع كتب الديانة اليهودية، وكانت حروف تلك المطبعة عبرية، وفي سنة ١٨٤٨ أسس جماعة من الانجليز مطبعة بالقدس أسموها مطبعة لندن لانتشار الانجيل، كما أنشأ الأرمن في السنة نفسها مطبعة وضعوها بديرهم المجاور لجبل صهيون، ولم يكتف اليهود بمطبعة نسيم باق بل ثنوها بمطبعة أسسها داويد ساسون سنة ١٨٥٠.

وهكذا أخذت المطابع اليهودية ترتبط بالحركة الصهيونية، وكانت الدعاية توجه إلى يهود العالم، ثم إلى العالم المسيحي توطئة للأحداث المؤسفة التي فرقت شمل العالم

العربي ، وعملت على تمزيق الصف الاسلامي أيضا، وليس مجرد صدفة أن معظم قادة اليهود من رجال الإعلام والصحافة بدءاً من تيودور هرتزل الذي ترأس مؤتمر بازل في سويسرة سنة ١٨٩٧ حتى رجال الصحافة والسينما والتلفزيون الذين يهيمنون على وكالات الأنباء والصحف وغيرها من دور النشر والإذاعة والسينما .

ويكفي أن نلقى نظرة سريعة على اهتمام اليهود بالإعلام والصحافة بوجه خاص ، فهم يملكون :

١ — ٢٤٤ صحيفة في الولايات المتحدة الأمريكية ، منها ١٥١ دورية .

٢ — ٣٠ دورية في كندا .

٣ — ١١٨ صحيفة في أمريكا اللاتينية .

٤ — ٣٤٨ صحيفة في أوروبا بجميع اللغات الأوروبية .

٥ — ٣ صحف في الهند .

٦ — خمس دوريات في تركيا .

٧ — ٤٢ دورية في أفريقيا .

وتعلن إسرائيل رسمياً أن الصهيونية تسيطر على ٨٨٩ صحيفة في الدول الغربية .

وقد استطاع الصهيوني روبرت مردوخ أن يشتري أعظم صحف بريطانيا وأقواها نفوذاً وهي صحيفة التايمز التي كان يملكها اللورد طومسون .

وقد عرضت مجلة نيوزويك الأمريكية المشهورة للبيع فاشترى أكثر أسهمها أحد اليهود بمبلغ ٨٠٠ ألف دولار، وأصبحت هذه المجلة التي لها شهرتها وانتشارها وتأثيرها سلاحاً دعائياً جديداً في يد الصهيونية ، وكم قامت هذه المجلة وغيرها بتشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وبذروح الفرقة والانقسام بينهم ! .

الإذاعات التنصيرية

وهكذا استطاع اليهود والصليبيون السيطرة على وسائل الإعلام في العالم وسخروها لخدمة أهدافهم الشيطانية ولم يستطع الإعلام الاسلامي حتى الآن أن يتغلب على هذه القوى الشريرة ، لذا استطاع الإعلام الصهيوني أن يوجب الاهتمام بالقضايا التي تهم عالمنا الإسلامي حتى تموت في ضمير المسلمين ، وفي نفس الوقت يركز على قضايا جانبية أو ظواهر

فيها الخطر المحقق بمجتمعاتنا الإسلامية يمهد لها ويعمل على نشرها وبث الزخارف المضللة حولها كالأفكار والمذاهب الهدامة والاباحية إلى غير ذلك .

وقد سخروا لهذا أحدث أنواع الأساليب والوسائل الإعلامية من مجلات ونشرات وجرائد ونشرات متخصصة حتى للأطفال والنساء بصورة جذابة وبمختلف اللغات ينفقون عليها حتى تظهر بصورة مغرية جذابة منها ما يوزع مجاناً ومنها ما يوزع بثمن ضئيل .

كما أن هناك معاهد متخصصة في هذا المجال في أمريكا وغيرها، وقد سخرت مطابع ودور نشر لهذه الأغراض علاوة على طباعة الانجيل ونشره وتوزيعه وترجمته إلى لغات عديدة . هذا في مجال الكلمة المطبوعة أما في الكلمة المسموعة فقد بلغت شأواً بعيداً في هذا المضمار حيث أنشئت برامج إذاعية تنصيرية بل أنشئت محطات خاصة للتنصير في مناطق عديدة منها :

- ١ — إذاعة ساعة الإصلاح بالخرطوم في السودان .
- ٢ — إذاعة نور على نور في مرسليليا .
- ٣ — صوت كلمة الحياة في مالاكا بأسبانيا .
- ٤ — نداء الرجاء في شتوتجارت بألمانيا الغربية .
- ٥ — إذاعة المحبة والوفاء في بيروت .
- ٦ — إذاعة مونت كارلو بمونت كارلو .
- ٧ — المدرسة الإذاعية الانجيلية مرسليليا .
- ٨ — المركز المعمداني في بيروت .
- ٩ — دار الهداية بسويسرا .
- ١٠ — الإذاعة التنصيرية في ليبيريا .
- ١١ — الإذاعة التنصيرية في سيشيل .

هذا وقد عقدت المؤتمرات واللقاءات في هذا المضمار حيث عقد في هوس بنيجيريا اجتماع ضم حوالي أربعين من زعماء الكنائس الأفريقية اللوثرية ومديرى المحطات الإذاعية ورجال الاعلام لبحث تضافر الجهود وتطوير أسلوب الإذاعات التنصيرية في غرب أفريقيا، كما عقد اجتماع في تنزانيا في مارس ١٩٨١ خاص بشرق أفريقيا .

وفي أكتوبر عام ١٩٨٠ عقد مؤتمر كبير في سوزايلند ضم مجموعة من العاملين في مجال البث الإذاعي يمثلون ١٢ دولة من أفريقيا حضر معهم مجموعة من المراقبين في أوروبا .

ومن المعروف أن للطائفة المعمدانية فقط حوالي ١١١ محطة إذاعية تنصيرية منتشرة في ثمانية وثمانين بلداً. كما تم تخصيص عشرين مليون دولار ابتداء من عام ١٩٨٠ لتقوية إذاعة آسيا التنصيرية لمنطقة جنوب شرق آسيا خاصة وقارة آسيا عامة وهذه الإذاعة متمركزة في الفلبين وتبث برامج بلغات كثيرة بلغت ٢٨ لغة آسيوية .

أضف إلى ذلك محاولة تجنيد رجال التنصير في المؤسسات الإعلامية في الدول الإسلامية ليضمنوا السيطرة بشكل أوبآخر على هذه الأجهزة، بل تعدى الأمر إلى انتاج برامج خاصة بالتنصير بأساليب خادعة لتفوت على رجال الرقابة في المؤسسات الإعلامية الإسلامية المسموعة والمرئية .

الفيلم وقضايا المسلمين

وعلى حين تغطي أفلام الترفيه والضياع أسواق العالم الإسلامي في السينما والتلفزيون، فإن القضايا الإسلامية الخطيرة، ومشاكل المسلمين العديدة، لا تجد مجالاً في تلك الأسواق. فمثلاً قضية فلسطين وهي أكبر تحد واجهه المسلمون منذ ضياع الأندلس، تقف إمكانات المسلمين عاجزة عن انتاج فيلم واحد يشرح قضيتها، ويبصر الناس بمأساتها، في حين أن اليهود قد عرضوا في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ أكثر من ٣٠٠ فيلم في المهرجان اليهودي الدولي للسينما والتلفزيون .

وقد بذل مجلس الجامعة العربية جهوداً كبيرة للحصول على أفلام يوزعها على مراكزه في الخارج، وفي سنة ١٩٦٤ اعتمد المجلس مبلغ نصف مليون دولار لانتاج فيلم عن فلسطين بالتعاون مع منتج معترف به دولياً، غير أن الفيلم لم يظهر إلى الوجود نظراً للعجز في الامكانيات، ولعل الحقيقة تكمن في العقبات التي يضعها أعداء الإعلام الإسلامي في سبيل إنجاز أى انتاج يكون له تأثير على الرأى العام .

ومع ذلك فعندما احتج سفراء الدول العربية والاسلامية على عرض فيلم «الخروج» الذى يقدم دعاية سافرة عن إسرائيل واليهود، قامت قيامة الصحف الغربية، وأخذت تكيل السباب والشتائم للعرب والمسلمين .

مسؤولية الاعلام عن بث روح التضامن

والحق إن من أهم وظائف الإعلام تنوير العقول وتهذيب النفوس في ضوء تعاليم

الإسلام، فمن واجب الإعلام الإسلامي الدعوة لوحداية الله، وتحرير الإنسان من عبودية العباد وانقاذه من سيطرة الأهواء والشهوات والغرائز .

فالإعلام مرفق هام من مرافق الدولة الإسلامية ولا ينبغي العبث به أو استخدامه لإثارة الشهوات، وتحريك الرغبات الدنيا بين الشباب والناشئة، بل من المفروض أن ترقى اتهامات الناس، وأن يسمو الإعلام بعقولهم وعواطفهم .

ولعل الهدف الأسمى للإعلام هو توحيد الأمة فكراً وسلوكاً وولاء وإيجاد التعارف والتآلف بين أبنائها، والإصرار على معاني الأخوة والتراحم والتواد بين أفرادها، بل يجب على السلطان أن يضرب بيد قوية على كل من تسول له نفسه العبث بوحدة الأمة، أو تعريض وحدتها للخطر، وهذه جريمة من جرائم الخيانة العظمى .

ولاشك أن أهم ما ينبغي أن نسارع إليه هو وقف حملات التشهير والسباب والشتم والمهاترات بين أقطار العالم الإسلامي، كما يجب مواجهة الحملات الإعلامية المعادية، والتفرغ للدفاع عن الأمة ومقدساتها وتنشيط الروح الجهادية عند المسلمين .

وبدلاً من إذاعة برامج لتعليم اللغة الانجليزية بالراديو أو نشر اللغة الفرنسية أو غيرها من اللغات الأجنبية، ينبغي أن تتوفر إذاعاتنا الإسلامية على نحو الأمية بأشكالها المختلفة، ونشر التعاليم الإسلامية، ومحاولة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

وبدلاً من الدعاية للحضارة الغربية، والتحدث عنها باكبار وتقدير، وتقديم نماذج للشباب يقتدون بها، يجب على الإعلام في الدولة الإسلامية أن يتخذ مثله العليا من أبطال الإسلام وعلمائه، مع تعرية الحضارة الغربية والثقافة الشيوعية والدعاية الصهيونية والمذاهب المنحرفة، وتسليط الأضواء على المعطيات الحضارية للإسلام .

إن الطالب في كثير من الجامعات التي تنتشر في العواصم الإسلامية يعرف عن فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وأمريكا أضعاف أضعاف ما يعرف عن أندونيسيا والباكستان ونيجيريا والعراق، ويعرف عن فولتير وشكسبير وروسو ولويس التاسع ودانتى أكثر بكثير مما يعرف عن عبد الرحيم الغافقي ومحمد الفاتح وحسان بن ثابت والمنتبى والجاحظ وابن قتيبة .

ولعل من أهم أسباب تقوية روح التضامن الإسلامي العمل على تعميم وسائل الإعلام، بنشر بعض الصحف اليومية لكي يتداولها الناس في جميع العواصم الإسلامية باللغة العربية وبعض اللغات الإسلامية الحية، على أن تبني هذه الصحف القضايا الإسلامية وتطالب بحقوق المسلمين المستضعفين وتعرف الناس بالأقليات الإسلامية وما

تعرض له من مشكلات ، ولا شك أن اطلاق القمر الصناعي العربى بعد تسعة أشهر - بإذن الله - سوف يتيح فرصاً سانحة عظيمة لنشر الدعوة الإسلامية وربط أواصر العالم الإسلامي والعمل على تضامنه ووحدته .

الاعلام وأصالة التضامن الإسلامي :

والتضامن الإسلامي ليس دعوة مستحدثة ، ولا فكرة جديدة ، ولا هو عمل سياسى لغايات مؤقتة ، وعلى الإعلام أن يرسخ في أذهان المسلمين أن التضامن هو جوهر الدعوة الإسلامية ، وبغيره لا يمكن أن يستقيم للمسلمين حال ، ولا أن ينتظم عمل ، ولا أن يحقق الإسلام ذاته في ديار المسلمين .

إن وحدة المسلمين واتفاق كلمتهم قد جعلت من العرب قوة ناجزت أعظم قوتين في العالم هما دولة الفرس ودولة الروم ، كما سارت مواكب المجد الإسلامي - بفضل الوحدة - مشرقة ومغربة توسع ديار الإسلام ، رافعة رايته خفاقة ، وحاملة رسالته مضيئة منيرة مشعة في الخافقين .

والمسلمون لا يجهلون أن سقوط الأندلس يرجع إلى تمزق الصف العربى والإسلامى وكثرة دويلات المسلمين ، وتسلل العناصر المتآمرة إلى صفوف تلك الدويلات ، والركون إلى الترف والتعرض للأفكار المنحرفة والعقائد الشاذة .

على أن الحاجة إلى تنظيم الدعوة للتضامن قد أصبحت ملحة للغاية ، ولا بد أن تقوم على أسس مدروسة وخطط علمية ، وهنا يقوم الاعلام بدور هام في تعميق الاحساس بالحاجة إلى التضامن ، وتصوير الإطار الذى تدور فيه كل الوسائل والعوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية المؤدية إلى وحدة الأمة الإسلامية وتضامنها بما هو يعود على دينهم ودنياهم بالخير والنفع والبركة .

الإعلام وتحقيق التضامن الإسلامي :

ولا تخلو الساحة الإسلامية من الجهود الطيبة لاذكاء روح التضامن ، مثال ذلك إنشاء رابطة العالم الإسلامي التى تعتبر بحق من أروع مظاهر التضامن الإسلامي ، وهى التى تبذل جهوداً طيبة في حقل الإعلام لتجسيد دعوة التضامن وأبرازها إلى حيز الوجود على أسس عملية وعلمية في آن واحد .

لقد ظهرت رابطة العالم الإسلامي بنتيجة القرار الذي اتخذته « المؤتمر الإسلامي » الذي انعقد في مكة المكرمة عام ١٣٨١ هـ ، وقد عبرت المقررات التي اتخذها المؤتمر عن مدى الأحساس بضرورة تقوية الروابط بين المسلمين ، وتحقيق التقارب والتعاون فيما بينهم ، فجاء في مقدمة تلك القرارات :

« يؤكد المؤتمر الإسلامي إيمانه برابطة الأخوة بين المسلمين ، ويعتبرها الرابطة الحقيقية بين سائر الشعوب الإسلامية ، كما يعلن المؤتمر أن أخوة الإسلام فريضة الله على كل مسلم تربطه بأخيه المسلم مهما كان جنسه ووطنه ، وأن هذه الأخوة ظلت دائماً ركيزة القوة وخصيصة المجتمع الإسلامي في كل عهود العزة والمنعة في تاريخ المسلمين ، وأن كل عصبية دون الإسلام تقع تحت قول رسول الله ﷺ « ليس منا من دعا إلى عصبية » وكل دعوى باسم القومية أو غيرها تفرق بين المسلمين وتتخذ بطانة من دونهم هي من دعاوى الجاهلية الباطلة التي أنكرها رسول الله ﷺ ، ولا يستفيد منها إلا أعداء الإسلام والمسلمين » .

« ويجد المؤتمر من واجبه أن يهيب بالعرب خاصة أن يذكروا أن اجتماع شملهم إنما كان في حجر الإسلام أول مرة ، وأنه لم يجتمع لهم شمل إلا في ظل أحكامه وسلطانه ، وأنهم حملوا رسالة الإسلام إلى الدنيا فدانت لدعوتهم شعوب آثرت أخوة الإسلام على قومياتها ، وأصبح ولاؤها منذ أسلمت للإسلام وأمة الإسلام ، فجدير بالعرب حملة الرسالة الأولى أن يكونوا القدوة في الحفاظ على أخوة الإسلام ، وأن يعتبروا كل توهين لها عدواناً على تاريخهم وانتقاصاً من قوتهم ، وانحرافاً عن طريق وحدتهم » .

والذي يهمننا في هذا الصدد هو دور الإعلام في تحقيق التضامن الإسلامي عن طريق التعاون الثقافي بين الدول الإسلامية ، وتعريف كل من الشعوب الإسلامية بالمعطيات الثقافية التي أنتجتها شعوب إسلامية أخرى ، وبأوضاع كل دولة إسلامية وحياتها ومشكلاتها وانجازاتها .

ومن الممكن إنشاء مؤسسة ثقافية إسلامية كبرى ذات نشاط إسلامي شامل تمارس عملها في جميع أنحاء العالم سواء بنشر المؤلفات أو ترجمتها أو باصدار الكتب والصحف الإسلامية التي تنطق باسم المسلمين جميعاً وتكون ذات شكل إعلامي حديث عصري متطور ، بالإضافة إلى تبادل الخدمات والبرامج والأشخاص بين المؤسسات الإعلامية الإسلامية .

وإن الدور الذى يلعبه التعاون الثقافى والإعلامى بين الدول الإسلامية كفىل بتنظيم الرأى العام الإسلامى وتوجيهه وفق مقتضيات مبادئ التضامن الإسلامى بأشمل معانيه وكافة تفاصيله ، كما يمكنه قيادة تطوير المجتمع الإسلامى نفسه على ضوء الشريعة الإسلامية ، وتحقيق التجانس والتقارب بين فئاته بصورة تجعل كل شعب إسلامى قادراً على الاستفادة من التجارب المفيدة للشعوب الإسلامية الشقيقة الأخرى .

أساليب الإعلام والدعوة الإسلامية :

ويتمثل الدور الذى يقوم به الإعلام فى تحقيق التضامن الإسلامى فى عدة أمور أهمها تبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئها وتعاليمها ودحض الافتراءات والشبهات عنها ، ومجاهدة المؤامرات الماكرة الخطيرة التى يريد بها أعداء الإسلام من الصهاينة والشيوعيين والصلبيين فتنة المسلمين عن دينهم وتمزيق وحدتهم وأخوتهم .

ومن أهم وسائل الدعوة اجتماع علماء المسلمين المرموقين وكبار دعاة الإسلام لتبادل الرأى وتنسيق الجهود والنظر فى تقوية وسائل الدعوة وتجديدها باستمرار ، وتبادل الخبرات والتجارب فى ميدان الدعوة والإعلام الإسلامى .

ولما كان الحج من أهم المواسم الدينية والإعلامية فى وقت معاً ، كان من الضرورى انتقاء صفوة من أقوى الدعاة بمختلف اللغات لإذكاء مشاعر الأخوة والتضامن ، مع عقد ندوات كبيرة لقيادة الرأى والتوجيه ، لاتخاذ القرارات والتوصيات فى المشكلات والقضايا الإسلامية ، هذا بالإضافة إلى تحقيق التعارف والمودة بين الحجيج .

كما ينبغى دعم أجهزة الاذاعة الإسلامية بالرجال والبرامج وبعده لغات حتى تبلغ الدعوة آذان أكبر عدد ممكن من الناس ، وهنا ينبغى الاستفادة من القمر الصناعى العربى لتحقيق وصول الدعوة الإسلامية إلى جميع أركان المعمورة ، لأن الإسلام دين عالمى شامل وعام . وينبغى ألا تكتفى الإذاعات الإسلامية بتلاوة القرآن الكريم وتقديم بعض المواعظ ، إذ أن العبرة تكمن فى تقديم البرامج العامة أدبية وعلمية وسياسية من منطلقات إسلامية ، وعلى هدى تعاليم الإسلام ومبادئه ، أما أن تترك البرامج سادرة فى غيرها ومتردية فى شكلها ومضمونها ، فذلك مما يتنافى مع طبيعة الإعلام الإسلامى .

الإعلام قوة حضارية إسلامية :

لقد سارت خطوات التضامن الإسلامى سريعة إلى الأمام بفضل النظرة الشاملة

لعوامل الاخاء والتعاون . ولعل أهم معالم هذه النظرة الشاملة تبدو فيما قرره مؤتمر وزراء خارجية ثلاث وعشرين دولة إسلامية الذي انعقد في كراتشي سنة ١٩٧٠م وبحث موضوع إنشاء مصرف إسلامي دولي تساهم فيه جميع الدول الإسلامية ويستفاد منه في مشروعاتها الإنشائية ، كما درس موضوع إنشاء وكالة أنباء إسلامية دولية تكون هي المصدر الرسمي لأبناء الوطن الإسلامي في العالم كله ، كما بحث موضوع دعم المراكز الثقافية الإسلامية في العالم أجمع ، وإنشاء مراكز إسلامية جديدة ، كما درس موضوع تعميم الثقافة الإسلامية وترسيخ قواعدها وجعلها ثقافة عصرية حضارية تقيس على أسس ثابتة من القيم الإسلامية ، كما كان موضوع الحق الإسلامي في فلسطين على رأس الموضوعات .

وهكذا يتضح لنا الفهم الحقيقي للإعلام على أنه قوة حضارية تتفاعل مع سائر القوى السياسية والاقتصادية والثقافية الأخرى ، فجاء الاهتمام بإنشاء وكالة الأنباء الإسلامية حتى نتخلص من الاعتماد على الوكالات الأوروبية والأمريكية الدولية في استقاء أخبار العالم الإسلامي بوجه خاص والعالم الدولي بوجه عام ، فالاستقلال الاقتصادي بإنشاء المصارف الإسلامية يسير جنباً إلى جنب مع الاستقلال الإعلامي بتقوية وكالة الأنباء الإسلامية التي أقيمت في جدة ، ثم تعزيز المراكز الثقافية الإسلامية في العالم كله للحفاظ على ذاتية الحضارة الإسلامية وتفردتها باعتبار أن الأمة الإسلامية هي أمة متفردة في العالم كله .

لذلك يسعى الإعلام إلى تعزيز روح التضامن بين البلاد الإسلامية وتهيئة الجولروح الوحدة ، مع الاهتمام بإشاعة روح التعاون والمساواة التامة بين الدول الإسلامية في الحقوق والواجبات ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، واحترام سيادة كل دولة ووحدتها ، وحل المنازعات بالطرق السلمية الإسلامية عن طريق التفاوض والمناقشات الودية الأخوية ، وتعزيز المبادئ الإسلامية والعمل بمقتضاها ، مع احترام حقوق الإنسان وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية السمحة .

وينبغي على الإعلام الإسلامي أن يعمل على نشر اللغة العربية الفصحى بين الشعوب المسلمة وجعلها لغة التفاهم بين الجميع ، على أن تخصص الصحف والإذاعات برامج مدروسة لتعليم اللغة العربية وتداولها بين المسلمين .

الإعلام وإشاعة روح التضامن :

أهم ما يسعى إليه الإعلام في الأمة الإسلامية العمل الإيجابي على بث روح

التضامن والوحدة بين أجزائها . يقول عليه الصلاة والسلام : (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) . وأقدس واجبات الإعلام ، ومسؤوليته العظمى تكمن في السهر على إشاعة روح الترابط والتماسك للمحافظة على كيان الأمة وحمايتها من الأخطار .

يقول عز من قائل : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ (١) .

وكما تنضم خلايا الجسم لتكوين الجسد الحي ، فإن الأفراد ينضمون بعضهم إلى بعض ليكونوا الأمة . والسرفى هذا الانضمام هو تولد روح التضامن والتكامل التي تؤدي إلى الترابط والتماسك ، فالمجتمع الإسلامي ينشأ من حمل فرد مثلاً أعلى إلى آخر وهذا هو التبليغ .

والرابطة التي تربط الأمة هي العقيدة الواحدة والهدف الواحد ، والمثل الأعلى الواحد ، والكتاب الواحد والسنة الواحدة ، والثقافة الواحدة والقيم الواحدة والشريعة الواحدة .

والتبليغ وهو الإعلام واجب مقدس لإشاعة روح الترابط والتضامن في الأمة الإسلامية ، وكتمان هذا البلاغ من كبائر الذنوب .

﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلناه من بينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ (٢) ولا يكون البلاغ إكراهاً ﴿ لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ﴾ (٣) وإنما يكون إقناعاً وترغيباً ، وأما من يعرضون عن البلاغ المبين فهم الذين لا يعلمون أو الذين لم يبذل الجهد الكافي لإقناعهم ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴾ (٤) .

مسؤولية الإعلام الإسلامي ومستقبله :

ومما يؤسف له أن الإعلام في البلاد الإسلامية كان مسرحاً للقوى الاستعمارية

(١) الشورى : ٥٢-٥٣ .

(٢) البقرة : ١٥٩ .

(٣) البقرة : ٢٥٦ .

(٤) الأنبياء : ٢٤ .

والمؤامرات الصهيونية والأفكار الشيوعية التي اصطنعت أقلاماً ووجوهاً تنشر المبادئ الهدامة والقيم غير الإسلامية . وحسبنا في هذا الصدد كلمات صدرت عن المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة الذي عقد في صفر سنة ١٣٩٦ هـ . بالمدينة المنورة ، فقد ورد في قرارات المؤتمر :

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى إليها إعلامنا ولا يزال يتردى ، فبدلاً من أن يكون منارة إشعاع ، ومنبر دعوة إلى الخير ، صار صوت إفساد وسوط عذاب وسكت القادة فأقروا بسكوتهم ، أوجاوزوا ذلك فشجعوا وحموا ، وخفت صوت الدعوة وسط ضجيج الإعلام الفاسد ولم يعد الأمر يحتمل السكوت » .

ونأمل أن ينهض الإعلام بالمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه وأن تعود الصحافة الإسلامية إلى سابق مجدها ، فقد لمعت والحمد لله صحف فذة من أمثال المنار للشيخ محمد رشيد رضا ووادي ميزاب للعلامة الجزائري عبد الحميد بن باديس ، وقد قامت الصحافة بدور خطير في قيادة الرأي العام الجزائري لمقاومة الاستعمار بفضل صحيفة البيان وصحيفة الشريعة .

وقد أصدر الحزب الإسلامي في أفغانستان مجلة إسلامية اسمها « الموقف » وأصدرت جمعية أفغانستان الإسلامية مجلة « صوت الجهاد » لتتخط بلسان المجاهدين هناك ، وهاتان المجلتان صدرتا بعد الاحتلال الشيوعي الغاشم لأفغانستان المسلمة ، وهذا دليل على قوة الصحوة الإسلامية ، وقدرة الإعلام على المشاركة في الجهاد .

وإن واجب الإعلام أن يبين للأمة سبل التضامن ، ويقيننا أن الركب واصل - بإذن الله تعالى - إلى هدفه المنشود ، لجمع ما تشتت من شمل الأمة ، ولإعادة بناء ما تهدم من بنيانها ، ولفتح صفحات جديدة في تاريخ العالم ، مؤكداً أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام لن تموت ما وفت للرسالة ، وما قامت بالدعوة ، وما عملت بالأمر الآلهي بالوحدة والتضامن والتآلف والتعاقد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحابه والتابعين .

مِنَ الْفَتَاوَى الشَّرْعِيَّةِ

حُكْمُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهَا بِالْحُرُوفِ

لِسَمَاعَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ
الرَّئِيسِ الْعَامِلِ بِإِدَارَةِ مَجْمُوعَةِ الْعِلْمِ وَالْإِقْدَامِ وَالرَّعِيَّةِ وَالْإِشَارَةِ

● سألتنا الأخت : «س : ر : ج» من الكويت عن حكم الإشارة إلى اسم رسول الله ﷺ بحرف أو بعدة حروف . . . وقد تلقينا من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ما يفى الغرض من مشروعية الصلاة على النبي ﷺ وعدم الإشارة إليها ببعض الحروف .

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه أما بعد :-

فقد ارسل الله رسوله محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا، ارسله بالهدى والرحمة ودين الحق، وسعادة الدنيا والآخرة لمن آمن به وأحبه واتبع سبيله ﷺ، ولقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده فجزاه الله عن ذلك خير الجزاء وأحسنه وأكمله .

وطاعته ﷺ وامثال أمره واجتناب نهييه من أهم فرائض الإسلام وهي المقصود من رسالته . والشهادة له بالرسالة تقتضى محبته واتباعه والصلاة عليه في كل مناسبة وعند ذكره لأن في ذلك أداء لبعض حقه ﷺ وشكراً لله على نعمته علينا بإرساله ﷺ .

وفي الصلاة عليه ﷺ فوائد كثيرة منها امثال أمر الله سبحانه وتعالى والموافقة له في الصلاة عليه ﷺ والموافقة لملائكته أيضاً في ذلك قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

ومنها أيضاً مضاعفة أجر المصلى عليه ورجاء إجابة دعائه وسبب لحصول البركة ودوام محبته ﷺ وزيادتها وتضاعفها وسبب هداية العبد وحياة قلبه فكلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره ولا شك في شيء مما جاء به .

كما أنه صلوات الله وسلامه عليه رغب في الصلاة عليه بأحاديث كثيرة ثبتت عنه منها ما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا» وعنه رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم» وقال ﷺ: «رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على» .

وبما أن الصلاة على النبي ﷺ مشروعة في الصلوات في التشهد ومشروعة في الخطب والادعية والاستغفار بعد الأذان وعند دخول المسجد والخروج منه وعند ذكره وفي مواضع أخرى فهي تتأكد عند كتابة اسمه في كتاب أو مؤلف أو رسالة أو مقال أو نحو ذلك لما تقدم من الأدلة . والمشروع أن تكتب كاملة تحقيقاً لما أمرنا الله تعالى به ، وليتذكر القارئ عند مروره عليها ولا ينبغي عند الكتابة الاقتصار في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ على كلمة (ص) أو (صلعم) وما أشبهها من الرموز التي قد يستعملها بعض الكتبة والمؤلفين لما في ذلك من مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ مع أنه لا يتم بها المقصود وتندم الافضلية الموجودة في كتابة «ﷺ» كاملة . وقد لا ينتبه لها القارئ أولاً يفهم المراد بها ، علماً بأن الرمز لها قد كرهه أهل العلم وحذروا منه .

فقد قال ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح في النوع الخامس والعشرين من كتابة الحديث وكيفية ضبط الكتاب وتقييده قال ما نصه :

التاسع : أن يحافظ على كتابة الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ عند ذكره ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكرره فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكتبته ومن أغفل ذلك فقد حرم حظاً عظيماً . وقد رأينا لأهل ذلك منامات صالحة ، وما يكتبه من ذلك فهو دعاء يشبهه لا كلام يرويه فلذلك لا يتقيد فيه بالرواية . ولا يقتصر فيه على ما في الأصل .

وهكذا الأمر في الثناء على الله سبحانه عند ذكر اسمه نحو عز وجل وتبارك وتعالى وما ضاهى ذلك إلى أن قال: «ثم ليتجنب في إثباتها نقصين أحدهما أن يكتبها منقوصة صورة رامزاً إليها بحرفين أو نحو ذلك ، والثاني : أن يكتبها منقوصة معنى بالألا يكتب وسلم وروى عن حمة الكنانى - رحمه الله تعالى - أنه كان يقول كنت أكتب الحديث وكنت اكتب عند ذكر النبي صلى الله عليه ولا اكتب (وسلم) فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لى مالك لا تتم الصلاة على ؟ . قال : فما كتبت بعد ذلك صلى الله عليه إلا وكتبت (وسلم) إلى أن قال ابن

الصلاح : قلت ويكره أيضاً الاقتصار على قوله (عليه السلام) والله أعلم . انتهى المقصود من كلامه - رحمه الله تعالى ملخصاً .

وقال العلامة السخاوى - رحمه الله تعالى - في كتابه فتح المغيث شرح الفية الحديث للعراقى ما نصه : واجتنب أيها الكاتب (الرمز لها) أى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ في خطك بأن تقتصر منها على حرفين ونحو ذلك فتكون منقوصة صورة كما يفعله (الكسائى) والجهلة من أبناء العجم غالباً وعموم الطلبة فيكتبون بدلاً من ﷺ (ص) أو (صم) أو (صلعم) فذلك لما فيه من نقص الأجر لنقص الكتاب خلاف الأولى .

وقال السيوطى - رحمه الله تعالى - في كتابه تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى : ويكره الاقتصار على الصلاة أو التسليم هنا وفى كل موضع شرعت فيه الصلاة كما فى شرح مسلم وغيره لقوله تعالى : ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ إلى أن قال : ويكره الرمز إليها فى الكتابة بحرف أو حرفين كمن يكتب (صلعم) بل يكتبها بكاملها . انتهى المقصود من كلامه - رحمه الله تعالى مخلصاً .

هذا وصيتى لكل مسلم وقارىء وكاتب أن يلتمس الأفضل ويبحث عما فيه زيادة أجره وثوابه ويتعد عما يبطله أو ينقصه . نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه انه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

السفر إلى بلاد الكفرة

● تقوم بعض المؤسسات بالنشر فى الصحف داعية أبناء المسلمين لقضاء العطلة الصيفية فى البلاد الغربية لتعلم اللغة الانكليزية .

وللأجابة على ذلك نشر توضيح فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز حول هذا الموضوع :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه إلى يوم الدين أما بعد . . .

فقد أنعم الله على هذه الأمة بنعم كثيرة وخصها بمزايا فريدة وجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وأعظم هذه النعم نعمة الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده شريعة ومنهج حياة وأتم به على عباده النعمة وأكمل به

الدين قال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ . ولكن أعداء الاسلام قد حسدوا المسلمين على هذه النعمة الكبرى فامتألت قلوبهم حقداً وغيظاً وفاضت نفوسهم بالعداوة والبغضاء لهذا الدين وودوا لو يسلبون المسلمين هذه النعمة أو يخرجونهم منها كما قال تعالى فى وصف ما تختلج به نفوسهم : ﴿ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء﴾ . وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عتتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون﴾ . وقال عز وجل : ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألستهم بالسوء وودوا لو تكفروا﴾ . وقال جل وعلا : ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا﴾ . والآيات الدالة على عداوة الكفار للمسلمين كثيرة . والمقصود أنهم لا يألون جهداً ولا يتركون سبيلاً للوصول إلى أغراضهم وتحقيق أهدافهم فى النيل من المسلمين إلا سلكوه ولهم فى ذلك أساليب عديدة ووسائل خفية وظاهرة فمن ذلك ما ظهر فى هذه الأيام من قيام بعض مؤسسات السفر والسياحة بتوزيع نشرات دعائية تتضمن دعوة أبناء هذا البلد لقضاء العطلة الصيفية فى ربوع أوروبا وأمريكا بحجة تعلم اللغة الانجليزية ووضعت لذلك برنامجاً شاملاً لجميع وقت المسافرين . وهذا البرنامج يشتمل على فقرات عديدة منها ما يلى :

(١) اختيار عائلة انجليزية كافلة لإقامة الطالب لديها مع ما فى ذلك من المحاذير الكثيرة .

(ب) حفلات موسيقية ومسارح وعروض مسرحية فى المدينة التى يقيم فيها .

(ج) زيارة أماكن الرقص والترفيه .

(د) ممارسة رقصة الديسكو مع فتيات انجليزيات ومسابقات فى الرقص .

(هـ) جاء فى ذكر الملاهى الموجودة فى إحدى المدن الإنجليزية ما يأتى (أندية ليلية ،

مراقص ديسكو، حفلات موسيقى الجاز والروك ، الموسيقى الحديثة ، مسارح ودور سينما وحانات انجليزية تقليدية) .

وتهدف هذه النشرات إلى تحقيق عدد من الأغراض الخطيرة منها ما يلى :

١ - العمل على انحراف شباب المسلمين واضلالهم .

٢ - إفساد الأخلاق والوقوع فى الرذيلة عن طريق تهيئة أسباب الفساد وجعلها فى

متناول اليد .

- ٣ - تشكيك المسلم في عقيدته .
- ٤ - تنمية روح الاعجاب والانبهار بحضارة الغرب .
- ٥ - تخلقه بالكثير من تقاليد الغرب وعاداته السيئة .
- ٦ - التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لأدابه وأوامره .
- ٧ - تجنيد الشباب المسلم ليكونوا دعاة التغريب في بلادهم بعد عودتهم من هذه الرحلة وتشبعهم بأفكار الغرب وعاداته وطرق معيشتة .

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد الخطيرة التي يعمل أعداء الإسلام لتحقيقها بكل ما أوتوا من قوة وبشتى الطرق والأساليب الظاهرة والخفية وقد يتسترون ويعملون بأسماء عربية ومؤسسات وطنية امعانا في الكيد وابعادا للشبهة وتضليلا للمسلمين عما يرومونه من أغراض في بلاد الإسلام . لذلك فإننى أحذر إخوانى المسلمين في هذا البلد خاصة وفي جميع بلاد المسلمين عامة من الانخداع بمثل هذه النشرات والتأثر بها وادعوهم إلى أخذ الحيطة والحذر وعدم الاستجابة لشيء منها فإنها سم زعاف ومخططات من أعداء الإسلام تفضى إلى إخراج المسلمين من دينهم وتشكيكهم في عقيدتهم وبث الفتن بينهم كما ذكر الله عنهم في محكم التنزيل قال تعالى : ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ الآية كما أنصح أولياء أمور الطلبة خاصة بالمحافظة على أبنائهم وعدم الاستجابة لطلبهم 'سفر إلى الخارج لما في ذلك من الاضرار والمفاسد على دينهم وأخلاقهم وبلادهم كما أسلفنا وارشادهم إلى أماكن النزهة والاصطياف في بلادنا وهي كثيرة بحمد الله والاستغناء بها عن غيرها فيتحقق بذلك المطلوب وتحصل السلامة لشبابنا من الأخطار والمتاعب والعواقب الوخيمة والصعوبات التي يتعرضون لها في البلاد الأجنبية . هذا وأسأل الله جل وعلا أن يحمى بلادنا وسائر بلاد المسلمين وأبنائهم من كل سوء ومكروه وأن يجنبهم مكائد الأعداء ومكرهم وأن يرد كيدهم في نحورهم كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاية أمرنا لكل ما فيه القضاء على هذه الدعايات الضارة والنشرات الخطيرة وأن يوفقهم لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد إنه ولى ذلك والقادر عليه صلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه واتباعه بإحسان إلى يوم الدين .



آراء وتوافق هلاله الملك لخدمة الإسلام بمناسبة اختياره لجائزة الملك فيصل

استقبلت الاوساط العالمية والثقافية في العالمين العربي والإسلامي . . . نبأ اختيار جلالة الملك فهد من قبل جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام . . . بارتياح كبير . . . لتجاوبه مع طبيعة قناعاتها بعظمة الدور الذي يضطلع به جلالاته على الساحتين لخدمة العقيدة الإسلامية ونشرها في مختلف ربوع الأرض، ورعاية شؤون المسلمين، وخدمة مصالحهم في كل مكان من هذا العالم . . .

● حيثيات القرار :

أولاً : اجتمعت اللجنة على اختيار جلالاته فائزاً وحيداً بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام وذلك لما عرف به جلالاته شرقاً وغرباً قبل توليه رئاسة الدولة وبعدها من عزيمة ثابتة وجهد صادق وعمل في خدمة الإسلام والمسلمين في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . . وغيرها وعلى الأخص فيما يأتي :

(١) جهود جلالاته الخيرة في جمع الشمل ورأب الصدع للأمة العربية والإسلامية . . . ومسعى المملكة العربية السعودية بقيادته لتحقيق التضامن الإسلامي . وما بذله وبذله من جهود جادة ومستمرة من أجل انهاء مشكلة لبنان وتخفيف آلامه، ودعم القضية الفلسطينية . . .

(٢) اسهامات جلالاته الخاصة والرسمية باسم المملكة في كل ما يضمه جراح المسلمين من آثار المحن والكوارث ومد يد العون لجميع الأقليات الإسلامية في بلاد العالم والوقوف بجانبها . . .

(٣) تركيز الدعوة إلى الله ونشرها وحمايتها ومساندتها بما يرسل من دعاة يتحملون أعباء هذه الأمانة في مختلف البلاد الإسلامية وغيرها . . .

(٤) العمل المستمر في سبيل نهضة البلاد وعمله المتميز المتواصل في سبيل خدمة الحرمين الشريفين ورعاية وفود الرحمن وتيسير اداء مناسك الحج والعمرة إليها . . .

من هذه الحثييات نخرج بأن اختيار جلالته جاء إقراراً لواقع قائم بالفعل فلا أحد يطاوله بل ولا أحد يمكن أن يقترب من درجته في الوقت الراهن فيما أدى للإسلام من خدمات وفيما اسبغ على الأمة الإسلامية من رعاية وعناية . فجلالته على مسرح الأحداث العربية والإسلامية . . . بل وكذلك الدولية يصول ويجول يهدى من عقيدته الراسخة ويهدى من تعاليم الإسلام القوية . . . فهو في كل سلوكه انما يتصرف تصرف المؤمن الذي يخشى الله ويتقيه فخشية الله تنسحب على منهاج حياته كإنسان وكمسئول . . .

● الإسلام في سلوك الفهد :

فمنذ أن كان جلالته ولياً للعهد كانت اهتمامات جلالته إسلامية بحتة . . . ففي لقاء مع اعضاء ندوة دور المساجد في المجتمع المعاصر والتي عقدت في الرياض في ١٣٩٨/٣/٨ هـ أكد جلالته أن هدف المملكة نصرته الإسلام والمسلمين ونصرة العقيدة وقال جلالته : أن العالم في جميع قاراته يحمل العرب مسؤولية كبيرة تجاه نشر العقيدة . وقال : ان دفع التضامن الإسلامي والاستمرارية في الدفاع عن العقيدة الإسلامية هي مسؤولية الجميع امام الله وامام الأجيال . وأكد جلالته ان المملكة تبذل محاولة اكيدة مع الدول الصديقة في جميع القارات لفتح مدارس إسلامية من أجل تثقيف بنين وبنات المسلمين للمحافظة على عقيدتهم ولغتهم . . . وبهذه المناسبة نذكر ان جلالته عندما كان ولياً للعهد تبرع بمبلغ ٢٩٦٨٦ دولار لمشروع شراء مركز إسلامي وبناء مسجد فيه بولاية انديانا بأمریکا (في ١٣٩٩/٨/٢٤ هـ) .

وكذلك أقام جلالته الملك فهد وعلى نفقته الخاصة أيضا مشروع مسجد ومدرسة ومستوصف وصالة للألعاب الرياضية ومكتبة تضم الآف الكتب وذلك بمدينة طنجة بالمغرب (في ١٤٠٣/٥/٢١ هـ) .

هذان النموذجان لاهتمام جلالته الفهد بالدعوة الإسلامية وهو ولي للعهد ثم وهو ملك انهما مثالان فقط . . .

وسنأخذ خطاب جلالته عندما كان ولياً للعهد وذلك في ١٣٩٨/١٢/٧ هـ الذي وجهه جلالته للحجاج كنموذج لمفهوم الإسلام عند جلالته الفهد قال جلالته :

«أيها الأخوة في الله يسعدني وقد التقى جمعكم الكريم هذا في أقدس البقاع وأطهرها

املا في الرحمة ورجاء في المغفرة وتطلعا إلى خير العواقب وإنى أرحب باسم جلالة الملك خالد وباسمى واسم اخوانكم شعب وحكومة المملكة العربية السعودية واتمنى لكم حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا . . .

أيها الأخوة في الله ان المملكة العربية السعودية قادرة بعون الله وتوفيقه على تحمل مسئولياتها التاريخية تجاه الأمة الإسلامية والعربية تجاه الإنسانية بأسرها وسعيدة بما شرفها الله من خدمة لضيوف بيته العتيق . . . ونحن ننتقل في هذا من منطلقين هما :
أولا : تعزيز الدعوة إلى الله ونشرها والعمل على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم ودعم قدراتهم حتى يتمكن معا من استرداد الحق التاريخي لهذه الأمة الرائدة ونجعلها من جديد في مصاف الأمم القوية القادرة على أن تؤكد وجودها وتحقق أدوارا هامة وتساهم في صناعة وبناء المجتمع البشرى إن شاء الله . .

ثانيا : تكريس الأمن والاستقرار في الداخل ليكونا اساسا في التعامل مع الغير ومنطلقا إلى خدمة الأمم الأخرى والعيش ضمن اطار الاسرة الدولية على أرفع درجات . . .

أيها الأخوة في الله ان الأمة الإسلامية العظيمة يجب ان تقوم بدورها الصحيح الطبيعي في انقاذ البشرية من الضلال وقيادتها من الظلام إلى النور . . .
وعاينا أن ندرك تماما بان لا عزة لنا بدون الإسلام . والخطاب يسير على هذا المنوال من وضع دستور اخلاقي يحدد منهج العمل في المملكة العربية السعودية ونظرتها نحو الإسلام ونحو الدعوة الإسلامية ونحو الإنسان المسلم القوى القادر الذي يجيا بين حضارة تقوم على أعظم رسالة عالمية هي الإسلام ولو كان الأمر فيه متسعا لاتينا على باقى هذا الحديث الذى يصدر من قلب مؤمن بالله محب لجميع المؤمنين والمسلمين .

وقد أكد الفهد على قوة المسلم وذلك في حديث نشرته جريدة البلاد بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٣٩٩ هـ وكان وليا للعهد . قال جلالتة :

«إذا كان هناك خيار بين الحرب والسلم فنحن نختار السلام القائم على العدل والحق . أما إذا فرضت علينا الحرب فإننا لن نتخاذل ونبذل كل قوانا ومجهوداتنا فيها» .
وقال : جلالتة أننا نؤمن دوما ان النجاح في السلام أوفى الحرب مرهون بقوتنا كأمة وبوحدتنا وتضامنا . . .

وأشار جلالته ان القوة الحقيقية هي قوة الإنسان وقال: ان طريقنا الوحيد لحل مشكلاتنا هو تحقيق القوة في الفرد العربي والمجتمع والقوة بتوحيد الجهود المبعثرة... .
وفي حديث لمجلة نيوزويك الأمريكية ونشر في صحيفة الرياض بتاريخ ١١/٢/١٣٩٩هـ :

كرر جلالته القول : «بأننا دعاة وحدة الكلمة وجمع الشمل على الصعيدين الإسلامي والعربي... . ونحن دعاة السلام العادل الشامل الذي يرضى أصحاب الحق بالدرجة الأولى». وقال جلالته: «نحن دعاة الرخاء وتوازن الاقتصاد العالمي على ان نكون جميعا شركاء في مسئولية اتاحة الرخاء والتوازن العالمي» .

وفي كلمة ألقاها جلالة الفهد أمام أعضاء المؤتمر الجغرافي الإسلامي الذي عقد اجتماعاته في الرياض في ٢٢/٢/١٣٩٩هـ عندما كان وليا للعهد طالب بتصحيح العقيدة الإسلامية... . والعناية بها والتجمع على اساسها إذا ما أرادوا اليوم ان ينهضوا وأكد جلالته على أهمية العقيدة الإسلامية في جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم .

وحرصا من جلالته على سلامة القرآن الكريم فقد أصدر جلالته تعليماته وتوجيهاته إلى الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية في ٢٦/١/١٤٠٠هـ بتعميم قرار مجلس هيئة كبار العلماء القاضي بتحريم كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية أو غيرها من حروف اللغات الأخرى - على السفارات في الخارج لتقوم بابلاغه لجميع الجهات والهيئات والجمعيات العاملة في مجال العمل الإسلامي لتكون على علم ودراية لما تقرر... .

وفي ٣٠/٢/١٤٠٠هـ نشرت هذه الصحيفة هذا الخبر :
«أصدر صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز توجيهاته بضرورة العناية بمنطقة المشاعر حتى يمكن للمسلمين قضاء مناسكهم بسهولة ويسر بحيث تعبر هذه العناية عن تلبية احتياجات المسلمين ومتطلباتهم .

وقد تضمنت هذه التوجيهات توسعة منطقة الجمرات بمنى بزيادة عرض الشوارع الفردية لها إلى ٣٥ مترا خصوصا شارعى جلالة الملك فيصل وسوق العرب وذلك لضمان انسياب افواج ضيوف الرحمن بسهولة ويسر... .

كما أصدر سموه توجيهاته بدراسة انشاء ٦ انفاق في منطقة المشاعر لتسهيل المواصلات مما يقضى على الأختناقات وتبلغ التكاليف الاجمالية لتنفيذ هذه المشروعات ٢٠٠ مليون ريال... .

وفي أول خطاب ملكي وجهه جلالة الملك فهد والذي حدد فيه ابعاد المرحلة القادمة قال جلالاته (في ٢٤ شعبان ١٤٠٢هـ) مركزا على ضرورة التمسك بكتاب الله وسنة رسوله إذ لا تقدم إذا ما انفصلت الأمة عن تراثها الديني والحضاري وقال: «ان الإنجاز الأساسي قبل كل شيء هو العقل فصناعة الإنسان هي الأساس فالمال يذهب والرجال وحدهم الذين يصنعون المال إننا نريد قاعدة شعبية متعلمة وهذا هو السر في التركيز على بناء المدارس والجامعات ومعاهد التدريب . . .

وأكد جلالاته على التضامن العربي والإسلامي لتحقيق رفعة الأمة الإسلامية وتمكينها من أن تبدأ وضعها الطبيعي في العالم ولتمكينها من التصدي للأطماع والأخطار . . .

وأكد جلالاته على التوجيه الإنساني من مفهوم تردى الحضارة المادية واستبعادها عن العامل الروحي الذي يحدث التوازن والذي يحول بينها وبين النزعات الشريرة والعدوانية . . . ويتأتى ذلك بتكثيف الدعوة الإسلامية .

وفي خطاب جلالة الملك فهد امام رؤساء بعثات الحج والشخصيات الإسلامية وضيوف الرحمن في ١٥ ذى الحجة ١٤٠٢هـ قال جلالاته :

«إننا لا نكتفى إن شاء الله بما تحقق من انجازات وسوف نواصل العمل على تطوير مناطق الحج في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة وعلى تطوير مدينة الرسول ﷺ المدينة المنورة» .
وقال جلالاته : «إننا مهما بذلنا من جهد فهو أقل من طموحنا ولا يزال امامنا الكثير مما نريد عمله بعون الله وتوفيقه حتى نخفف مما يلاقيه الحاج من مصاعب ونحن نعلم مهما بذلنا من الجهود ان المشقة جزء من أداء المناسك وقد قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ ما كنتم بباليغيه إلا بشق الأنفس ﴾ ولا شك أن هذه إرادة الله سبحانه وتعالى ليجزل لعباده في الأجر والثواب والمغفرة في هذا النسك العظيم . . .

واستطرد جلالاته يقول :

«اننى أعلنها صريحة امامكم انه ليس لدينا التزامات أو ارتباطات مع اية دولة أجنبية على حساب عقيدتنا أو على حساب وطننا ومواطنينا أو على حساب دولة شقيقة عربية كانت أم إسلامية .

وفي الحفل الأول لجائزة الدولة التقديرية في الأدب في ٢٨ محرم ١٤٠٤ دعا جلالاته الملك فهد بن عبد العزيز المفدى الأمة العربية إلى التمسك بالعبقيرة الإسلامية وأكد جلالاته أنه لن يكون للأمة العربية أى وزن وقيمة إلا إذا عادت إلى القاعدة الصحيحة . وهى

القاعدة الإسلامية وهكذا نرى جلالته في كل مناسبة يدعو فيها إلى التمسك بأهداب الإسلام والقيم الإسلامية والعودة إلى الأصالة . . .

● الاهتمام بفلسطين من منطلق إسلامي :

تقع فلسطين عامة والقدس خاصة في قلب اهتمامات جلالة الملك فهد وهذا الاهتمام يأتي أساسا من منطلق إسلامي لما للقدس من موقع هام في المقدسات الإسلامية .

وقد امتد اهتمام جلالة الملك بفلسطين والقضية الفلسطينية منذ أن كان وليا للعهد .

فجلالته في خطابه في بون بالمانيا الغربية امام المستشار هيلموت شميت مستشار المانيا الغربية طالب الدول الأوروبية بالمساهمة في حل القضية الفلسطينية وقال :

«لاشك ان دول أوروبا تستطيع أن تلعب دورا رئيسيا وبناء في حل هذه القضية حلا عادلا وسريعا يعيد الحق إلى نصابه والأرض إلى أصحابها ويمكن الشعب الفلسطيني من الوصول إلى حقوقه . والقدس يا صاحب الدولة لا بد أن تعود إلى وضعها الطبيعي تقام فيها شعائر الأديان كما كان في الماضي ويتم فيها الوصول إلى المثل العليا التي تنادي بها تلك الأديان ونادي بها كل الأنبياء» .

وفي تصريح لجلالته أدلى به لمندوب وكالة الأنباء السعودية حول نتائج مؤتمر القمة العربي التاسع الذي انهى اعماله ببغداد ونشرته صحيفة المدينة في ٧/١٢/١٣٩٨ هـ قال جلالته : «ان المملكة لا تقبل المساس بأي قضية إسلامية في أي مكان ومن باب أولى القدس الشريف» .

وفي حديث نشرته صحيفة البلاد في ٢٣/١/١٣٩٩ هـ أكد جلالته الملك أن سياسة المملكة كانت ولا تزال محددة وثابتة بالنسبة للقضية الفلسطينية لا تردد فيها ولا تعديل وهي من حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه وتقرير مصيره وبناء دولته المستقلة وعودة الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧م بما فيها القدس إلى العرب وان الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني هي منظمة التحرير الفلسطينية .

وفي حديث لجلالة الفهد في باريس أمام الصحفيين أكد جلالته ان المملكة العربية السعودية لها موقف عربي وإسلامي ثابت تجاه القدس العربية . . . وقال جلالته ان هذا الموقف يتطلب بالضرورة استعادة القدس إلى الأمة العربية سواء تم ذلك من خلال السلام أو عن طريق الحرب (في ١٨/٦/١٣٩٩ هـ) .

وفي روما أدلى جلالته بتصريح للصحفيين في ٢١/٦/١٣٩٩هـ أكد فيه أن حل مشكلة القدس ضرورة لحل مشكلة الشرق الأوسط وأكد جلالته على عدالة القضية العربية المؤيدة من قبل الأمم المتحدة والمجتمع الدولي .

وعند وصول جلالته إلى الرياض في ٢٣/٦/١٣٩٩هـ بعد جولة في عدد من الدول الأوروبية صرح جلالته بقوله : «القدس بالنسبة لنا حياة أو موت ولا خلافات إلا في خيال مختلقها فقط .

وفي حديث صحفي لجلالته لصحيفة (لوموند الفرنسية) أكد جلالته ان التزام المملكة العربية السعودية تجاه حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه وتقرير مصيره وضمان استقلاله يتساوى مع التزامها بالدفاع والحفاظة على سيادتها . وقال جلالته : «ان حقوق الشعب الفلسطيني جزء لا يتجزأ من تراثنا العربي والوطني والإسلامي والاخلاقي وانه لا يمكن ان يتخلى إنسان عن كل هذه القيم» .

وقال جلالته في حديث لمجلة الحوادث اللبنانية :

«يمكنكم أن تنقلوا على لساني أنه لا سلام بلا القدس العربية وبلا حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره» .

وأضاف جلالته يقول : «لا بد أن يبارس الفلسطينيون حقهم في تأسيس دولة لهم مثل أى شعب مستقل آخر» .

وفي تصريح لوكالة الأنباء السعودية نشرته (عكاظ) في ٣/١٠/١٤٠٠هـ أكد جلالته أنه لا بد أن نقف جميعا وقفة واحدة في معركة واحدة مع اسرائيل مهما طال زمنها وارتفع ثمنها وأن نضع فيها كل الإيثار والتصميم والطاقات والإمكانات وكل غال ورخيص .

وقال جلالته حول اقدام اسرائيل على اعلان كل القدس عاصمة لها أنه عندما بدأت الحركة الصهيونية مدعمة بعصابات الارهابية التي كان مناحم بيجن يتزعم واحدة منها باغتصاب اجزاء من فلسطين عام ١٩٤٨م اعلنت بعض الاوساط العربية حينذاك الجهاد المقدس ضد تلك الغزوة الصهيونية . . . واليوم تعلن اسرائيل كل القدس عاصمة موحدة وابدية لها متحدية مشاعر العرب والمسلمين . . . فهل يلومنا العالم بعد اليوم إذا ما أخذنا الأمور بأيدينا وتصدينا للدفاع عن مقدساتنا ضد هذه الحملة الصهيونية الدينية والعسكرية .

هذا وقد قوبلت دعوة الفهد إلى الجهاد المقدس بالتأييد من العالم العربي والإسلامي كله .

وفي ٥/١/١٤٠١هـ أكد جلالته الفهد عن أهمية الجهاد المقدس وقال جلالته : « ان الدعوة إلى الجهاد المقدس لم تكن فقط دعوة المسلم إلى حمل البندقية والسيف والتوجه إلى القدس ولكنها دعوة عامة للمسلمين عموما ومن الممكن تنظيمها في مؤتمر القمة أو المؤتمر الإسلامي حتى تكون الدعوة للجهاد دعوة كاملة .

وفي حديث جلالته لضيوف الرحمن في ٧/١٢/١٤٠٢هـ قال : « لقد شهد العالم الإسلامي في العام الهجري الحالي قضايا ومشاكل بعضها جديد وبعضها قديم متجدد وتعرض لحروب وصراعات دامية وهذه الحروب والصراعات وغيرها استنزفت بلايين الآلاف من المسلمين وان أكثر هذه الأحداث مأساه واثارة للأحزان والآلام المذبحة التي تعرض لها أخواننا الفلسطينيون واللبنانيون في نخمى صبرا وشاتيلا في بيروت مؤخرا وبما يزيد من عمق الأحزان ان الضحايا كانوا من المدنيين العزل من السلاح .

وبهذه المذبحة المنروعة تضيف اسرائيل حلقة سوداء إلى عدوانها الشامل الاجرامى الذى قامت به هذا العام على المقاومة الفلسطينية والشعب اللبناني . . . وانى إذ أحيى بطولة الشعب الفلسطينى والشعب اللبنانى المجاهدين الصامدين فى معركة بيروت الخالدة لأمل من قادة وشعوب الأمة الإسلامية تقديم الدعم الكامل والفعلى للمقاومة الفلسطينية ماليا وعسكريا وهى تدخل مرحلة جديدة من الكفاح» .
واستطرد جلالته يقول :

إننا نجتمع اليوم فى هذه الرحاب الطاهرة بعد ان جمع الله كلمة أمتنا العربية فى فاس ووجد صفوفها وهداها إلى هذه القرارات التاريخية ولله الحمد على جمع صفوفها وتنسيق جهودها والعودة إلى التضامن والتعاون حيث أثبت قدرتها التحدث بلغة واحدة فيها من وضوح الرؤية والتحسب لابعاد المصير ما يدعوننا إلى التفاؤل بمستقبل مشرق لقضايانا إن شاء الله خصوصا إذا وضعت أمتنا الإسلامية ثقلها كما تفعل دائما مع أشقائها العرب وخصوصا إذا تحملت الدول المحبة للسلام فى العالم مسؤولياتها تجاه الضغط على اسرائيل وحملها على قبول السلام العادل المنصف الذى يعطى الأخوة الفلسطينيين حقهم فى تقرير مصيرهم وحقهم فى انشاء دولتهم المستقلة بما فى ذلك عاصمتها القدس الشريف واعادة الأرض العربية إلى أهلها وضمان حق الجميع فى العيش بسلام» .

● جلالة الملك وباكستان :

وباكستان من الدول المسلمة تلقى التأييد من جلالة الفهد الذى يؤمن بعزة الإسلام ومنعته والذى يرى فى قوة البلاد الإسلامية قوة للإسلام نفسه .

وفى زيارة قام بها جلالة الفهد «سمو الأمير فهد فى ٢/٢/١٤٠١هـ» لباكستان صرح جلالته بان العالم الإسلامى يواجه تحديات خطيرة . وقال ان المملكة العربية السعودية قوة مساندة لباكستان المسلم . ودعا جلالته الأمة الإسلامية إلى تحكيم الشريعة فى حياتها .

وقال جلالته :

«لابد لنا ونحن فى مطلع القرن الخامس الهجرى من وقفة لالقاء نظرة كاملة بعيدة على أوضاع المسلمين فى كل مكان وعلى حقوقنا وواجباتنا وأن نعد أنفسنا لمواجهة التحديات الخطيرة التى نواجهها وأن نعمل جاهدين ومؤملين بان يشهد هذا القرن عزة المسلمين واحقاق حقوقهم التى أهدرت فى القرن الماضى وان نشهد سلاما قائما على العدل فى العالم» .

«ودعا جلالته كل المسلمين إلى تحكيم كتاب الله فى كل شئونهم وألا يستسلموا لأسباب الفرقة» .

وقال جلالته : «باكستان القوية بقوة إيمانها وعقيدة شعبها هى صمام امان للإسلام» .
وقال جلالته أيضا : «المملكة العربية السعودية والباكستان متضامتان تحت راية الإسلام» .

● أفغانستان البلد المسلم :

قال جلالة الفهد أثناء استقباله لاعضاء المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى فى ٤ ديسمبر ١٩٨٣م : «ان الأمة الإسلامية تواجه الآن الكثير من المخاطر والتحديات ولا بد من أن تصمد امام كل هذه المصاعب وأن تثبت انها أمة قوية بالحق وراسخة برسوخ العقيدة المتمكنة فى نفوس أبنائها» وادرف يقول جلالته : «بان الأمة الإسلامية تستطيع ان تكرر كل عوامل الأمن والاستقرار والطمأنينة فى العالم إذا تمسكت بشريعة الله وحافظت عليها وسعت إلى تبنيتها فى حياتها ومعاشها ولم تنجرف وراء المادة وتفقد خصائصها المتميزة .

من هذا المنطلق يقف جلالته بكل حزم وصلابة ضد الغزو السوفيتى الشيوعى لافغانستان الدولة المسلمة وعداء جلالته للشيوعية القديم ويبرز هذا العداء فى حديث جلالته عندما كان وليا للعهد فى ٨/٣/١٣٩٨هـ أمام أعضاء ندوة دور المسجد فى المجتمع .

فقد أكد جلالتة ان هدف المملكة هو نصرته الإسلام ونصرة العقيدة . وأشار جلالتة إلى المبادئ والعقائد الهدامة التي تحاول النيل من العقيدة فأكد ضرورة التصدي لها واطهار العقيدة الإسلامية على حقيقتها وفي اطارها الصحيح وقال أن عقيدتنا لم تمنع شيئاً إلا وفيه خير للبشرية ولم تمدح شيئاً إلا لصالح البشرية جمعاء .

وأضاف جلالتة ان العقيدة الإسلامية استمرت شامخة رغم محاولات التصدي المتكررة التي تعرضت لها من المستعمرين في كافة البلدان التي غزوها .

وفي حديث لجلالتة لمجلة نيوزويك الأمريكية في ١٨/٢/١٣٩٩ هـ قال جلالتة : « ان المملكة لا تغير مبادئها في تطبيق الشريعة السمحاء ومحاربة الاحاد . . نحن دعاة سلام ولكن نسعى للسلام المبني على العدل .

وفي ٢/٢/١٤٠١ هـ توجه جلالتة اثناء زيارته لباكستان إلى مدينة بيشاور ولاهور للالتقاء بالمجاهدين الافغان وصرح جلالتة : « ان على الاتحاد السوفيتي ان يرحل عن افغانستان وان ينسحب من الأراضي الافغانية حتى يتمكن الشعب الافغاني من ان يحكم نفسه بنفسه» .

وقال الفهد امام اللاجئين الافغان في ٣/٢/١٤٠١ هـ : « ان الازمة الافغانية جرح عميق في العالم الإسلامي» .

وردا على سؤال عن المساعدات التي تقدم للاجئين الافغان قال جلالتة : «هذا واجب إسلامي ونأمل ان تنتهي هذه المشكلة ويترك الشعب الافغاني في تقرير ما يريد بنفسه وفي نفس الوقت نأمل من جميع الدول ان تساعد الشعب الافغاني سواء في الداخل أو في الخارج بالمساعدات الاستثنائية مثل المواد الغذائية والطبية وما يحتاجه الإنسان واعتقد ان هذا شيء مجاز في أي ظروف كانت ومن المعروف ان الشعب الافغاني يحتاج إلى مثل هذه الأمور وبالأخص اللاجئين الافغان إلى الباكستان حيث لمست حاجتهم إلى مثل هذه الأمور» .

وفي البيان السعودي الباكستاني المشترك الذي أذيع في إسلام آباد والرياض عقب انتهاء زيارة جلالة الفهد لباكستان جاء تأكيد حق تقرير المصير للشعب الافغاني ومساندة نضاله العادل ودعا البيان القوى العظمى إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء .

وفي كلمة جلالتة إلى حجيج بيت الله في ٧/١٢/١٤٠٢ هـ قال جلالتة عن أفغانستان :

«وفي ناحية أخرى من العالم الإسلامي يجارب أخوة لكم في افغانستان من أجل دينهم والحفاظة على استقلالهم وان حركة المقاومة الافغانية تستحق من العالم الإسلامي وكل الشعوب المحبة للسلام التأييد الكافي لتحقيق أهدافها في الحرية والسيادة .
كما أننا نتطلع ان يأخذ قادة الاتحاد السوفيتي بعين الاعتبار مشاعر العالم الإسلامي تجاه هذه القضية وتأثير ذلك على علاقته ببلادهم وفي مقدمة هذه الاعتبارات حق افغانستان في تقرير المصير والمحافظة على استقلاله .

● الدعوة إلى سوق إسلامية مشتركة :

كان جلاله الفهد من أول الداعين لإقامة سوق إسلامية مشتركة وفي ذلك قال جلالته :

«إذا ما نظرنا إلى اقتصاديات الشعوب الإسلامية نجد أن كثيرا من البلاد الإسلامية تعاني من زيادة السكان والبطالة والتضخم .

وهذا الوضع يدعونا إلى النظر بجديّة إلى إقامة سوق إسلامية مشتركة ومنح الأفضلية والأولوية في التجارة وتشغيل العمال والاستثمارات بين الدول الإسلامية وسيكون لذلك إن شاء الله أثر مهم في تخفيف المشاكل الاقتصادية في الدول الإسلامية وزيادة المنافع بين المسلمين وتقوية الروابط الإنسانية والسياسية بينهم وتقليل الاعتماد على الآخرين» .

من هذا المنطلق دعت المملكة في مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي الرابع عشر الذي انعقد في دكا في اوائل ربيع أول سنة ١٤٠٤ هـ إلى أن يولى الجانب الاقتصادي اهتماما بالغا أصبح حقيقة بارزة وملموسة وذلك بمساعدة الدول الإسلامية عن مجابهة الصعوبات التي تعترضها لانجاز مشاريع تتجهها وقد استعرض مندوب السعودية في المؤتمر ما تم من انجازات في هذا المجال من خلال الجهود التي بذلت عبر منظمة المؤتمر الإسلامي واللجان والمؤسسات المختلفة التي كرستها لهذه الاغراض مثل البنك الإسلامي للتنمية وصندوق التضامن الإسلامي وأكد أن المملكة قد أدت واجبها ووفت بجميع التزاماتها وبها وعدت بتقديمه وهو مبلغ ١٠٠٠ مليون دولار الذي أعلنه جلاله الملك فهد بن عبد العزيز المفدى أثناء انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي في مكة المكرمة والذي خصص لدعم برنامج التنمية .

وقال رئيس وفد المملكة في المؤتمران مجموع القروض الانهائية الميسرة التي اعتمدها الصندوق السعودي للتنمية للدول الإسلامية منذ اعلان مكة المكرمة حوالي ٥٢٣٢ مليون ريال سعودي خصصت للمساهمة في تمويل ٧٣ مشروعا في ٢٥ دولة من دول الاعضاء في

منظمة المؤتمر الإسلامي بالاضافة إلى ما تقدمه المملكة بصورة مباشرة للدول الإسلامية من مساعدات غير مستردة وقروض نقدية ميسرة . مؤكدا ان المملكة العربية السعودية بقيادة جلالة الفهد لم ولن تتوقف عن بذل كل جهد وسلوك كل سبيل يؤدي إلى تدعيم هذا التعاون وتقويته وترسيخه إلى الغاية التي يرنو إليها كل مسلم .

● الإسلام والسلام :

وحول سؤال عن ما إذا كان في نية جائزة الملك فيصل التوسع وإيجاد جوائز جديدة في ميادين جديدة واستحداث جائزة للسلام في ظل ظروف الحرب التي تضم اجزاء كثيرة من العالم قال سمو الأمير خالد الفيصل : ان كل الجوائز العالمية المنبثقة عن جائزة الملك فيصل هي جوائز للسلام . فخدمة الإسلام جزء من السلام فالإسلام يدعو إلى السلام والمحبة والاخاء والتعايش السلمى بين أبناء البشر .

فالجائزة التي نالها بحق جلالة الفهد وهي جائزة خدمة الإسلام إنما هي أيضا جائزة للسلام . وجلالة الفهد بذل في سبيل السلام ما لم يبذله أحد قط . فهو في خدمة الإسلام كان يسعى إلى السلام والتضامن والوفاق بين الشعوب الإسلامية .

● أليس هو الذي سعى للوفاق والسلام بين سوريا والأردن .

● أليس هو الذي سعى إلى السلام والوفاق بين سوريا والعراق .

● أليس هو الذي سعى إلى السلام وحقن الدماء وانهاء الحرب العراقية - الإيرانية والتي قال عنها أنها لا تخدم هدفا وليس فيه منتصر ومنهزم وأنها دماء تسيل بغير طائل وكان اجدر بها ان تسيل من أجل استعادة الحقوق المسلوبة في فلسطين .

● أليس هو الذي حقن دماء الطوائف اللبنانية المتشاحنة في لبنان وأن السلام الذي ينعم به اللبنانيون الآن في هذه الهدنة إنما هو من صنع يديه الكريمتين .

● أليس هو الذي حقن دماء الفلسطينيين الذين اقتتلوا فيما بينهم من غير طائل ولا هدف .

إن جلالة الملك بحق صانع السلام في هذا العصر ولذلك استحق جائزة خدمة الإسلام . لكل هذا فإن الجائزة . . . اعتراف بالجهود الكبيرة التي صنعت الاستقرار والسلام . . . بدافع من اخلاقيات القرار السعودي الذي يعمل على تكريسه جلالة الملك فهد .

وهي في نفس الوقت تعبير مخلص من مؤسسة علمية كبيرة . . . في عالمنا الإسلامي عما تكنه الشعوب الإسلامية لشخص جلالة الملك فهد من عرفان ومن اعزاز لخدمة قضاياها ورعاية شئونها . . .

« جريدة عكاظ »

أحداث العالم الإسلامي
عقود الشيخ محمد محمد صالح

جائزة الملك فيصل العالمية

صاحبها جلالة الملك فهد بن عبد العزيز

بنال جائزة في مجال خدمة الإسلام

●● أعلن يوم الأربعاء الموافق الثالث من ربيع الأول ١٤٠٤هـ أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية. وقد اهتمت الأوساط العلمية والثقافية في العالم العربي والإسلامي والمحيط الدولي بخبر الإعلان عن أسماء الفائزين بهذه الجائزة ذلك لما جاء فيهم من شخصيات لها تأثيرها الفعال في مجريات الأحداث السياسية والأدبية والثقافية والعلمية.

فقد حصل جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المعظم حفظه الله على جائزة الملك فيصل العالمية في مجال خدمة الإسلام - فقد قدرت لجنة الاختيار ما قام به جلالتة من جهود وعمل دءوب في خدمة الإسلام والمسلمين في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

●● وفاز الشيخ مصطفى الزرقا بجائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية لما قام به من دراسات علمية دينية قامت على إبراز سمو الشريعة الإسلامية بمقارنة الفقه الإسلامي بالقانون وقد قدم هذه الدراسة في موسوعة فقهية رائعة، وفضيلته عضو بارز في المجمع الفقهي منذ إنشائه ١٣٩٨هـ وقدم للمجمع عدة دراسات فقهية في مواضيع معاصرة.

●● وفاز الأستاذ محمود محمد شاكر بجائزة الملك فيصل في مجال الأدب العربي على كتابه الممتع «المتنبى» والأستاذ شاكر من أعلام الحركة الفكرية والأدبية في العالم العربي وقام بجهود بارزة مشكورة في مجال خدمة التراث العربي والإسلامي. بما حققه من كتب الأدب واللغة والشعر.

●● ومنحت جائزة الطب مناصفة بين كل من الأستاذ جون س فورديتران رئيس قسم الأمراض الباطنية بكلية الطب بجامعة بيلر في دالاس تكساس بالولايات المتحدة

الأمريكية . ونصفت جائزة الطب بينه وبين المجموعة المكونة من الدكتور وليام جرينوف مدير مركز أمراض الإسهال العالمى فى بنجلاديش ، والدكتور مايكل فيلد الأستاذ بقسم المعاقين ووظائف الأعضاء بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية .

●● ومنحت جائزة الملك فيصل العالمية فى مجال العلوم مناصفة بين اثنين من علماء الفيزياء أحدهما العالم الالمانى جيرد بيننج . وثانيهما العالم السويسرى هايزيخ روهير .

هذا وإن اجماع لجنة الاختيار على اختيار صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز للجائزة فى مجال خدمة الإسلام هو اعتراف من الأمة الإسلامية بالخدمات والأعمال الجليلة التى يوالى جلالته تقديمها للإسلام ومد يد العون للمسلمين فى جميع أنحاء الأرض ووقوفه بجانبهم ونصرة قضاياهم .

والفوز بهذه الجائزة لا ترجع قيمته إلى الجانب المادى بل إلى الجانب المعنوى الذى يقدم برهان وفاء من الأمة الإسلامية للعاملين بإخلاص وصدق فى سبيل اعزازها وتوحيدها تحت راية الإسلام .

قرارات وتوصيات

مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية

أنهى وزراء خارجية الدول الإسلامية مؤتمرهم الرابع عشر فى يوم الأحد ٧ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ فى دكا عاصمة بنجلاديش واتخذ الكثير من القرارات والتوصيات التى تناولت أهم القضايا التى تشغل أذهان المسلمين فى العالم الإسلامى .

● فقد ندد المؤتمر بالتدخل العسكرى السوفيتى المستمر فى افغانستان وناشد الدول الاعضاء مراعاة سيادة افغانستان وهويتها الإسلاميه .

● واثنى المؤتمر على الأعمال التى تقوم بها لجنة التضامن الإسلامى مع شعوب الساحل الافريقى وما تقوم به اللجنة المنبثقة عنها واقرت برنامجها وتوصياتها . وحث المؤتمر الدول الإسلاميه إلى الاستجابة إلى النداءات التى توجهها اللجنة للحصول على مساعدات والعمل على تنفيذ البرامج التى وضعتها بلدان الساحل المتضررة من الجفاف .

● وناشد المؤتمر الدول الأعضاء جعل فلسطين وجغرافيتها مادة اجبارية فى المناهج الإسلاميه .

● وأدان المؤتمر المشروع الإسرائيلي لثقب قناة تربط البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر مؤكداً أن هذا المشروع يشكل عدواناً على الحقوق المشروعة والموارد الطبيعية والمصالح الحيوية للشعب الفلسطيني والأردن فضلاً عن كونه يهدد السلام والأمن .

● فيما يتعلق بمسئمة الفلبيين دعا المؤتمر حكومة الفلبيين إلى تطبيق اتفاقية طرابلس والبدء في اجراء مفاوضات مع جبهة مورو، وطلب من جبهة مورو ومن قاداتها اتخاذ موقف موحد قبل البدء في المفاوضات .

● دعا المؤتمر الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي إلى مواصلة تنفيذ خطة الاعلام التي وافق عليها المؤتمر الإسلامي الحادى عشر وحث الدول الأعضاء على تقديم مساهمة طوعية لتنفيذ هذه الخطة .

● وفي مجال الاتصالات أوصى المؤتمر الدول الأعضاء بخفض تعريفه استخدام قنوات الاقمار الصناعية إلى مستوى يناسب موارد وكالات الأنباء لتيسير وسائل الاتصال الحديثة أمام وكالة الأنباء الإسلامية الدولية .

● وأحاط المؤتمر الوزراء بالتوصية المقدمة للجنة الدائمة للشئون الإعلامية والثقافية بخصوص عقد اجتماع لوزراء الإعلام بهدف بحث مشكلات وكالات الأنباء عن كثر . . . واتخاذ التدابير اللازمة لتعزيز وضع وكالة الأنباء الإسلامية الدولية .

● وفيما يتعلق بمنظمة اذاعات الدول الإسلامية اعرب المؤتمر عن تقديره للمملكة والكويت والدول الأخرى التي قدمت اسهامات طوعية لدعم نشاطات المنظمة وبرامجها .

الكيان الصهيونى : يهدد أمن العالم الإسلامى ويهدد سلام العالم

أكد مندوب المملكة سمير الشهابى فى كلمة ألقاها مساء الجمعة ٥ ربيع الأول ١٤٠٤هـ (١٠ ديسمبر ١٩٨٤م) أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة التى تناقش الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط . أكد أن الصهيونية العالمية والكيان الصهيونى يتحملان مسئولية الجرائم ضد الفلسطينيين فى الأراضى العربية المحتلة ودول وشعوب الشرق الأوسط . وندد مندوب المملكة بالجرائم التى يرتكبها هذا الكيان فى الضفة الغربية وغزة وبالمجازر التى تقوم بها فى لبنان ضد كل العرب من فلسطينيين ولبنانيين وسوريين ودعا الذين يقدمون العون

للكيان الصهيوني وخاصة الولايات المتحدة إلى وقف هذا الدعم الذي سيؤدي إلى استمرار هذا العدوان على الدول العربية .

وأضاف إن هذا الكيان الإسرائيلي يهدد أمن المنطقة وهو ما أكدته قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وتشهد به أعمال إسرائيل العدوانية المستمرة . . . وإن أمن المنطقة يرتكز على السلام العالمي الذي برهن العرب على أنهم دعائه . على شرط أن يكون سلاماً قائماً على الحق والعدل . ولكن الصهيونية لا تكف عن استخدام كل صور الإرهاب . وليس السلام من مخططات اليهود والصهيونية العالمية ومن الحق أن نقول . . ان هذا العدو الشرس تسانده كل قوى الشر والعدوان من الصهيونية العالمية والاستعمار الغربي بكل اتجاهاته ومسمياته التي تجمعها الصليبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين . والشيعية والاحاد . . . ولا علاج لهذه المأساة إلا بوحدة إسلامية شاملة تصد هذه الأطماع وتردع هذا العدوان . فمتى يتوحد المسلمون . . ؟ وكيف . . ؟ هذا ما ستجيب عنه الأيام . . .

القاديانية الكافرة : تسعى لهدم الشريعة الإسلامية

بعث معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رسالة هامة عاجلة إلى المسلمين عامتهم وخاصتهم يحذرهم من فتنة الجماعة المسماة «بجماعة الأحمدية : القاديانية» .

وجاء في هذه الرسالة : لا يخفى عليكم أن جماعة الأحمدية «القاديانية» طائفة كافرة تتعاون مع الدول الاستعمارية، وتسعى إلى هدم الشريعة الإسلامية . وتتستر باسم الإسلام لتضليل المسلمين وتمزيق وحدتهم .

وأضاف معاليه : قد صدر بشأنها قرارات عديدة تؤكد على خروج هذه الطائفة من الإسلام واعتبارها فئة غير إسلامية، ومنها القرار الصادر من حكومة باكستان ١٣٩٤هـ والمؤكد بآخر عام ١٤٠٠هـ وكذا بشأنها قرارات اتخذها مؤتمر المنظمات الإسلامية العالمية الذي انعقد بمكة عام ١٣٩٤هـ ومجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي .

نداءُ الملكِ فهدٍ إلى الإخوةِ المتقاتلين في لبنان

نقلت وكالة الأنباء السعودية في نهاية الأسبوع الثاني من شهر صفر نداء صاحب الجلالة الملك المفدى فهد بن عبد العزيز حفظه الله إلى الإخوة العرب المتقاتلين على أرض لبنان .

ويسرنا أن نسجل هذا النداء الصادر من قلب رجل مؤمن يشعر بالمسئولية تجاه إخوانه العرب والمسلمين في كل مكان :

بسم الله الرحمن الرحيم : إخواني أبناء الشعب العربي على أرض لبنان :
أخاطبكم اليوم مجددا باسم جميع ما يصل بيننا في المملكة العربية السعودية وبين كل فرد منكم على أرض لبنان . وفي كل موقع نضال فلسطيني من روابط العقيدة والدم والعرق واللغة والتاريخ . أخاطبكم من أعماق قلب عربي أدمته المأساة التي حلت بأبناء الأمة العربية في أكثر من بقعة على صعيد المنطقة . ولعل أكثرها خطورة وأشدّها ألما ما يحدث الآن في مدينة طرابلس . وحول المخيمات الفلسطينية شمال لبنان . رغم قرار وقف القتال ، وما يتكرر كل يوم في مختلف الجبهات اللبنانية من قتال عنيف ودمار ساحق مخيف رغم الاتفاق اللبناني الشامل على وقف إطلاق النار . . .

أيها الاخوة : إن على لسان كل عربي يعيش اليوم في هذا العالم سؤالاً يتردد حتما كل صباح ومساء . سؤال حائر يتكرر : لماذا يراق الدم العربي بيد يجري في عروقها الدم نفسه؟ . لماذا يحرق العربي أرضه ، ويشتت أهله ، وينسف داره؟ .

ماذا نقول للعالم الغربي الذي يراقب صراع الأشقاء الدامي ثمانية أعوام في لبنان . . ؟ وكيف نقنع دول هذا العالم بعدالة قضيتنا وكيف نطالبه بالوقوف معنا لاسترداد أرضنا وحقوقنا وأوطاننا إذا نحن لم نستطع أن نعدل بين أنفسنا لنصرة قضايانا . . ؟ .

أيها الاخوة في لبنان : وعلى أرض القتال : لقد رأينا منذ أيام شعاعا من الأمل يضيء السدروب أمامكم إثر وقف القتال والتقاء قادتكم لأول مرة منذ بدء المأساة على كلمة سواء بينكم عليها تجتمعون ، ومنها تنطلقون للبحث عن أفضل الوسائل للعيش في ظل رفاه وطني شامل . وأخشى ما أخشاه أن يضيع من أعيننا هذا الشعاع قبل رؤية الطريق السوي لمسيرة العودة والمحبة والصفاء على طريق الوحدة المتكاملة .

أيها الاخوة الأشقاء : أليس من الأجدر بنا أن ندخر شبابنا ونحتفظ بسلاحنا وقدراتنا، وقواتنا لمواجهة أعداء الأمة العربية والإسلامية في معركة المصير بدلاً من أن يستدرجنا العدو الجاثم على صدورنا لاستنفاد طاقاتنا البشرية والآلية كي ينقض علينا بعد ذلك حيث لا خيل لدينا ولا رجل . . ؟ .

إنى أصارحكم اليوم بكل صدق ووفاء بأنى لا أكاد أجد أى سبب أو دافع يبرر ما يجرى الآن على أرض لبنان مهما كانت الأسباب والدوافع ، بل لا أكاد أعتقد بوجود عامل خارجي يبيح للأخ سفك دم أخيه ، ولنفترض جدلاً بوجود عامل أو آخر فأين رجاحة العقل . . ؟ وأين الحكمة في وزن الأمور وضبط المشاعر ، وكبح جماح النفس برفض تلك العوامل والدوافع مهما كانت أنواعها ومصادرها فمن البطولة الإيثارية في ساحات القتال ، ومن أرقى مراتب القيادة إنكار الذات . . .

أيها الاخوة هل نسينا العدو المتر بص من حولنا؟ أم تناسينا نضالنا من أجل تحرير القدس وتطهير كل شبر من أرضنا في كل موقع دنسه العدو بأقدامه؟ .

لنا حقوق مشروعة يعرفها العالم بأسره فإن نحن أضعناها في خضم صراعاتنا وخلافاتنا فكيف نطالب بها؟ ومن نطالب؟ .

أيها الاخوة : لا أخاطبكم اليوم من موقع مسئوليتي كخادم للحرمين الشريفين فحسب ولكنى أخاطبكم بوصفى الأخ العربي الشقيق لكل فرد منكم أشارككم الأفراح والأتراح وأشاطركم الآلام والآمال وأتطلع وإياكم إلى يوم النصر على خطى وحدة المصير . كما أوجه ندائى المخلص بعد ذلك لجميع زعماء وقادة الأمة العربية أن يبادروا لعمل فوري موحد لوقف هذه المأساة الدامية التى كلما أوقفنا نزيه شريان منها انفجر فيها شريان جديد وعلينا أن نواصل جهادنا ونكثف جهودنا في غير ما يأس أو تهاون حتى يحقق الله آمالنا ، ويسدد خطانا على طريق الخير لكل شعوبنا والله وحده القادر على تأليف القلوب . ومنه النصر وإليه المصير .



تعيينات في المناصب العليا في الجامعة

الأمين العام للجامعة

صدر قرار مجلس الوزراء رقم «٢٣١» في ١٤٠٣/٩/٩ هـ بتعيين فضيلة الدكتور محمد حمود الوائلي أمينا عاما للجامعة الإسلامية لمدة ثلاث سنوات. وبلغ هذا القرار بخطاب معالي وزير التعليم العالي رقم ٨٠٣٤/٥/٥/٣٩ في ١٤٠٣/١٠/٢٢ هـ ومعه خطاب رئيس ديوان مجلس الوزراء رقم ٧/ع/٢٤٤٩ في ١٤٠٣/١٠/١٨ هـ المبلغ لقرار مجلس الوزراء.

وكان فضيلته يشغل منصب رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة بعد أن شغل منصب عميد كلية الشريعة لعدة سنوات . . .

نائب رئيس الجامعة

كما صدر قرار مجلس الوزراء رقم «٨» في ١٤٠٤/١/٢٥ هـ بتعيين فضيلة الشيخ صالح العبد الله المحيسن نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية وذلك لمدة ثلاث سنوات .

وفضيلته أحد الكفاءات العلمية والادارية الممتازة. وقد شغل منصب عميد كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة لعدة سنوات. وقد اشترك في إعداد النظام الأساسي واللائحة التنفيذية والمناهج الدراسية في الجامعة .

ضيوف ووفود في زيارة الجامعة

●● زار الجامعة الإسلامية خلال الأشهر الثلاثة الماضية المحرم وصفر وربيع الأول ١٤٠٤ هـ الشخصيات والوفود التالية :

● وفد تونس يتكون من ٢٥ عضوا تلبية للدعوة الموجهة إليه من الرئاسة العامة لرعاية الشباب في المملكة، وقد اجتمع الوفد مع فضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلي الأمين العام

للجامعة وفضيلة الشيخ عوض الشهرى عميد شؤون الطلاب . . . كما قام الوفد بزيارة المكتبة المركزية واطلع على قسم المخطوطات بها .

● سماحة الشيخ الحبيب بلخوجة مفتى تونس بعد أن شارك في لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية وقد اجتمع سباحته مع معالى الدكتور عبد الله العبيد رئيس الجامعة ومع فضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلى أمين عام الجامعة .

● وفد من ماليزيا يمثل معهد السلطان زين العابدين للدراسات العربية والإسلامية . . . وقد التقى الوفد بمعالى الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة ومع فضيلة الشيخ محمد بن ناصر السحيبانى عميد القبول والتسجيل ومع الشيخ مصطفى القناص مدير شعبة اللغة العربية لغير الناطقين بها . وبحث الوفد مع المسئولين في الجامعة مدى إمكان حصول بعض طلاب المعهد على منح دراسية ومعادلة شهادة المعهد لدى الجامعة .

● سعادة الأستاذ ناصر الدغيشم الملحق التعليمى بسفارة الكويت بجدة والتقى مع فضيلة الأمين العام وعميد القبول والتسجيل وعميد شؤون الطلاب .

● الشيخ أيوب شريف إمام مسجد بليبريا . والشيخ كوكوتارا عضو الجمعية الإسلامية بغينيا . ووفد من مسلمى تركستان والتقوا بكبار المسئولين بالجامعة وزودوا بكتب دينية مما يقوم مركز شؤون الدعوة بتوزيعه على ضيوف الجامعة .

● كما استقبلت الجامعة وفد الأدباء العرب الذين شاركوا في حفل جائزة الدولة التقديرية للأدب وأقامت الجامعة حفلا ترحيبيا بهذه المناسبة .

رسائل الماجستير والدكتوراه من قسم الدراسات العليا بالجامعة

● فى مساء يوم الخميس ٧/١/١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الطالب : إبراهيم أحمد سليمان . عمانى الجنسية . وموضوعها : «الأهلية عند الأصوليين وعوارضها المكتسبة» . وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور عبد العظيم فياض ، والدكتور يوسف عبد المقصود ، والدكتور جلال بن عبد الرحمن .

● وفى مساء يوم الخميس ١٤/١/١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الطالب : سليمان بن صالح الحزى . سعودى الجنسية . وموضوعها : «التشريعات الاجتماعية في سورة النور» . وتكونت لجنة المناقشة من الشيخ عبد القادر شبية الحمد والشيخ أبو بكر الجزائرى والدكتور أحمد إبراهيم مهنا .

● وفي مساء يوم الخميس ٢١/١/١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الطالب :
حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي . سعودي الجنسية . وموضوعها : «منهج القرآن في دعوة أهل
الكتاب إلى الإسلام» . وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور عبد المنعم حسنين والدكتور محمد
إبراهيم الجيوشي والدكتور جمعه على الخولي .

● وفي مساء يوم الخميس ٢٧/١/١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب :
على الشيخ أحمد أبوبكر . صومالي الجنسية . وموضوعها : «الدعوة الإسلامية المعاصرة في
القرن الأفريقي» . وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور عبد المنعم حسنين والدكتور محمد
إبراهيم الجيوشي . والدكتور سيد نعمان عبد الرازق .

● وفي مساء يوم الخميس ١٨/٣/١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب :
محمد يوسف عيد . صومالي الجنسية . وموضوعها : «المنافقون في القرآن الكريم» . وتكونت
لجنة المناقشة من الدكتور أحمد إبراهيم مهنا والدكتور محمد سيد طنطاوي والدكتور محمد أحمد
القاسم .

نشاط الموسم الثقافي بالجامعة

١ - نظمت عبادة شؤون الطلاب ندوة مفتوحة يوم الأربعاء ٢٧/١/١٤٠٤هـ في
بداية الموسم الثقافي شارك فيها : فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد رئيس المجلس
العلمي وفضيلة الشيخ عبد الله محمد الغنيان رئيس قسم الدراسات العليا . وفضيلة الشيخ
على عبد الرحمن الحذيفي وكيل كلية القرآن الكريم بالجامعة ، وحضر الندوة كثير من طلاب
الجامعة ومنسوبيها ، وأجاب أصحاب الفضيلة على ما قدمه الطلاب من أسئلة
واستفسارات .

٢ - وألقى فضيلة الشيخ أبوبكر الجزائري الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا
بالجامعة محاضرة موضوعها : «علة الحياة وسر الوجود» . وذلك عقب صلاة المغرب من يوم
الأربعاء ٥/٢/١٤٠٤هـ بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة .

٣ - وفي يوم الأربعاء ١٢/٢/١٤٠٤هـ ألقى فضيلة الشيخ عبد الفتاح عشاوي
المحاضر بكلية الحديث محاضرة وموضوعها : «أحلام تقع أم هي أضغاث» . بقاعة
المحاضرات الكبرى بالجامعة .

٤ - كما ألقى فضيلة الدكتور مرزوق بن هياس الزهراني عميد كلية الحديث الشريف محاضرة موضوعها: «كيف تدعو إلى الله عز وجل». وذلك عقب صلاة المغرب يوم الأربعاء ١٩/٢/١٤٠٤هـ في إطار الموسم الثقافي الذي تنظمه عمادة شؤون الطلاب .

٥ - وفي مساء يوم الأربعاء ٢٦/٢/١٤٠٤هـ ألقى فضيلة الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي الأستاذ المساعد بكلية الحديث الشريف بالجامعة محاضرة وموضوعها: «دراسة الأديان في ضوء القرآن» .

٦ - وفي مساء يوم الأربعاء ٣/٣/١٤٠٤هـ ألقى فضيلة الدكتور صالح بن سعد السحيمي محاضرة وموضوعها: «منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين» .

٧ - وفي مساء يوم ١٠/٣/١٤٠٤هـ ألقى فضيلة الدكتور عبد الله بن أحمد قادري رئيس قسم شعبة الفقه بالدراسات العليا محاضرة وموضوعها: «منطلقات إسلامية للكفاءة الإدارية». وذلك بقاعة المحاضرات في إطار الموسم الثقافي .

رؤساء الشعب في الدراسات العليا

أصدر معالي رئيس الجامعة قرارا بتعيين رؤساء للشعب في قسم الدراسات العليا

على النحو التالي :

- فضيلة الدكتور : عبد الله بن أحمد قادري رئيسا لشعبة الفقه .
- فضيلة الدكتور : محمد أمان علي الجامي رئيسا لشعبة العقيدة .
- فضيلة الدكتور : جلال الدين عبد الرحمن رئيسا لشعبة أصول الدين .
- فضيلة الدكتور : محمد عبد الله قناوي رئيسا لشعبة اللغويات .

محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

.....	قبس من كتاب الله	—
.....	من نور النبوة	—
.....	حكمة العدد	—
.....	افتتاحية العدد- الدعوة إلى الله والواقع المعاصر	—
١٥	د. عبد الله الصالح العبيد
٢٣	للشيخ أبي بكر الجزائري
٣٢	د. عبد العزيز عبد الله الحميدى
٤٧	د. محمد ضياء الرحمن الأعظمى
٦٣	للشيخ محمد بن ناصر السحيبانى
.....	من مزايا التشريع الإسلامى .	—
.....	منهج السلف فى العقيدة وأثره فى وحدة المسلمين .	—
٨٢	د. صالح سعد السحيمى
.....	أثر العقيدة الاسلامية فى تضامن ووحدة الأمة الاسلامية .	—
٩٨	د. أحمد سعد الغامدى
.....	العبادات فى الاسلام وأثرها فى تضامن المسلمين .	—
١١٢	د. على عبد اللطيف منصور
١٣٦	لساحة الشيخ عبد العزيز بن باز
.....	التضامن الاسلامى .	—
.....	الإسلام يسد منافذ الفرقة والاختلاف ويصون عوامل الوحدة والائتلاف .	—
١٤٣	د. جمعة الخولى
١٥١	للشيخ عطية محمد سالم
.....	مرتكزات التضامن والوحدة .	—
.....	كيف أقام النبى ﷺ أول دولة إسلامية على التضامن والوحدة .	—
١٧٠	د. محمد السيد طنطاوى
.....	الفتح العمرى للقدس . . تمودج للدعوة بالعمل والقذوة .	—
١٨٥	د. شفيق جاسر
١٩٦	د. محمد إبراهيم الجيوشى
.....	الاسلام والمسلمون فى انجلترا .	—
٢٠٨	د. عبد الله أحمد قادرى
.....	فى المشارق والمغرب .	—

محتويات العدد

الصفحة	الموضوع
٢٢٦	رسائل لم يحملها البريد .
٢٣٩	حديث مع البلبل (شعر) .
٢٤٢	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار(شعر) .
٢٤٤	الرأى العام فى المجتمع الاسلامى .
٢٦٠	دور الاعلام فى تحقيق التضامن الاسلامى .
٢٧٤	فتاوى شرعية .
٢٧٩	مختارات من الصحف
٢٩١	أحداث العالم الاسلامى
٢٩٧	أخبار الجامعة
٣٠١	محتويات العدد
٣٠٤	القسم الإنجليزى

مجلة الجامعة الإسلامية

برية البحوث والمقالات التي لم تنشر
إلى كتابها ولا بإيداء أئبا عدم نشرها.



﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ (النساء : ٨٧) .

i.e. “And whose word is truer than Allah’s”? (IV, 87) .

Ninthly and lastly: Legislation in Islam has been entrusted to highly qualified Scholars “Mujtahideen” who are well conversant with disciplines pertaining to the holy Quran and the Sunnah, and are thus capable to adopt the appropriate religious viewpoints, and deduce the suitable rulings according to the ever-recurring events in the lives of Muslims .

These have been some of the great characteristics of Islamic legislation. I have endeavoured to highlight them so that it will be easy for the reader to get some glimpses of the excellence and grandeur underlying the Message of Allah, namely, the Faith of Islam. I sincerely hope that this modest effort will help enlighten the hearts and minds of those who aspire, truly, to reach the truth.

May Allah, the Creator of the Universe, guide us all along the path of righteousness and piety .

N.B. The reader may kindly refer to the Arabic Text for further details .

grieves him that you should perish, Ardently anxious is he over you, to the believers is he most kind and merciful (IX 128) .

The prophet P.B.U.H. says: “whosoever treats others mercilessly, will be treated likewise”. He forbade the killing of female infidels, the aged, children, worshipping monks unless they share in the warfare .

Fourthly : Another characteristic of Islamic legislation is its practicability with ease so as to relieve Muslims from embarrassment. This is quite manifest in many verses and traditions. Allah the Almighty says,

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (البقرة: ١٨٥) .

“i.e. Allah intends every facility for you; He does not want to put you to difficulties”. (II, 185) .

The Prophet, P.B.U.H., says “make things easy and do not mak them difficult” .

Fifthly : Wisdom which is defined as placing things in their proper places. (1)

In fact, wisdom is considered the keynote of the vast body of Islamic legislation in many a place. This is obvious in ordinances bearing on inheritance, penalties, alms-giving, etc..

Sixthly : Immortality and constancy of Islamic Shari’a. It is everlasting till Doomsday, as it is not subject to modification or alteration. Meanwhile, its rulings are so flexible that they are applicable at all times and places. Islamic Shari’a, indeed, is like a tree, that is firm in roots and movable in branches .

We had better refer, in this regard, to Ibn Al-Qaim who has dealt with this subject in detail in his book “T’ilam al Muwaqq’een” .

Seventhly : Caring for worldly life as much as for the Here-after. No doubt, Islamic institutions are based on deep faith in Allah, His angels, His apostles, His scriptures, the Last Day, Predestination, Resurrection, and accountability for one’s deeds on the Day of judgement, be they good or evil, even if one manages to escape punishment in this temporal life. This belief, naturally, helps to curb a Muslim’s evil propensities and develops his good, virtuous inclinations. That is why religious injunctions and prohibitions appeal to both heart and mind .

In addressing the believers, the Quranic verses abound in such phrases as, “if you reason” “if you are pious” “if you remember”, “that who believes in Allah, and the Last Day. etc...

Eighthly : Infallibility and truthfulness. Being divinely revealed, Islamic Shari’a is characterized by infallibility. It is immune against interpolation and distortion. Allah, the Almighty, says :

(1) Vide “Method and wisdom of Islamic legislation” by Sheikh Muhammad Al-Shanqeety .

To sum up, the comprehensiveness and universality of the Message of Islam is quite manifest, as it is addressed to all humanity at large, for all times and all places. All creatures, be they human beings or Jinns, living on earth or other planets, are bound to adhere to it, for Allah the Almighty says :

﴿وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون﴾ (الذاريات : ٥٦) .

“i. e. I have only created jinns and men, that they may serve Me” (II,56) .

And :

﴿قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

“i.e. Say, O men! I am sent unto you all” (VII,158) .

Secondly : Another feature of Islamic legislation is: -

Justice which is exclusively incomparable to man-made laws. For, so long as we firmly believe in the divine origin of Islamic Shari’a, that is, it has been revealed by Allah the Almighty of whom perfect Justice is one of His sublime attributes, so, the rulings of this Shari’a must naturally be equitable and fair, particularly in two respects :

I As regards juristic judgements and laws deduced by Muslim Scholars through reasoning and analogy on matters that were not explicitly dealt with either in the holy Quran or the Sunnah, as in the case of promulgating rules and regulations relating, for instance, to municipalities, traffic, labour, etc... the legislator must all the time, be motivated by a keen sense of justice and impartiality taking the general weal of the people into consideration. Thus, all laws should be in harmony with the true spirit of Shari’a .

II while putting the principles and tenets of Shari’a into practical application, the ruler should take the utmost care to be fair and just in settling the people’s problems and disputes .

Thirdly : Among other fine qualities Islamic Shari’a takes much pride in, is mercy. Numerous Quranic verses and prophetic traditions have laid much emphasis on this aspect of Shari’a describing the prophet, P.B.U.H. as being merciful and ordaining Muslims to treat each other with mercy, and compassion .

Allah, the Almighty, says : —

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾
(التوبة : ١٢٨) .

“i.e. Now hath come unto you an Apostle from amongst yourselves: it

responded, Oh yes ! the prophet has even forbidden us to face Qibla while urinating or answering the call of nature⁽¹⁾ .

Abu-Hudhaifa, too, may Allah be pleased with him, said, “The Prophet, P.B.U.H., has delivered a sermon in which he dealt, at length, with different subjects, known or unknown; even those pertaining to the Day of Resurrection⁽²⁾ .

As regards the state of affairs in the Muslim nation, it is noteworthy to refer to the golden epoch of Prophethood and caliphate. The prophet’s Sunnah, i.e. his deeds and sayings, represent the second source of Muslim Shari’ a. The Prophet, being the spiritual and temporal leader of the Muslims, attended to their affairs, decided on various issues, laid down the boundary-lines of the Muslims’ rights and obligations, prescribed the appropriate penalties, took the lead in the battlefield, divided the spoils, led the Muslims in congregational prayers, corresponded with monarchs inviting them to join the fold of Islam. Besides, he regulated all matters relating to sale, lease, marriage, divorce, medication, burial procedures, inheritance, etc .

On the other hand, none of the righteous Caliphs has reportedly excused himself from dealing with any problem or issue under the pretext that it did not fall within his jurisdiction. If it was in compliance with the main tenets and teachings of Islam, the Caliph would undertake it; if it was otherwise, he would condemn it.

II The second evidence: that which is based on the faculty of reason and inference. It is quite inconceivable that Allah the Almighty, the Creator of the entire Universe, may abandon His creatures without catering for them in all their religious as well as mundane affairs .

So, the Islamic legislation is an overall, all-embracing code bearing on the various aspects of the life of the individual and the society as well. It touches on all spheres of human knowledge, viz. economics, sociology, internal and foreign policies, the relationship between the Muslim State and its friends as well as its enemies, in time of war and peace, between the ruler and the subjects; between the employer and the employees; and finally between husband and wife, father and son. Allah the Almighty says .

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام : ٣٨) .

“i.e. Nothing have We omitted from the Book,” (VI, 38) .

(1) Narrated by Muslim, Abi Daud & Tirmidhi .

(2) Narrated by Al-Bukhari; Vide Fathul-Bari V. XI P. 494 .

He said in his treatise on “Method and wisdom of Islamic legislation.⁽¹⁾”:
“Legislation is the attitude of Shar’i which is the divine institution revealed by the Lord of the Universe upon the prophet Muhammad, P.B.U.H. so that the entire mankind should abide by it, thus attaining felicity in this worldly life as well as the Here-after” .

This divine Law which seeks man’s happiness and well-being is characterized as stated before, by countless, unique excellences, being Allah’s eternal revelation. It is perfect and integrated, free from all deficiencies and imperfections. Allah the Almighty says about the holy Quran, the first of the two essential sources of Islamic Law (Shari’a) :

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (النساء : ٨١) .

“i. e. Had it been from other than Allah they would surely have found therein much discrepancy”

And :

﴿كتاب أحكمت آياته﴾ (هود : ١) .

i. e. “(This is) a Book with verses basic or fundamental of established meaning (XI,1) .

From the above-quoted verses and the like, we learn the following facts:

First : The Islamic Shari’a, by its very comprehensive nature, encompasses all domains of life, laying down the principles and guidelines regulating man’s life in all its aspects .

To substantiate this fact, we cite the following two evidences :

I The first evidence :

— Quotations from the holy Quran and the prophet’s traditions as well as examples derived from the living reality of the Muslim nation, especially during the splendid, flourishing era of prophethood, and the righteous Caliphs. Allah the Almighty says :

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ (النحل : ٨٩) .

“i.e.” and We have sent down to thee the Book explaining all things” (XVI,89) .

Salman al Farisi, may Allah be pleased with him, was told that the prophet, P.B.U.H. had taught the Muslims everything including reading; to this, Salman

(1) Vide Muhammad Al-Shanqeety treatise “The Method and Wisdom of Islamic Legislation” P. 23 .

In the Name of Allah, most Gracious, most Merciful

GLIMPSES OF THE MERITS OF ISLAMIC LEGISLATION

By : Sheikh Muhammad Bin Nasser Al-Suhaibani
Translated by : Muhammad Kamal Ali El-Sayed
(Translation Dept.)

All praise be to Allah, and blessings and peace be upon His prophet Muhammad, his family and his companions .

It is a well known fact that the great religion of Islam is still , most regrettably, exposed to the vilest forms of attack launched by its vicious enemies in many ways varying in strength and weakness with a view to undermining its edifice. Muslims are subject to a long series of torture, murder, rape and expulsion from their homelands .

This malignant campaign against Islam aims, further, at discrediting and sowing seeds of suspicion into it in an attempt to veil its numerous excellences and merits. This is in keeping with Allah's words :

﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا﴾ (البقرة: ٢١٧) .

“i.e. Nor will they cease fighting you until they turn you back from your faith if they can” .

Attempting to repel these wicked attacks and refute the false allegations raised against the divine Message of Islam, I have written this article with the intention of presenting the salient characteristics of the Muslim Faith, revealing its unique distinction and grandeur .

To begin with, I should like to define Islamic Legislation, pointing out the various efforts exerted by Muslim scholars in this respect. It may be deemed appropriate to quote sheikh Muhammad Al-Shanqeety, may Allah's mercy be upon him .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِثْقَالَ رَيْبٍ

لَتَفِدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِ مَعْدَادٍ

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)



Journal of

THE
ISLAMIC
UNIVERSITY

OF
MADINAH MONAWWARAH

AL-MUHARRAM — SAFAR —
RABI-AL-AWWAL 1404 A. H.

QUARTERLY

61

16th Year